

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٥٧ - ربيع الأول ١٤٢٧هـ - ابريل ٢٠٠٦م

ALFAISAL MAGAZINE - NO. 357 - Apr. 2006

- علاقة هورخرونيه بالملك فيصل بن عبد العزيز
- الدرعية تستأنف دورها الحضاري
- الانطباعية في فن الرسم





مجلة ثقافية شهرية . العدد ٣٥٧- ربيع الأول ١٤٢٧هـ . إبريل ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - No 357 -Apr 2006



ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» وردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠ . ١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد .

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢ ... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١، ٠٠٩٦٣، تونس . الشركة التونسية للصحافة . تجمع المغرب . ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦ . ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٢٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٣٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٣١/٣٢-٤٠٠-٢٢٤ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧






الانطباعية في فن الرسم

تعدّ الانطباعية أهم تطور حدث في الفن الأوربي منذ عصر النهضة، وقد ونبع من الانطباعية كلّ ما أعقبها من تطورات في مجالات الرسم والنحت. فبعد أن رفضت الانطباعية فكرة وجود قاعدة مقررة وثابتة في التعبير عن الأمزجة والأحاسيس في ما يتعلق بالموضوعات، أعطت الأهمية الأولى للاتجاه الذاتي للفنان، مؤكدة أهمية العفوية والآنية في الرؤية، وفي الاستجابة، وأحلت الواقع العابر محل ما هو مفترض من واقع ثابت.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير:

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

نايف بن مارق الضبيط

حوى النبي علي صالح

الإخراج الفني:

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



موقع "الفيصل" الإلكتروني

لا شك أن مجلة «الفيصل» هي أفضل مجلة أتنزه في حدائقها، وأرجائها، غنية بثمارها، بمنابعها، فهي كمدينة خضراء يقصدها كل سائح، مع أنها أفضل من مدينة لدى قلبي.

جاءت إلى الوجود في شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ يونيو/حزيران عام ١٩٧٧م، أي قبل وجودي بثماني سنوات تقريبًا.

وبحكم معيشتي في مجتمع ريفي، لم أتمكن من معرفتها إلا في عام ٢٠٠١م، وهو عام بداية حبي لها.

ويأتي هنا أسفي الشديد على ما فاتني من أعدادها السابقة منذ عام ١٩٧٧. ٢٠٠١م وبعض الأعداد اللاحقة.

ولكن ما يؤسفني بالفعل هو عدم وجود موقع لها على الإنترنت مذكور على صفحاتها يتم في هذا الموقع تناول ما سلف من الأعداد حتى ننهل من معينها، كما تعوّدنا منها.

وأيضًا لا يوجد حتى بريد إليكتروني يسهل فيه التواصل، وهذا ما نتمناه ونتمنى تحقيقه بالفعل في مشروعات محبوبتنا «الفيصل» المستقبلية.

ودامت لنا منبعًا صافيًا

بشير إبراهيم الأمير

تعز . اليمن

التحرير:

نشكر لك هذا الإطراء، ويشرفنا هذا التواصل الحميم بين المجلة وقرائها الكرام، وبخصوص موقع المجلة، نفيدك أن هناك موقعًا لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وهناك عرض لأبرز محتويات بعض أعداد المجلة، ولكن نطمئنك أن هناك اتجاهًا لإعداد موقع خاص بدار الفيصل الثقافية، وسيشتمل على أعداد مجلات الفيصل والفيصل العلمية، والفيصل الأدبية، إلى جانب عرض للكتب الصادرة عن الدار، ونأمل أن تتم المكاتبات بين الدار وكتابها عبر هذا الموقع. وعنوان موقع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية هو: www.kfcfis.com

رؤية شخصية

أود أن أثمّن محاورة الطيب ولد العروسي في عدد المحرم سنة ١٤٢٧هـ للدكتور صالح السنوسي صاحب كتاب «العولمة أفق مفتوح وإرث يثير المخاوف»، وهي محاورة كشفت الركائز الأساسية للثقافة الغربية، وأجمعت على أن مشروع العولمة الاقتصادي في مضمونه، والإيديولوجي، والثقافي في تنوعه، والسياسي في إستراتيجيته ما هو إلا تجسيم لفكرة الإيديولوجية الغربية القائمة على السيطرة الشاملة على مقدرات الشعوب الضعيفة وفق سياسة عمودية استعمارية. فشكرًا له على هذه الموضوعات التي هدفها الأساسي إنارة القارئ لفهم سياسة المد والجزر الاستعمارية.

أيضًا لدى تعقيب على أسئلة المسابقة التي أرجو ألا تكون متعددة الاحتمالات أو أحيانًا تعجيزية إلى حد ما. وكمثال بسيط سأذكر سؤالي العدد ٣٥٢ (شوال ١٤٢٦هـ): السؤال الأول: ما المقصود بالفنون السبعة؟ وقد ذكرتم في الإجابة عن المسابقة في عدد المحرم سنة ١٤٢٧هـ (٣٥٥): المنطق، وقواعد اللغة اللاتينية والبلاغة والرياضة والهندسة والفكر والموسيقا، وهذا المتداول في الإجابة ولكن ما رأيكم في فرضية أن الفنون المعاصرة هي الموسيقا . المسرح . الرقص . النحت . السينما . الرسم والنحت المعماري. أيضًا عقبتم على «كوغين» أو «كوجين»

كما ذكر الأخ أحمد محمد الإبراهيم أو كما تأكدت شخصيًا خلال شبكة الإنترنت وتعني المسرحية الهزلية. شخصيًا وإن كنت لا أحبذ هذه النوعية من الأسئلة وأرى اختياركم محترمًا ومقبولاً، فإني أرى أنها لا تفيد القارئ العربي كما أنها تعجيزية.

على كل حال هي مجرد رؤية شخصية، ولكم سديد النظر، ودامت الفيصل منارة إعلامية رائدة.

نبيل البواب

المنستير . تونس

التحرير:

نشكر لك الحرص على التعليق والتعقيب على ما ينشر، وهناك مجموعة من الحوارات المتميزة سوف تطالعها في الأعداد القادمة بإذن الله. وبالنسبة إلى أسئلة المسابقة، فقد رأينا أن يكون هناك تركيز، إلى جانب دفع القارئ الكريم إلى البحث والاستفادة بدلاً من الأسئلة التقليدية، حتى الاحتمالات التي تشير إليها قد أخذت في الحسبان، وقد يكون هناك تطوير شامل للمسابقة في القريب مع رفع قيمة المكافأة.

"الفيصل" والنوبة

أتابع منذ سنوات مجلتكم الغراء، وأكثر ما يعجبني فيها هذا التنوع الذي تتسم به مادتها، مما يجعل كل قارئ يجد مبتغاه فيها، كما أن تنوع جنسيات كتابها ميزة أخرى، تنعكس إيجابيًا على المقالات المنشورة التي يوضح ما يعتمل في الحركة الثقافية على امتداد عالمنا العربي والإسلامي من تيارات فكرية.

وأسعدني كثيرًا، أن يكون للحضارة النوبية نصيب في ما تنشره المجلة، وذلك منذ وقت بعيد، في حين نجد أن الاهتمام بها في الصحف والمجلات والدوريات المختلفة أصبح شيئًا مسترعيًا للانتباه، ولكن . يا للاسف . إن هذا يأتي من باب دراسة الأقليات كما يدعي المهتمون، في حين أن الأولى دراسة هذه الحضارة والتعمق فيها، بوصفها من الحضارات الإنسانية التي أغنت البشرية، ولعل ما تعرض له اديبنا حجاج أدول من هجوم عاصف أخيرًا يوضح أن هناك من يحاول الاصطياد في الماء المكر، لذا أحيي «الفيصل» التي قدمت من قبل استطلاعًا مصورًا عن المتحف النوبي في أسوان، واهتمامها بالجانب الحضاري؛ لأن هذا هو الأهم، وليت المجلة تعرض في احد اعدادها كتاب وليام آدمز «النوبة: رواق إفريقيا»؛ لأنه كتاب مهم يوضح أهمية هذه الحضارة للإنسانية جمعاء.

ودامت «الفيصل» منارة للفكر.

محمد عبداللطيف قورتي

عنيبة . أسوان . مصر

التحرير:

نشكر لك هذه المتابعة لما تنشره المجلة، وهذا الحرص على إبراز الحضارات الإنسانية على اختلافها جزء من الدور التثقيفي والتنويري للمجلة، وترحيبنا عظيم بكل الإسهامات التي ترسخ هذا التوجه.

ردود سريعة

علي بن سعد القحطاني ـ الرياض ـ السعودية:

هناك صحف ومجلات كثيرة تختص بالشأن الرياضي، لذا لا يمكن أن تكون هناك صفحات مختصة بالرياضة في المجلة، إلا إذا جاء التناول من زوايا ذات أبعاد ثقافية وفكرية وصحية، كما أن العدد الشهري للمجلة يحول دون مواكبة الأحداث، وليتك تكتب إلينا كما وعدت عن الرياضة بوصفها دبلوماسية شعبية، ووسيلة من وسائل تقديم الشعوب أنفسها للعالم، ولعل وصول مقالتك يتزامن مع قيام كأس العالم لكرة القدم في ٩ يونيو القادم بألمانيا.

الأخ خالد حسن الزين ـ الرياض ـ السعودية:

هناك ملف متكامل عن الحكومة الإلكترونية سوف تنشره المجلة قريبًا، كما أن «الفيصل العلمية» تهتم بالجديد في عالم الحاسوب والإلكترونيات، ونرحب بمشاركتك في هذا الباب.

الأخت سارة الإدريسي ـ مراكش ـ المغرب:

بالفعل تتمتع المغرب بمدن جميلة لها عراقتها، ومعالمها الحضارية، وقد نشر كثيرًا عن بعض هذه المدن، ويسرنا تلقي استطلاعات عنها على أن ترفق معها صور جيدة تخدم المضمون وتبرزه.

الأخت سحر أبوبكر حيدر ـ القاهرة ـ مصر:

يفضل أن تكون المقالات مطبوعة، على أن ترفق معها القرص الممغنط أو الـ سي دي، مما يقلل من الجهد المبذول في إعدادها، ونفي ما قد يكون من تصحيف لسوء الخط.



استطلاع



الدرعية تستأنف دورها الحضاري

حسين حسن حسين

قسم التحرير

مدينة الدرعية إحدى مدن المملكة العربية السعودية التي لها مكانتها التاريخية: لما أدته من أدوار، ولما تختزنه ذاكرتها من أحداث، غيرت مجرى الحياة في الجزيرة العربية، ومن أشخاص تركوا بصمات واضحة في حياة أمتهم.

ويكفي أن نذكر أن الدرعية كانت منطلق الدعوة الإصلاحية التي تعاهد على نشرها الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب، والتي كان لها أثرها لا في حدود الجزيرة العربية فحسب، وإنما في كل أنحاء العالم الإسلامي.

ويرجع إنشاء مدينة الدرعية إلى أكثر من ٥٠٠ عام، وبالتحديد إلى سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) حين استقرت فيها أسرة مانع المريدي جد آل سعود، قادمة من بلدة الدرعية الواقعة بين القطيف وإبقيق، وقد أُطلق على المنطقة التي قطنوها من وادي حنيفة اسم الدرعية، ويرجع أن يكون سكنها الأول في حيي غصيبة والمليبيد، وإن كان حي طريف هو الذي يضم معظم مبانيها وقصورها.

وتمثل الدعوة الإصلاحية نقطة التحول الرئيسة في تاريخ المدينة، إذ أعلنت عن ميلاد الدولة السعودية الأولى، بعد فترة طويلة من عدم الاستقرار السياسي، الذي انعكس سلبًا على الأوضاع الاقتصادية، إلى جانب فترات جفاف شهدتها المنطقة.

وحمل الميثاق الذي عقد بين الإمامين محمد بن



جامع الإمام محمد بن سعود

سعود ومحمد بن عبدالوهاب -رحمهما الله - اسم الدرعية، وكان محور الدعوة العودة إلى أسس الإسلام الأولى، ونبذ البدع الدينية، وترسيخ عقيدة التوحيدة في النفوس.

ونشرت الدولة السعودية الأولى العدل، وعززت النظام العام، ووطدت أركانها بعد كفاح طويل لقيت خلالها الدعوة كثيرًا من المقاومة، وأنواعًا من الحرب، حتى كان غزو إبراهيم باشا للدرعية في سنة ١٢٣٣هـ/ عام ١٨١٨م، ودكّه حصونها، وتدميره الكامل للمدينة حسب شهادة الرحالة سادلير، حتى إن كل أشجار النخيل والعنب والمشمش والتين والليمون والرمان كانت قد اجتثت، وتركت على الأرض، وبعد أن نهب جيش إبراهيم باشا كل ما يستطيع من أموال السكان، أصدر الباشا أوامره بتدمير المدينة، فأشعل رجاله النار في المباني، بادئين بقصر الإمام عبدالله والمساجد، بل أجبروا أحيانًا السكان أنفسهم على المشاركة في عمليات التدمير والتخريب.

ومع ما شهدته المدينة من دمار إلا أن الإصرار بقي

على أن تعاود الحياة، فكان أن عاشت المدينة محاولات الإمامين تركي بن عبدالله، ومشاري بن سعود لاستعادة حكم الأباء، وذلك في الفترة من ١٢٣٤هـ/١٨١٩م - ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م، حتى كان تدمير المدينة مرة أخرى على يد حسن بك طاهر الذي أمر المنادي أن ينادي في أهل الدرعية من أراد بلدًا من البلدان فليحضر من أجل أن يكتب له كتابًا بذلك، فلما أصبحوا كلهم لديه أمر الترك أن يقتلوهم جميعًا، فأعملت البنادق والسيوف والخناجر فقتلوهم جميعًا، وأخذ الترك أموالهم وبعض أطفالهم، وتركوا نساءهم. فرثى الشعراء الفطاحل الدرعية، وما آل إليه حالها، ومن ذلك قول أحد الأدباء المؤرخين:

عام به الناس جالوا حسبما حالوا

ونال منا الأعادي فيه ما نالوا

قال الأخلاء أرّخه فقلت لهم

أرّخت قالوا بماذا قلت غربال

وبعد تدمير الدرعية انتقلت الراية إلى الرياض، التي شهدت قيام الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله، ثم قيام الدولة السعودية الثالثة على يد الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - التي تواصل مشوار العطاء الحضاري، والقيام بمقتضيات أمانة التبليغ، وحمل رسالة التوحيد إلى العالمين، بوصفها دعوة محبة وإخاء وخير للإنسانية جمعاء.

جغرافية المدينة

تقع مدينة الدرعية في الجنوب الشرقي لمحافظة الدرعية، ويحدها من الشرق مدينة الرياض، ومن الغرب وادي حنيفة والمناطق الجبلية، ومن الشمال طريق العمارية، ومن الجنوب حي عرقة، ويصل بينها وبين المحافظات الشمالية طريق صلبوخ الذي يفصلها عن مدينة الرياض.

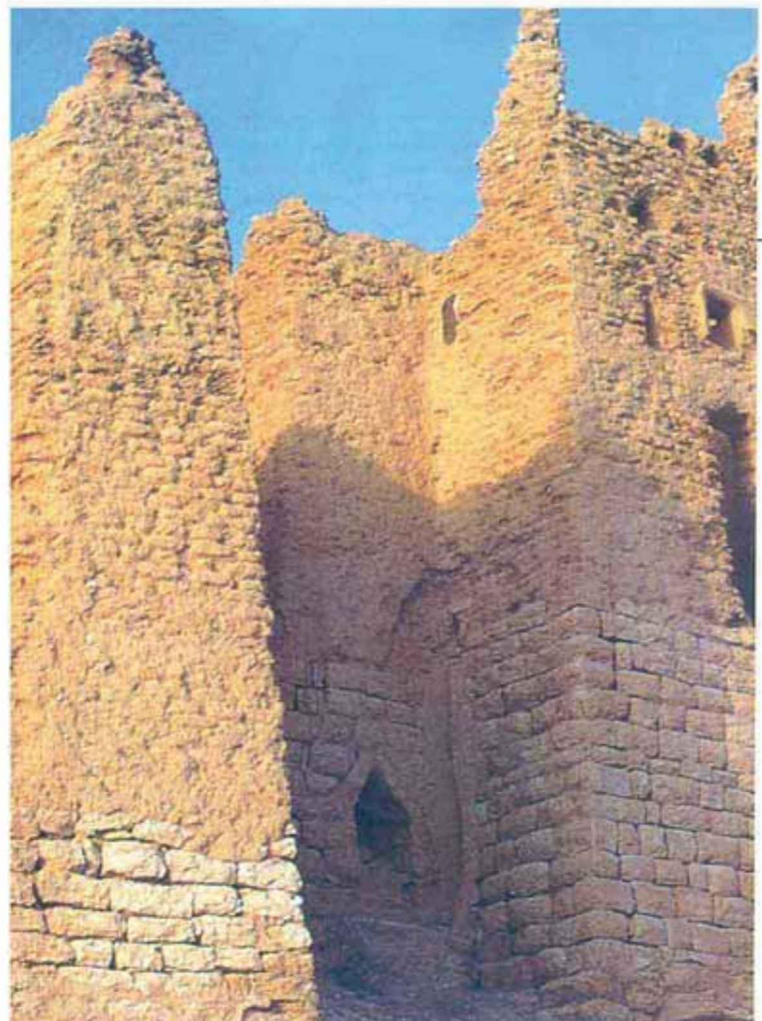
وقد تلاشت المساحة التي كانت تفصلها عن مدينة الرياض، بعد الزحف العمراني الذي شهدته الرياض، حتى أصبحت الدرعية أحد أحيائها، إلى أن تقرر في سنة ١٤١٢هـ أن تكون عاصمة لمحافظة الدرعية.

تتمركز المناطق السكنية في المناطق المرتفعة في غرب الوادي وشرقه، اللذين يضمان أيضًا أسوار الدرعية التاريخية، وتوجد منطقة الصناعات الحرفية والمستودعات في غرب الوادي، أما الأراضي الزراعية فتتمركز في المناطق المنخفضة في بطن وادي حنيفة والشعاب الرافدة له.

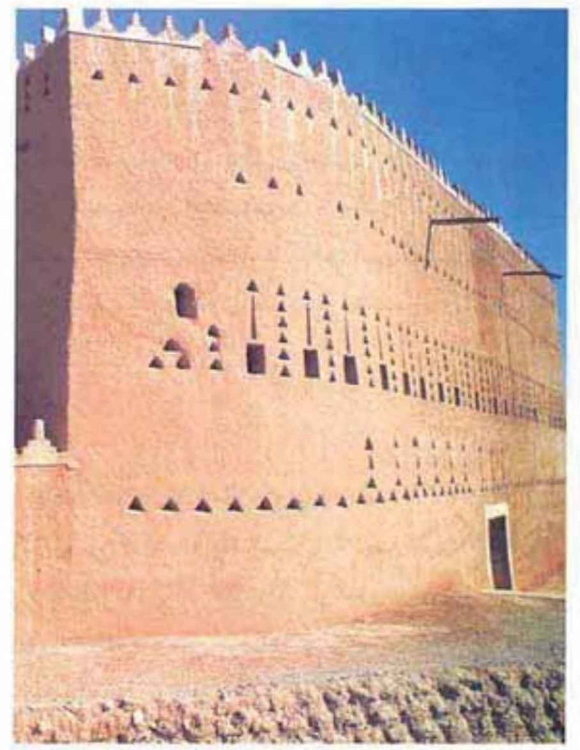
واستواء المنطقة الواقعة في شمال الدرعية والممتدة حتى طريق العمارية يؤهلها لاستيعاب التنمية العمرانية المستقبلية، بينما تتسم المنطقة الواقعة في غرب وادي حنيفة بالوعورة، ووجود أودية فرعية رافدة ومغذية للوادي، مما يجعلها مهيأة لإقامة مرافق ذات طابع ترفيهي، إلى جانب أنها تمثل رئة تتنفس من خلالها المدينة هواء نقيًا غير ملوث.

وتتناثر المزارع والاستراحات الزراعية على جانبي الوادي الذي يخترقه طريق زراعي يمتد من جوار سد العلب شمال الدرعية إلى منطقة عرقة وحي السفارات.

لأهمية النقل والمواصلات كان تأكيد ضرورة ربط المناطق الأثرية والمواقع البيئية بالمناطق الحديثة، وتنفيذ محاور وممرات مشاة، وتحقيق ربط أفضل للمناطق المفتوحة، والحدائق العامة، وتحقيق خدمات وأنظمة نقل عالية الكفاءة تخدم السكان والسياح




أحد القصور المتهدمة في الدرعية



قصر سعد بن سعود بعد الترميم

عمارة المدينة

يقول وليام فيسي: (يتميز الطراز المعماري وأساليب البناء الفنية في الطريف المدينة الرئيسة بالدرعية وقلعتها الحصينة عن بقية المدن النجدية، فما من مستوطنة أخرى

> المنطقة الأثرية تبلغ مساحتها ٤٣ ألف متر مربع. وتتم المحافظة عليها بوصفها وجهة يقصدها الباحثون؛ بهدف إجراء الدراسات من خلال التنقيبات الأثرية. كما يتاح للجمهور العام زيارتها بشكل لا يؤثر سلبًا في هذه المواقع. مع توفير المعلومات الضرورية

معاصرة لطريف في وسط شبه الجزيرة العربية، ربما باستثناء عنيزة، ضمت مباني بمثل روعة الطريف).

وكانت قصور طريف قوية البنيان، وترتفع حول فناء مركزي، وكان منها ما هو من طابق واحد أو طابقين، ومن هذه القصور قصر ناصر، وقصر سعد بن سعود، وقصر عمر بن سعود، وقصور سلوى، وقصر ثنيان.

وكانت الجدران الخارجية للقصور سميكة، وتخلو من الملامح، وكانت مادة البناء لبنات الطين المجففة، كما استخدم الحجر لبناء الأساسات، والمداميك السفلية، ولصنع الأروقة المقنطرة في المساجد.

ولعل روعة البناء تبدو في أن بيوت الطين لا تزال تقف شاهدة على دقة المعماري، وتمكنه من صنعته، والمكون الأساسي في طوب اللبن هو الطين الصلصال

المترسب بصورة طبيعية، وهذا الطين تتم معالجته بمواد أخرى، كالتراب الناعم المتوافر على ضفتي الوادي، والتبن أو القش.

وكان الخشب يستخدم في الأعمال الهيكلية؛ لصنع السقوف، والعتبات العلوية بالأبواب والنوافذ، وكان أغلبه من نوع خشب الأثل، مع استخدام جذوع النخيل في بعض الأحيان، إلى جانب السعف الذي كان يستخدم في تعريش الأسقف.

وللحفاظ على العبق التاريخي للدرعية، صدر الأمر السامي الكريم رقم ٥٢٨/م وتاريخ ١٤١٩/٦/١٧هـ بالموافقة على البرنامج المُقترح لتطوير الدرعية، وأن تتولى الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض مسؤولية تنفيذ هذا البرنامج، وتشكيل لجنة تنفيذية في إطار الهيئة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز رئيس الهيئة العليا، وعضوية عدد من المسؤولين من الجهات ذات العلاقة.

وتقوم فكرة التطوير على الانطلاق من المزايا التي تتمتّع بها الدرعية، وعلى أهمية العمل على أبعاد متعدّدة المستويات، فهناك بُعْدٌ حضاريٌّ يجعل الإنسان هو محْوَر التطوير، وبُعْدٌ دولي ترقى منه الدرعية؛ لأن تكون في مَصَافِّ التراث الإنساني العالمي، و بُعْدٌ وطنيٌّ يُمثِّل العُمق التاريخي لنُشُوء الدولة السعودية، وبُعْدٌ محليٌّ يهتم بتطوير الخدمات والمرافق يجعل المدينة مكاناً أفضلَ للمعيشة.

برنامج التطوير

يقوم برنامج تطوير الدرعية التاريخية القديمة على الأُسس الآتية:

- التطوير الشامل للدرعية التاريخية والقديمة، الذي يشمل النواحي التراثية والثقافية والاقتصادية والعمرانية والبيئية والاجتماعية
- تشجيع الأنشطة القائمة الملائمة لخطة التطوير، ودعمها، بما يُؤكِّد استمرارها وتشجيع مشاركة الأفراد في التطوير بجميع أشكاله.
- وضع الأُطر النظامية لمشاركة القطاع الخاص المؤسّسي في الأعمال الملائمة له.

وبناءً على ذلك فقد تمَّ تصنيف «برنامج تطوير الدرعية» إلى مجموعةٍ من البرامج التطويرية.

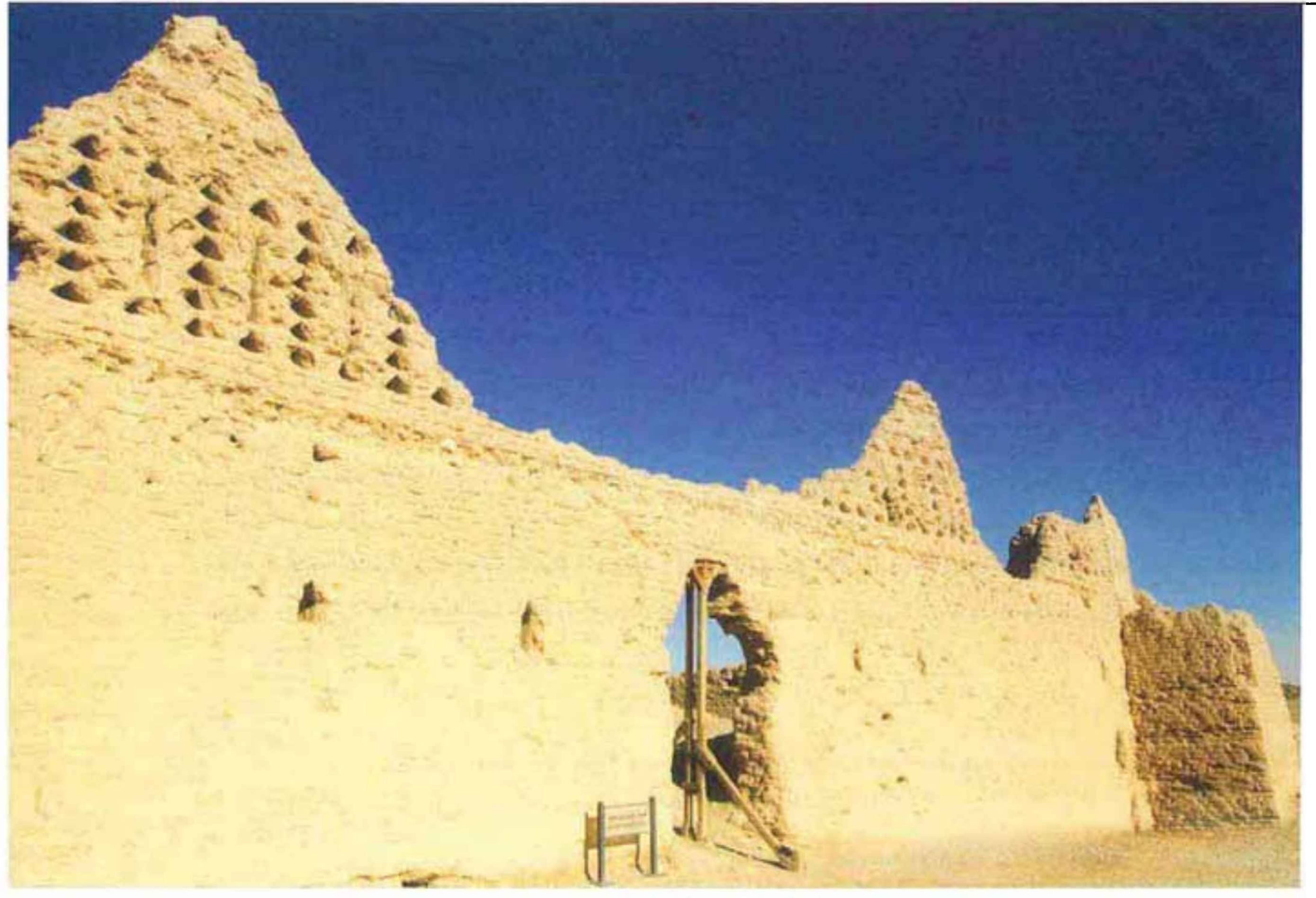
برنامج التطوير العمراني:

اهتمت الرؤية العمرانية للدرعية بتوضيح هويتها، وخصوصيتها، وإبراز صلتها بمبادئ العمران الإسلامي

برنامج التطوير البيئي: يحرص على الاستفادة من الخصائص الطبيعية، والمحافظة على الموارد المائية، وحماية المناطق الزراعية، وربط مفهوم المحافظة البيئية بالتنمية الشاملة



جانب من قصر عمر بن سعود



لقطة جانبية لقصر مشاري بن سعود

والمحلي، وتميزت بشمولية النظر إلى الأنشطة الحياتية التي تمارس، من عبادة وعمل وتعلم وترفيه ولعب، لذا كان تأكيد الآتي:

- التطوير الشامل من خلال تحسين الاتصال بين الرياض والدرعية، والتعريف بالهوية العمرانية المستقلة، وخصائصها المميَّزة لها.
- ربط الدرعية التاريخية القديمة بالمدينة الحديثة، في تكوين عمراني متكامل .
- توفير مواقع لأحياء سكنية جديدة.
- رفع مستوى الأحياء القديمة.

برنامج التطوير البيئي:

يحرص هذا البرنامج على الاستفادة من الخصائص الطبيعية، والمحافظة على الموارد المائية، وحماية المناطق الزراعية، وربط مفهوم المحافظة البيئية بالتنمية الشاملة، ويتبدى ذلك في الآتي:

- الحفاظ على المُقوِّمات البيئية الطبيعية المتمثلة بشكل رئيس في وادي حنيفة وروافده.
- وضع أُطر تنظيمية لضبط الأنشطة العمرانية والاقتصادية والزراعية؛ بما يُحافظ على المقوِّمات الطبيعية.
- تشجيع الأنشطة الزراعية الصغيرة والمتوسطة الحجم

التي تُشكِّل نمطاً بيئيًا خاصًا بالدرعية.

. التأكُّد من توازن حجم التطوير العمراني، مع بقاء الخصائص البيئية للمنطقة.

برنامج التطوير الثقافي والتراثي:

يتركز هذا البرنامج حول مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وحي طريف مقر آل سعود، ويعتمد على الآتي:

. ترميم المناطق التراثية بما يُحافظ على قيمتها التاريخية والأثرية.

. إدماج المناطق التراثية والأثرية في البيئة المحيطة، وعدم عزلها، وذلك بواسطة احتضانها مجموعةٍ من الأنشطة الثقافية والترويحية.

. إيجاد بدائل مناسبة لتأهيل المباني التقليدية للاستخدامات العصرية.

. تكوين مجموعة من المؤسسات العلمية والبحثية التي تُشكِّل رافداً لتنمية جوانب ثقافية وتراثية معينة، مثل معهد العمارة الطينية، والمجمع الحِرَفِي، وغيرهما.

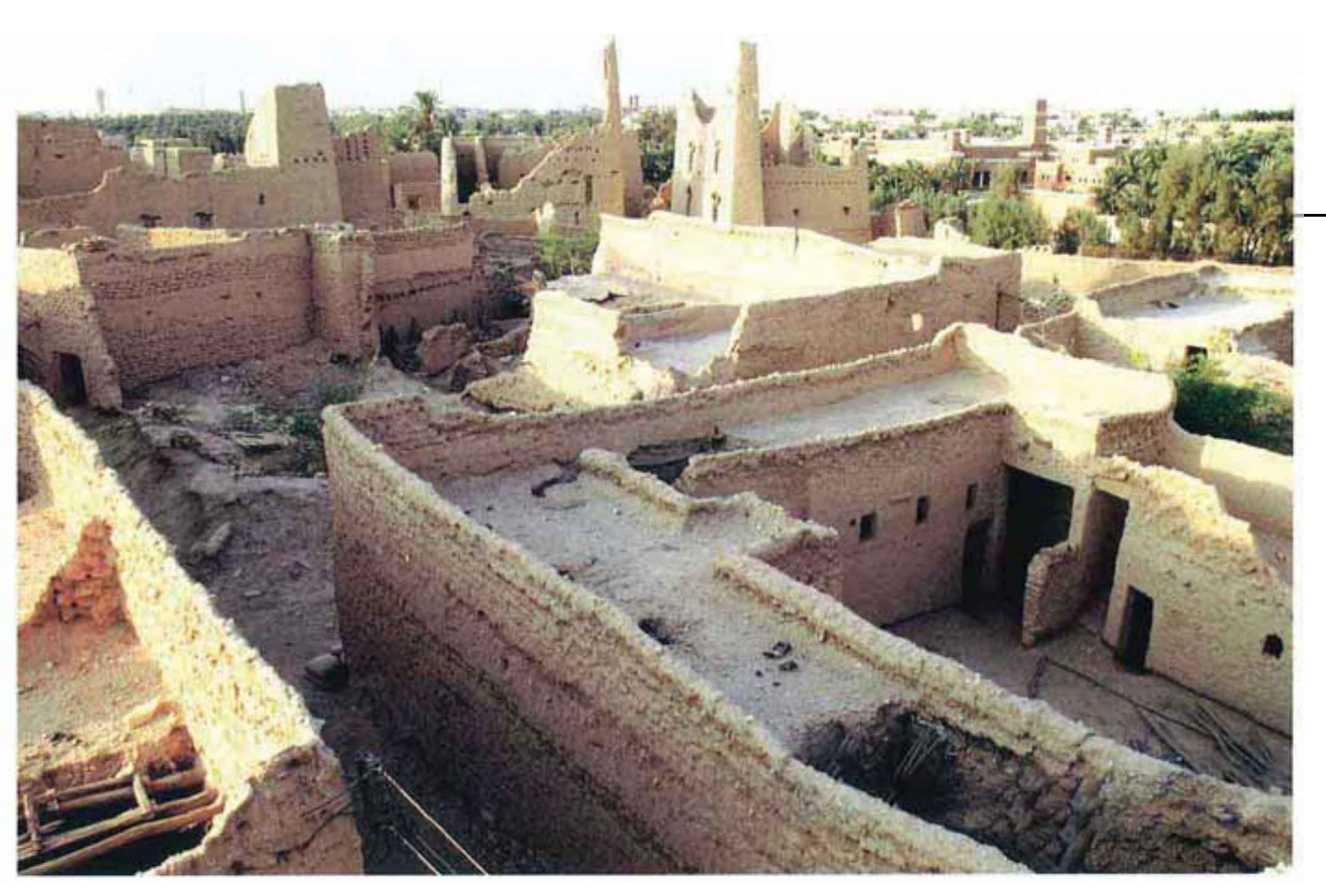
برنامج التطوير الاقتصادي والاجتماعي:

أكدت الرؤية المستقبلية للمدينة أهمية أن يكون لها نشاط اقتصاد قوي، من خلال:

. تقوية القاعدة الاقتصادية الموجودة في الدرعية، القائمة على التوظيف الحكومي، وتجارة التجزئة،

دار الضيافة بحي طريف





لقطة علوية لحي طريف حيث يبدو قصر سلوى في أعلى الصورة

شرعت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض في تنفيذ مشروع إعمار الدرعية التاريخية؛ بهدف بث الحياة في هذه المدينة، التي لها مكانتها التاريخية، وإسهامها الحضاري، لتتحول بأكملها إلى مركز ثقافي وسياحي

والنشاط الزراعي المحدود.

- العناية بدور الأنشطة الاقتصادية الصغيرة.
- استثمار صناعة السياحة لدعم القاعدة الاقتصادية للمدينة.
- تأكيد تفاعل مجتمع الدرعية في العملية التطويرية.

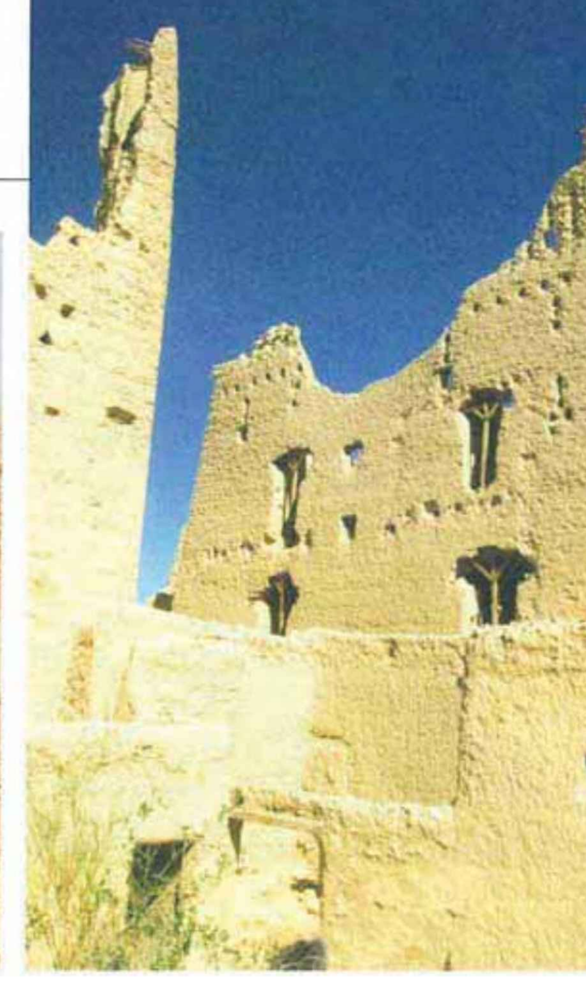
برنامج المرافق العامة

يتم في هذا البرنامج توفير شبكات المرافق العامة، والبنى التحتية داخل المنطقة القديمة والتاريخية، والتنسيق مع جهات الخدمات لإيصال الخطة الرئيسة إلى حدود المنطقة التاريخية والقديمة، وربطها بها.

ولأهمية النقل والمواصلات كان تأكيد ضرورة ربط المناطق الأثرية والمواقع البيئية بالمناطق الحديثة، وتنفيذ محاور وممرات مشاة، وتحقيق ربط أفضل للمناطق المفتوحة، والحدائق العامة، وتحقيق خدمات وأنظمة نقل عالية الكفاءة تخدم السكان والسياح.

ملامح التصميم العمراني الحديث

شرعت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض في تنفيذ مشروع إعمار الدرعية التاريخية؛ بهدف بث الحياة في هذه المدينة، التي لها مكانتها التاريخية، وإسهامها الحضاري، وروعي أن يعكس التصميم العمراني هذا البعد المميز للمدينة، لتتحول بأكملها إلى مركز ثقافي



لقطة مقربة لقصر سلوى



لقطة علوية لقصر ناصر بن سعود

وسياحي بإعادة توظيف مبانيها وآثارها، بما يتناسب مع أهميتها السياسية والتاريخية، وبما يجعلها حاضرة في الحياة اليومية للمدينة .

ويركز التصميم العمراني في إعادة الخصائص العمرانية والبيئية للدرعية، مع توفير الاحتياجات والمتطلبات المعاصرة، وإعادة تشكيل الكتل العمرانية في المدينة، وربط أجزائها، بأن تكون هناك منطقة مركزية تاريخية ضمن حيي السريحة والظويهرة، مع تهيئة هذه المنطقة المركزية لاستيعاب الأنشطة المناسبة، وتحسين طريق الوصول إليها، بما يعطي أهمية كبيرة لحي الطريف من خلال الوصول التدريجي من الربوة عبر الطريق الجديد مروراً بالمزارع، ثم الوصول إلى حي السريحة، وحي الظويهرة، اللذين سيشكلان المركز الجديد للمدينة التاريخية، ثم عبر البجيري، والمريح اللتين ستحولان إلى منطقة ثقافية مروراً بالوادي إلى حي الطريف المقصد الأهم للزوار.

ويقسم التصميم العمراني منطقة التطوير إلى ست

تقوم فكرة تطوير الدرعية على أهمية العمل على أبعاد متعدِّدة المستويات. فهناك بُعْدٌ حضاريٌّ يجعل الإنسان هو محور التطوير. وبُعْدٌ دولي ترقى منه الدرعية: لأن تكون في مَصَافِّ التراث الإنساني العالمي. و بُعْدٌ وطنيٌّ يُمثِّل العُمق التاريخي لِنُشُوء الدولة السعودية



مناطق رئيسة يتميز كل منها بخصائص معينة، تستوعب المرافق المناسبة لها ضمن برنامج التطوير.

المنطقة التاريخية "حي الطريف"

وهي المنطقة الرئيسة في البرنامج لدورها التاريخي، ولاحتوائها على أهم المباني في المنطقة، مثل مجمع قصر سلوى، والمساجد الرئيسة، وحصن الدريشة، وسوف تكون منطقة تراثية ثقافية تركز في احتضان مجموعة من المتاحف، مثل: متحف الدرعية، والمتحف الحربي، ومتحف الموازين والعملات، بالإضافة إلى مركز البناء بالطين.

ويعد برنامج ترميم المباني جزءًا من النشاط السياحي في هذه المنطقة، على أن تتلاءم أعمال الترميم مع المهام الوظيفية للمباني.

المنطقة الثقافية "البجيري والمريح"

تبلغ مساحتها ٢٢٥ ألف متر مربع، وتتمثل هذه المنطقة في حيي «البجيري والمريح»، وتحتضن مركز الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي يشمل مسجد الشيخ القائم، بالإضافة إلى مركز للدعوة، ودار القرآن والمكتبة، وقاعة محاضرات، ومركز إعلامي، وسوف تتخلل الكتل العمرانية في المنطقة مجموعة من الساحات وممرات المشاة، كما سيتم وضع برنامج للصوت والضوء في موقع يطل على حي الطريف، ويحكي البرنامج قصة الدرعية، وما تحمله قصورها، ومبانيها، وأحياؤها من ذكريات أيام مضت بحلوها ومرها.

يقوم الوادي بدور رئيس في تكوين الطابع البيئي المميز للبلدات القائمة عليه. وستتم إعادة الوادي إلى بيئته الطبيعية، بعد تنظيفه، وتحسين مجراه الطبيعي. لكي يكون متنزهًا طبيعيًا تتخلله مجموعة من ممرات المشاة. ويتاح للمستثمرين تقديم خدمات ترفيهية متنوعة

المنطقة المركزية "السريحة والظويهرة"

ستتم إعادة النسيج العمراني القديم للمنطقة، بحيث تصبح مركزاً للنشاط السياحي، وتشكل تهيئة مناسبة لزوار الدرعية التاريخية.

وتحتضن المنطقة المركزية ساحة عامة، ومركزاً للزوار، ومركزاً للحرف، ومجموعة من المحلات التجارية، مع توفير عدد كاف من المواقف لاستيعاب الزائرين للمنطقة، حيث سيتم توفير ١٢٥٠ موقفًا خصص جزء منها تحت المباني التي سيتم تنفيذها والجزء الآخر على سطح الأرض.

وتم إعداد موقع مصلى العيد الحالي ليقام عليه فندق يقوم بتطويره القطاع الخاص، ومن عناصره قاعة احتفالات، ومطاعم، وتم إعداد أعلى الهضبة ليكون موقعًا لاستقبال الزوار، وهو يطل على الوادي، والمزارع، والمناطق الأثرية.

المنطقة السكنية "سمحان والروافية والظهرة"

تتمركز المنطقة السكنية في أحياء سمحان والروافية والظهرة، وهي أكبر المناطق مساحة، وتبلغ ٢٥ هكتاراً، وسيتم تحويل منطقة سمحان، التي تتكون من مجموعة من المباني الطينية إلى فندق تراثي مرتبط في نسيجه بالبيئة المحيطة، كما سيتم تنظيم منطقة الروافية كمنطقة متعددة الاستخدامات، يشجع فيها الملاك على ترميم مساكنهم، واستخدام الأدوار السفلى للأنشطة

النخيل تحفة بالدرعية ليتعانق التاريخ والطبيعة

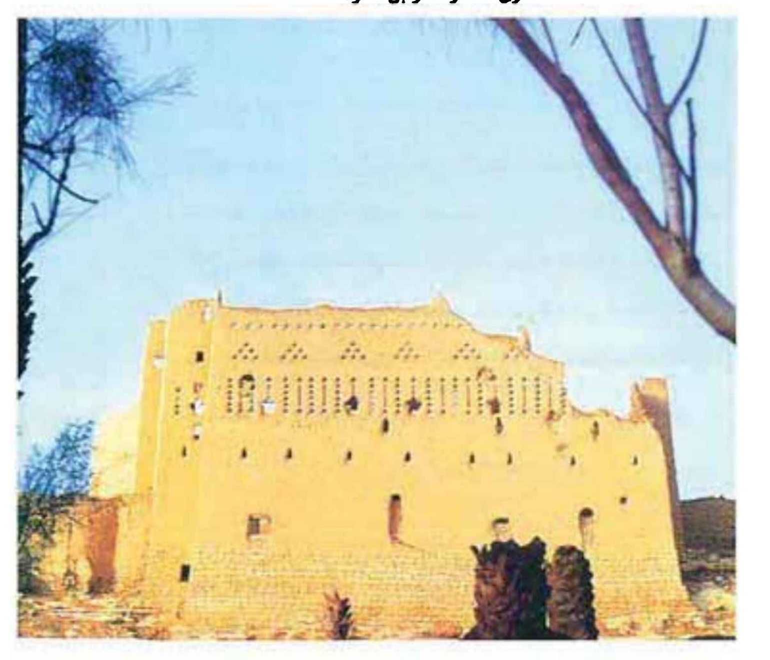
التجارية في بعض الأجزاء في المنطقة.

وتجرى إعادة بناء سوق المزارعين بإشراف بلدية الدرعية، ويتم دعم ملاك المساكن القديمة، وتشجيعهم على ترميمها، والاستفادة منها في الخدمات السكنية.

منطقة المزارع الترفيهية

في هذه المنطقة يتم تعزيز النشاط الزراعي، وقد صممت حركة المشاة فيها، بحيث تسمح باجتياز حيي سمحان والرواقية عبر المزارع والبساتين، وصولاً إلى الوادي عبر ممر المشاة المنفذ حالياً، كما يتم تحسين

لقطة أخرى لقصر عمر بن سعود



الأسوار القائمة التي تفصل عن الطرقات العامة، وذلك للمحافظة على الطابع المميز للمزارع.

منطقة الوادي

يقوم الوادي بدور رئيس في تكوين الطابع البيئي المميز للبلدات القائمة عليه، وستتم إعادة الوادي إلى بيئته الطبيعية، بعد تنظيفه، وتحسين مجراه الطبيعي، لكي يكون متنزهًا طبيعيًا تتخلله مجموعة من ممرات المشاة بشكل فسيح.

ويتاح للمستثمرين في هذه المنطقة تقديم خدمات ترفيهية متنوعة كمربات الخيول، والدراجات، وأكشاك بيع المأكولات الخفيفة، وغيرها.

المنطقة الأثرية "السريحة والظويهرة"

تبلغ مساحتها ٤٣ ألف متر مربع، وتتم المحافظة عليها بوصفها وجهة يقصدها الباحثون؛ بهدف إجراء الدراسات من خلال التنقيبات الأثرية، كما يتاح للجمهور العام زيارتها بشكل لا يؤثر سلبًا في هذه المواقع، مع توفير المعلومات الضرورية. إن الجهود التي تتم لإعادة الدرعية إلى واجهة الحياة متعددة، وهي تشمل، إلى جانب ما سبق، تعديل أسطح الشوارع وتسويتها، وأعمال الرصف والسفلتة، وإزالة بعض الطرق، وإنشاء طرق جديدة، وبناء ساحات عامة، ومسارات للوفود السياحية، تبين حركة المشاة، وحركة السيارات، ووضع لوحات إرشادية، وأعمال إنارة، وأثاث الشوارع، وغير ذلك من الأعمال.

إن برنامج تطوير الدرعية برؤيته الشاملة الهادفة إلى توظيف ما تضمه من مناطق ومبانٍ أثرية بما يتناسب مع أهميتها التاريخية، وبما يجعلها كتابًا مفتوحًا تطالعه الأجيال، لنموذج فريد لتفاعل الماضي مع الحاضر، من أجل استصحاب دروسهما في صياغة مستقبل أفضل، وغد أكثر إشراقًا.

شيراك في الدرعية

وخلال زيارته الرسمية الأخيرة للمملكة التي امتدت عدة أيام، زار الرئيس الفرنسي جاك شيراك آثار الدرعية القديمة وأعرب عن إعجابه بمشروعي تطوير الدرعية ووادي حنيفة، وتناول الإفطار في مزرعة نخيل العذيبات التي تمثل تجربة فريدة في إحياء التراث بعناصره المختلفة، قام بشرحها لضيف المملكة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان ابن عبدالعزيز الأمين للهيئة العليا للسياحة.

وكان من ضمن الوفد المرافق كل من صاحب السمو الأمير أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن محافظ الدرعية، والمهندس عبداللطيف بن عبدالملك آل الشيخ عضو الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ورئيس مركز المشاريع والتخطيط بالهيئة، ود. سعد الراشد وكيل الآثار والمتاحف، والدكتور مساعد عبدالله المسيند رئيس بلدية الدرعية الذين قدموا شرحًا وافيًا عن مشروعات التطوير التي تشهدها الدرعية إحياءً لدورها التاريخي.

المراجع

١. الدرعية والدولة السعودية الأولى، ولهام فهمي، مؤسسة التراث في الرياض بالتعاون مع مركز لندن للدراسات العربية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢. الدرعية: ماض مجيد ومستقبل مشرق، بلدية محافظة الدرعية، إصدار خاص بمناسبة ندوة الشراكة بين الأجهزة البلدية والقطاع الخاص، ١٤٢٥/٢/١ (٢٠٠٤/١٢/٢٠م).

٣. الدرعية: العاصمة الأولى، عبدالله محمد بن خميس، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤. أعداد من مجلات تطوير، الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.





قراءة أولية في اقتصاديات المعرفة الحديثة

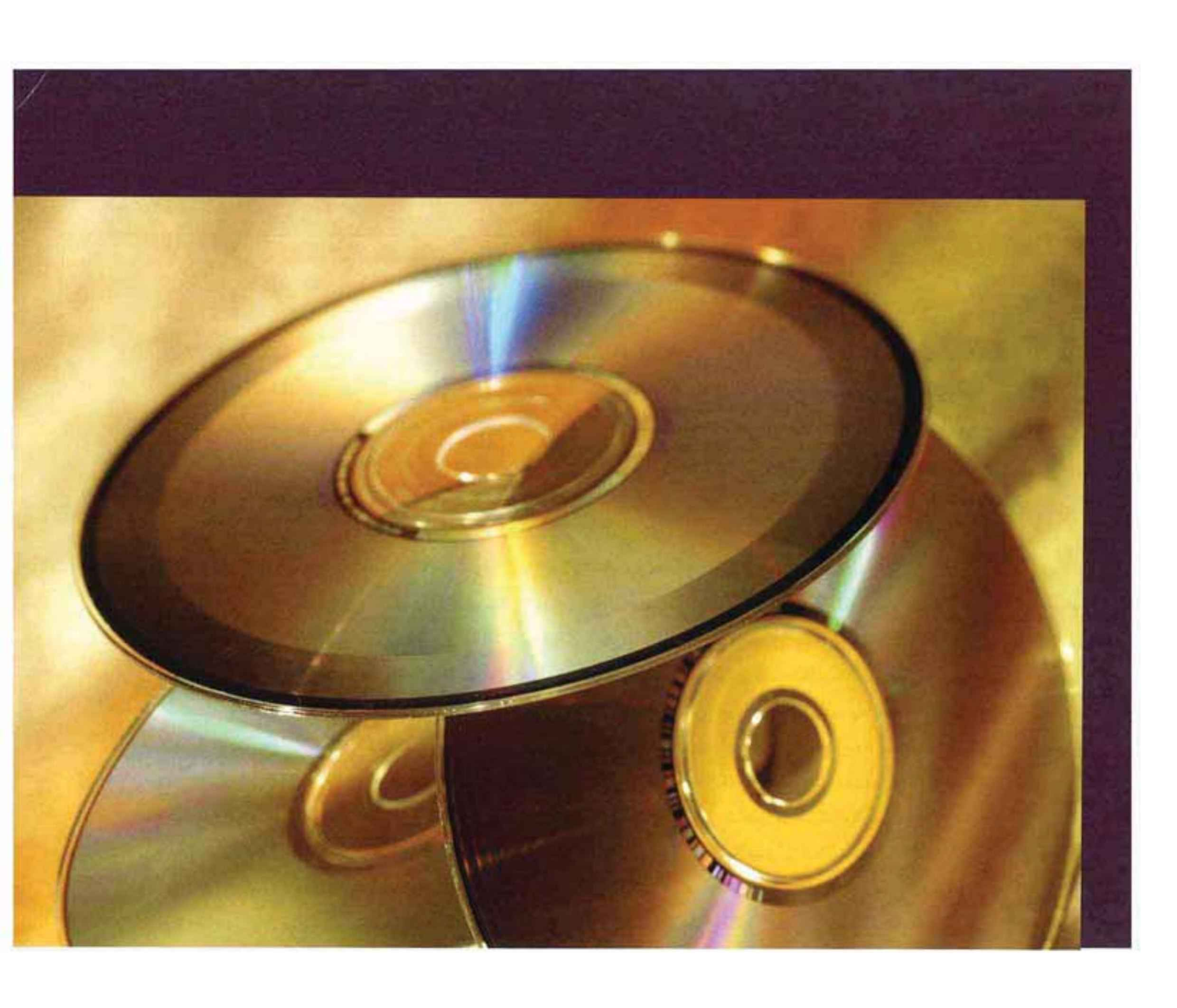
حسن مظفر الرزّو

نينوى ـ العراق

إن سيادة مفاهيم مجتمع المعلومات في عصرنا الراهن قد أفرزت جملة من المتغيرات الجديدة في شبكة العلاقات المقيمة بين منظومة تقنيات المعلومات والمنظومة الاقتصادية. وقد برزت على ساحة شبكة العلاقات هذه جملة من الاصطلاحات الاقتصادية ـ المعلوماتية المستحدثة، مثل الفائض المعرفي، والقيمة المضافة للمعرفة، وغيرها، التي تشير إلى بزوغ فجر لاقتصاد المعلومات والمعرفة.

وتفتقر عملية تناول مسألة اقتصاد المعرفة إلى خلفية علمية رصينة، وخبرة عميقة بالتقنيات، التي أفرزها الخطاب المعلوماتي المعاصر؛ لامتلاء منطقة التداخل بين منظومتي تقنية المعلومات والاقتصاد بالكثير من العقبات، التي تثير جملة من المسائل الاقتصادية التي بدأت بالظهور على ساحة الاقتصاد العالمي المعاصر في ظل تيارات العولمة السائدة.

لقد برزت أهمية المعلومات بالموازين الاقتصادية في ضوء تعدد مستويات الدلالة الاقتصادية للمعلومات بمنظومة الإنترنت، وشبكات الاتصال المقيمة في جل مساحة النشاط الإنساني، فأضحت سلعة وخدمة اقتصادية، تعدّ قواعد بياناتها، وبرمجياتها التطبيقية موارد اقتصادية مهمة. وأضحت المعلومات بمنظور عصرنا الراهن مالاً، وموردًا تنمويًا خصبًا يفوق في أهميته الموارد المالية التقليدية، وتحوّل المال بدوره إلى شيفرات ونبضات إلكترونية تتناقلها المؤسسات الاقتصادية في تعاملاتها المالية الإلكترونية المختلفة، بحيث أصبحت مادة المعرفة ـ في عصر المعلومات ـ



موردًا خصبًا لصناعة قائمة بذاتها، ومحورًا أساسيًا لعمليات التنمية الاقتصادية، والتقنية، والاجتماعية في المجتمع المعاصر.

وعليه، فإنه، في ظل المفاهيم الجديدة التي أفرزها مجتمع المعلومات، سوف تتزايد أهمية اقتصاد المعرفة كمورد أساسي للدخل القومي، ويتزايد الطلب على إبداع الفكر العلمي والثقافي؛ من أجل إنتاج سلع معرفية مبتكرة ذات قدرة تنافسية عالية في السوق. وستبرز في هذه البيئة الاقتصادية الجديدة أهمية التراث العلمي الإسلامي، وستحتل اللغة موقعًا متميزًا في المنظومة الاقتصادية كنتيجة منطقية للمكانة التي ستتبوؤها صناعة المعرفة الإسلامية بمجالات ترسيخ الركائز العقيدية والشرعية بالمجتمع الإسلامي، وسيادة أنشطة التعليم والإرشاد الديني، أو تعميق ثقافة المسلم المعاصر بمفردات المنظومة الثقافية والتاريخية الإسلامية، وعكس الصورة الصحيحة للدعوة الإسلامية لمجتمع المعلومات، الذي يقيم على تخوم شبكة المعلومات، أو يبحر بين مواقعها المختلفة.

الموارد الاقتصادية الجديدة

أفرزت التقانات المعلوماتية، التي تسود عصرنا الراهن، جملة من المفاهيم الجديدة التي حملت تأثيرات ملموسة في جلّ الأنشطة الاتصالية المقيمة في المجتمع المعاصر. فبرزت اصطلاحات: البيانات، والمعلومات، والمعارف بوصفها موارد جديدة للمنظومة الاقتصادية. وتظهر بجلاء الأهمية المتزايدة للمعلومات في ضوء تعدد الأدوار الاقتصادية لها، فالمعلومات سلعة اقتصادية، وخدمة اقتصادية، وبرمجياتها وقواعد بياناتها ومحتواها بمنزلة أصول اقتصادية، علاوة على كونها موردًا حيويًا مساندًا لجميع الأنشطة الاقتصادية الأخرى.

تؤدي البيانات Data دورًا مهمًا في حياة المجتمع، وتتألف البيانات من حقائق، وأرقام، ومخططات، ورموز يمكن من خلالها وصف الأفكار، الكائنات Objects، والمواقف. استخدم اصطلاح المعلومات لصياغة حد فاصل بين ركام البيانات التي تنشأ عن جملة الأنشطة البشرية، وعملية استثمارها وإحالتها إلى حقائق تحمل قيمة عبر جملة من الآليات، التي تنحو باتجاه اختيار شرائح محددة من البيانات المتوافرة، فيصار إلى تصنيفها، وتبويبها، على ضوء متطلبات الجهة المستفيدة منها، التي تتحدد بطبيعة المشكلة القائمة، والمتغيرات الزمانية والمكانية، التي تحيط بها، وطبيعة المهمة التي قد نيطت بها.

على ضوء ما ذكر يمكن تعريف المعلومات بأنها مجموعة الحقائق، والآراء التي تنشأ عن أنشطة الفرد بوصفه منتجًا لها أو مستفيدًا منها. أما المعارف فتسمو فوق المعلومات باشتمالها، بجانب المعلومات، على الخبرات والقدرة على الاستنتاج، واستخلاص الحكمة من قلب الضوضاء المقيمة في ساحة البيانات عبر المعالجة الذكية، التي توظفها تقنيات هندسة المعرفة والذكاء الحاسوبي - الاصطناعي للمعلومات.

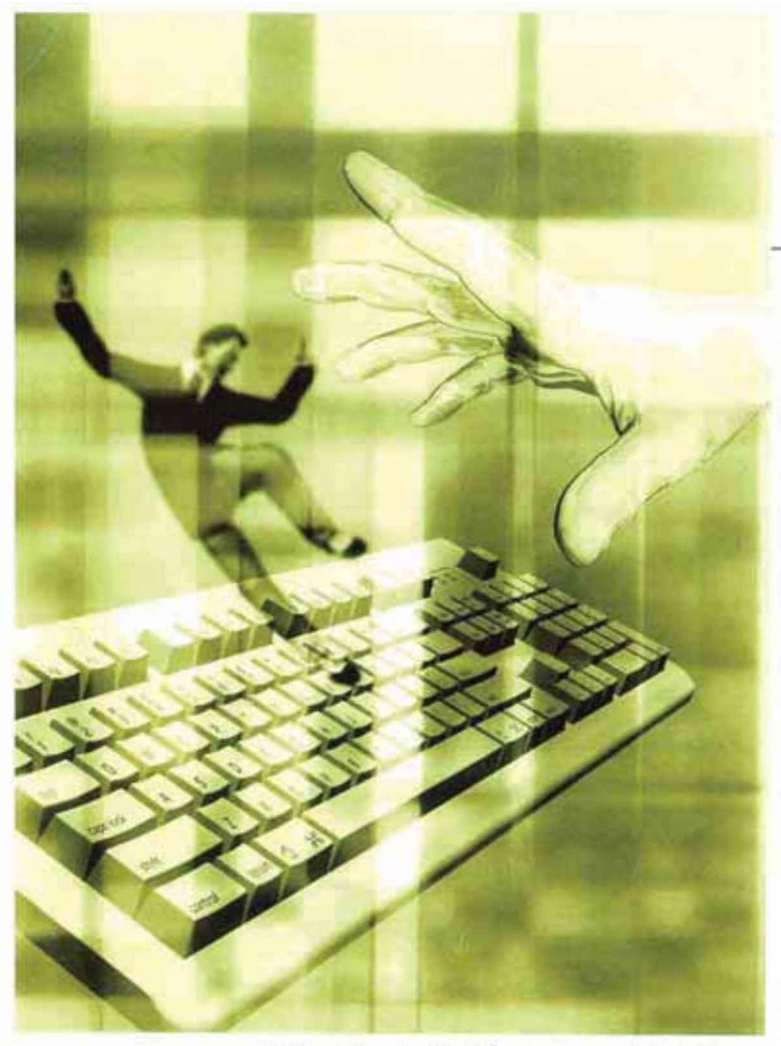
يعمد المرء إلى إنتاج معارف ومعلومات جديدة من سيل البيانات الذي يتدفق إليه، يستخدم بعضها للتواصل مع البيئة المحيطة به، من خلال الخطاب الذي ينشئه مع الآخرين، عبر الوسائط المكتوبة، أو المسموعة، أوالمرئية (الوسائط المتعددة).

ويباشر المرء إدارة سيل المعلومات الواردة إليه طبقًا لأنموذج ذاتي يمثل حصيلة المعارف والخبرات الشخصية فينشئ من خلالها شبكة من العلاقات المنطقية التي يمكن أن يطلق عليها اصطلاح قاعدة المعرفة، لكي يستطيع من خلالها ترجمة المعلومات المتوافرة لديه إلى قدرة ذاتية على عمليتي التحليل والتركيب اللتين توفران له عنصر الخبرة العميقة والبصيرة النافذة عند التعامل مع مفردات البيئة المحيطة به.

لا يقتصر استخدام اصطلاح المعلومات على لغة الخطاب المنطوق (لغة التعبير المدوّن - اللغة الطبيعية) فحسب، بل يشمل جميع أنواع الإنتاج الإنساني التي تتجه إلى الآخر، كالأعمال الفنية، وتعابير الوجه، وغيرها من مفردات النشاط البشري، التي يلازم كل منها انطباعًا لدى الآخر، فيكسبه معرفة جديدة.

ازداد الاهتمام بالمعلومات خلال العقد الأخير من

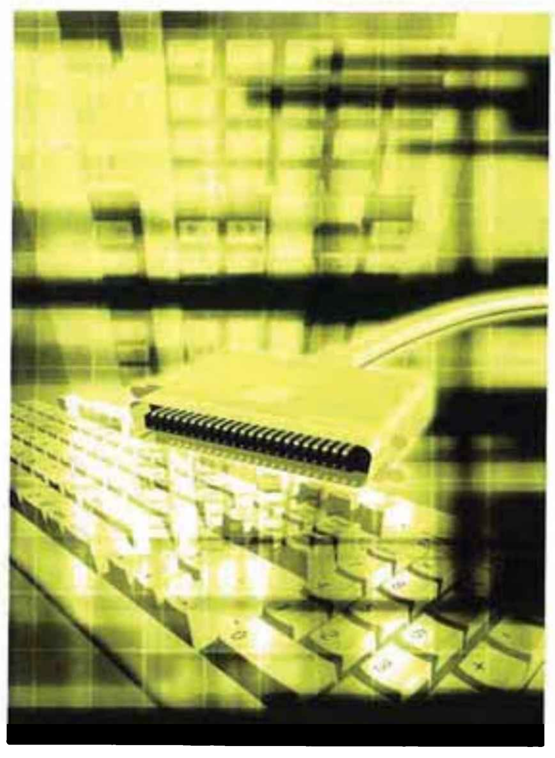
المعلومات مجموعة الحقائق والآراء، التي تنشأ عن أنشطة الفرد بوصفه منتجًا لها أو مستفيدًا منها. أما المعارف فتسمو فوق المعلومات باشتمالها، بجانب المعلومات، على الخبرات والقدرة على الاستنتاج



تقنيات المعلومات أتاحت فرصاً كثيرة للتعامل مع المفردة المعرفية

القرن العشرين، وأضحى موضوعًا تتناوله المؤسسة الأكاديمية بشتى مناحي الفكر الإنساني: كالفلسفة، والفيزياء، وعلم الأحياء، واللغويات، وعلوم الحاسوب والمعلوماتية، والإلكترونيات وهندسة الاتصالات، وعلوم الإدارة، والعلوم الإنسانية بمختلف ميادينها المتفرعة.

إن التغييرات الجديدة التي أفرزتها علوم الحاسوب قد أنشأت مفاهيم مستحدثة، جعلت من المعلومات موردًا خصبًا لجملة من الفعاليات، والتقنيات التي وجدت وراء حروف الأبجدية ميدانًا ثريًا لإنشاء مفاهيم، وعلاقات، وسبر بنية الجملة، ودلالة المفاهيم بالشكل، الذي نبّه الإنسان المعاصر



توظيف تقنيات العصر ضرورة لمعالجة التخزين المعرفي

على الثروة الهائلة التي تكمن وراء أكداس النتاج الفكري البشري المتناثرة، إذا ما تم التعامل معها بوصفها نظامًا متسقًا، تحكمه قوانين المنطق المعلوماتي الجديد. لقد أصبحت المعلومات وفق هذا المنظور الجديد موردًا، وثروة لا تنضب لمن أحسن استثمارها!. نشأ عن ظاهرة طغيان المعلوماتية على جلّ أنشطة الإنسان المعاصر، بروز مفاهيم جديدة، منها عدّ النتاج الفكري مورد الموارد، فأضحت المعلومات تصنف كأحد المكونات الرئيسة للبنية الاقتصادية للمجتمع الجديد. وسادت مفاهيم تصنيع المعلومات، والسيطرة عليها، ومعالجتها، ثم استثمارها **في شتى الميادين المعاصرة، وتبوأت مكان الصدارة في اهتمامات معظم بلدان العالم. فأصبح الإنسان**

المعاصر يعتمد اعتمادًا كليًا على أوعية المعلومات بوصفها موردًا خصبًا يمكن من خلالها تحقيق الأهداف، إضافة إلى كونها وعاء إستراتيجيًا تنمو من خلاله مفاهيم جديدة بين أفراد عائلتي المعلومات والتطبيقات الميدانية بشتى اختصاصاتها. وتسعى المؤسسات الاقتصادية، في الوقت الراهن، إلى إكساب المنتج المعرفي والإبداعي طابع السلعة التجارية، ومن ثم التوجه صوب إعادة تشكيل المؤسسات الثقافية في قالب النمط الإنتاجي - الاقتصادي.

الموارد المعرفية بمنظور معلوماتي

أتاحت تقنيات المعلومات أكثر من فرصة فريدة للتعامل مع المفردة المعرفية لم توفرها التقنيات التي سبقتها، فوفرت أدوات فعالة للحرث طولاً وعرضًا في متن النصوص، وتحليل مضمونها، واستظهار ما يستتر بين تضاعيف سطورها من دلالات وعلاقات تربط بين ألفاظها، وجملها، وفقراتها.

وبهذا فقد تحرر الخطاب المعرفي من القبضة الخطية الصارمة التي فرضتها حضارة طباعة جوتنبرج، التي أودعت معارفنا في هيكلية خطية Linear Structure، بحيث صرفتنا هذه الهيكلية عن سبر الشبكة الكثيفة من العلاقات الدلالية والمنطقية، والتركيبية، والموضوعية، التي تقيم بين مفردات الخطاب الذي نتأمله بالقراءة والنقد.

وبهذا تكون قد فتحت هذه الإمكانيات المستحدثة أمامنا بابًا واسعًا لدراسة جديدة ومتعمقة لبنية نصوص المعرفة الإسلامية، وشبكة العلاقات المقيمة بين علومها المختلفة، بعد أن نباشر عملية تفكيك لظاهرة الانغلاق النصي، الذي لم يعد مناسبًا في عصر العولمة والمعلوماتية.

إن التعامل الجديد مع نصوصنا ينبغي أن يعتمد مبدأ المعالجة المتأنية للخزين المعرفي الإسلامي، الذي لا تجارينا فيه أمة من الأمم السابقة، وتناول مفرداته بعناية بالغة، ووفق منطق محكم يحاول استنباط القواعد التي وظفها المحدثون، والأصوليون، والفقهاء، وأئمة علوم الكلام، عن طريق ترجمتها إلى معرفة كلية، نستطيع الاهتداء بهديها المستنير عندما نتعامل مع المسائل الجديدة، أو نحاول قراءة نصوصنا، التي بدأت تعاني نكوص المسلم المعاصر عن قراءة مطولاتها، وغياب المعرفة الكافية لديه بمقاصد الشريعة الإسلامية وكلياتها، التي قد تسعفنا في انتقاء الرأي الصائب من زحام الآراء المنقولة هنا وهناك.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد تصاعدت وتائر الإنتاج الفكري في شتى ميادين المعرفة الإسلامية، وازدادت أعداد الكتب المحققة نتيجة للحركة العلمية النشيطة في المؤسسات العلمية المختلفة، ودور النشر، وهو ما نشب عنه تفاقم ظاهرة التراكم المعرفي التي يصعب تناول مادتها دون توظيف آليات مستحدثة يعالج من خلالها النص من خلال مجموعة مراحل من الانتقاء، وتقطير المحتوى؛ لاستبعاد المفردات المتكررة من مادته الأصلية، وإقصاء المواد الغثة، التي باتت ترهق النص الذي بدأنا نودعه

وفرة المعلومات ليست سمة ضرورية لمجتمع المعلومات. وهي إن حدثت لا تصنع بالضرورة مجتمعًا قائمًا على المعلومات، وإنما قد تصنع مجتمعًا تائهًا - بل ومشلولاً - تكتظ قنوات اتصاله بالمعلومات

في البيئة المعلوماتية الجديدة، وباتت تقف عائقًا أمام استثمار دلالته.

وقد برزت في الوقت الراهن مقولة «إن المعلومات الأكثر ليس بالضرورة هي المعلومات الأفضل»؛ لأن زيادة حجم المعلومات باتت تشكل عائقًا معرفيًا يحول دون إمكانية استثمار فحوى الخطاب من مفرداتها الواسعة والمتشابكة مفاهيميًا بسبب غياب المنطق الموحد الذي يحكمها. ومع مرور الوقت، وازدياد كثافة الفيض المعلوماتي، الذي بدأ يستوطن بيئة الإنترنت، والشبكات المعلوماتية، بدأ المتخصصون ببذل جهود مكثفة لإيجاد مخرج من هذا المأزق التقني والمعرفي، فظهرت أكثر من معالجة للتعامل مع الكم الهائل من البيانات المطبوعة والرقمية المودعة في فضاء المعلومات. وقد تفوق عليها جميعًا أسلوب التنقيب عن المعلومات واستنباط المعرفة Data Mining من الركام المعلوماتي.

ترتكز هذه المعالجة المفاهيمية إلى مبدأ استنباط المعلومات الضمنية، التي كانت مجهولة سابقًا، من البيانات المنتشرة في قواعد البيانات المتمثلة بالإنتاج الفكري الإنساني. وقد استثمر اصطلاح التنقيب من المعلومات أوجه التشابه بين عمليتي التنقيب عن المعلومات المهمة والثمينة في أعماق قواعد البيانات العملاقة، وعمليات التنقيب التي يجريها علماء طبقات الأرض في أعماق الطبقات الجيولوجية؛ بحثًا عن المعادن الثمينة، التي تستقر في صخورها، حيث تتضمن هاتان التقنيتان عملية استخلاص وتركيز لمحتويات المادة الخام، وسبر مادتها للوصول إلى اللب الثمين الذي يكمن في هيكلها.

وعلى الرغم من أن بعضهم يستخدم اصطلاح التنقيب عن المعلومات، واستنباط المعرفة كوجهين لعملة واحدة، إلا أن التنقيب عن المعلومات يعدّ مرحلة أولية على طريق استنباط المعرفة التي تعدّ عملية تكثيف مستمرة للمعلومات واستخلاص زبدتها المعرفية.

تتألف عملية استنباط المعرفة من جملة مراحل تبدأ من عمليات جمع البيانات الخام، لتنتهي عند عملية جني المعرفة من بين ركامها، ووفق الخطوات الآتية:

. تهذيب البيانات Data Cleansing، ويطلق عليها في بعض الأحيان تطهير البيانات Data Cleaning، وهي عبارة عن المرحلة التي يتم خلالها استبعاد البيانات المشوشة، وتلك التي لا تمت بصلة متينة إلى جل محتوياتها.

. تكامل البيانات Data Integration: ويتم في هذه المرحلة لمّ شمل البيانات المقيمة في أكثر من مورد معلوماتي ضمن مورد مشترك يجمعها.

. انتقاء البيانات Data Selection: ويتم في هذه المرحلة انتقاء البيانات ذات الصلة بعملية التحليل المعلوماتي، واسترجاعها من ركام البيانات الخام.

. نقل البيانات Data Transformation: ويطلق على هذه المرحلة اندماج البيانات وتماسكها Data Consolida-tion حيث يتم خلالها تحويل البيانات المنتقاة إلى قوالب منطقية أو معرفية تناسب الآليات المعتمدة في عمليات التنقيب عن المعلومات.

. التنقيب عن المعلومات Data Mining: وتعد المرحلة

أفرزت التقانات المعلوماتية، التي تسود عصرنا الراهن، جملة من المفاهيم الجديدة التي حملت تأثيرات ملموسة في جلّ الأنشطة الاتصالية المقيمة في المجتمع المعاصر

الحاسمة التي توظف خلالها الآليات المعلوماتية والمعرفية لاستخلاص الأنماط المفيدة الموجودة في مادتها.

. تقويم الأنماط Pattern Evaluation: ويتم في هذه المرحلة تمييز أهم الأنماط التي تسهم بصور فاعلة في وصف المعرفة بالاستناد إلى معايير محددة.

. تمثيل المعرفة Knowledge Representation: وتعد المرحلة الحاسمة التي يتم خلالها التمثيل الصوري للمعرفة المستنبطة، فتصبح جاهزة للمستخدم. وتوظف في هذه المرحلة الآليات والتقانات المرئية Visualization Techniques لدعم المستخدم ومساعدته على فهم نتائج عمليات التنقيب عن المعلومات وتفسيرها.

وعليه ينبغي أن تمر مواردنا الإسلامية بسلسلة من المعالجات التي تباشر عمليات حراثة مفاهيمية لمفردات النصوص المودعة في المصنفات لكي تصلح مادتها للتداول في بيئة مجتمع المعلومات المعاصرة.

معالجة أولية لرأس المال المعرفي بميدان الحديث النبوي:

إن الموارد المعرفية الإسلامية التي تتوزع بين علوم القرآن، وكتب السنة والصحاح ومسانيدها، والتراث الفقهي والعقيدي الإسلامي الخصب باتت بحاجة ماسة إلى إعادة تشكيل مفرداتها، بحيث تتلاءم بعرض مضامينها مع التقنيات المعلوماتية المعاصرة، التي بدأت بإبعاد الكتاب التقليدي من ساحة التداول في عملية تداول المعارف والعلوم.

لذا فإن المستقبل القريب سوف يطرح أمامنا مجموعة من المعالجات المعلوماتية لمعرفتنا الإسلامية، التي قد تمارسها جهات غير إسلامية، تنوي جني أرباح من هذه المعالجة، أو محاولة تغيير الهيكلية المعرفية لعلومنا الإسلامية.

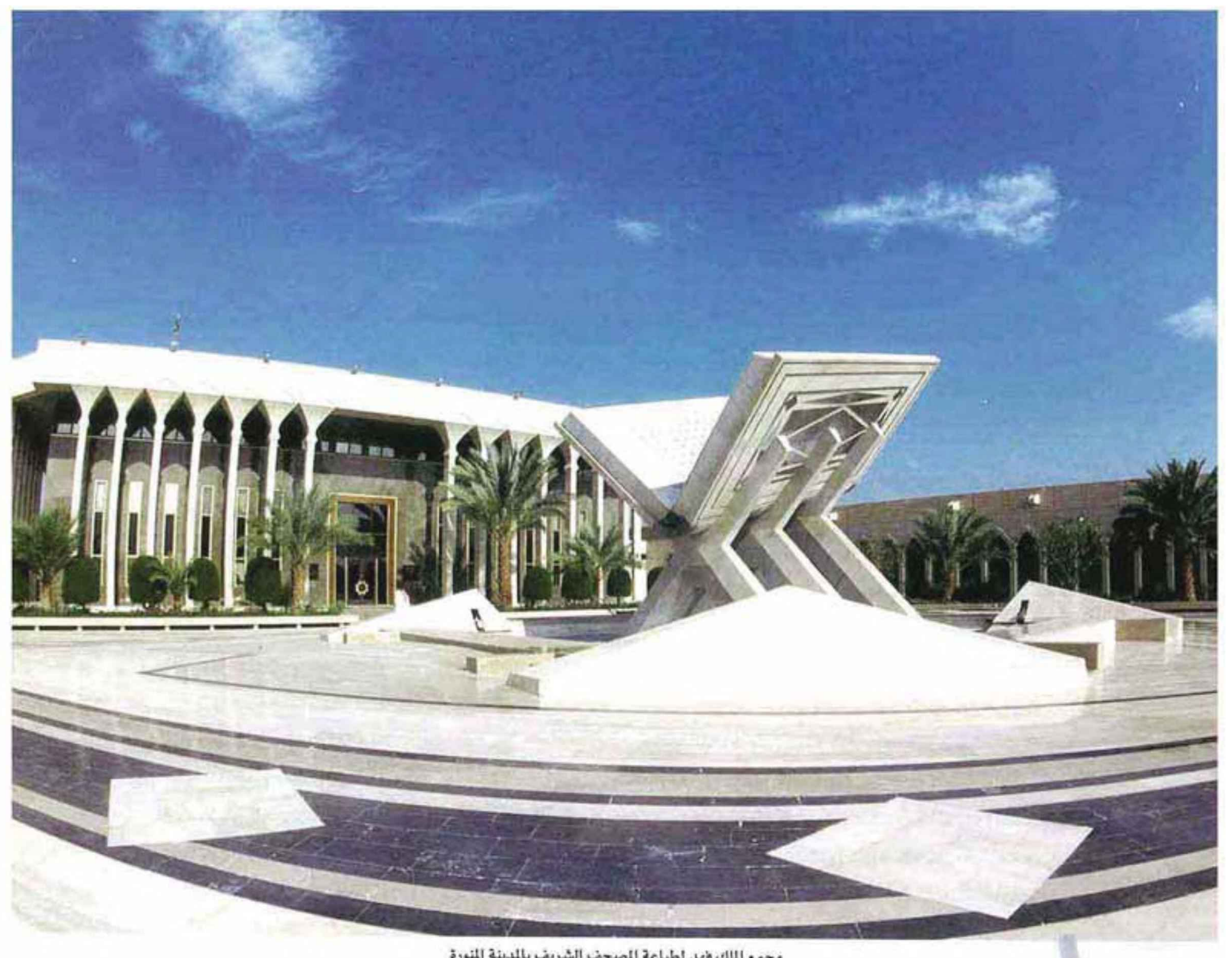
> أتاحت تقنيات المعلومات أكثر من فرصة فريدة للتعامل مع المفردة المعرفية لم توفرها التقنيات التي سبقتها، فوفرت أدوات فعالة للحرث طولاً وعرضًا في متن النصوص، وتحليل مضمونها، واستظهار ما يستتر بين تضاعيف سطورها من دلالات وعلاقات

التي ترتبط بعقيدتنا، وتعاملنا مع خطاب الوحي.

لذا بات من الضروري التفكير في تقعيد انموذج معرفي لخطاب الوحي، يستثمر مادته من موارد الشريعة، وأقوال الفقهاء، والمحدثين، والمفسرين، على ان يتناسب بأسلوب عرضه مع تقنيات المعلوماتية المعاصرة. ولكي لا نضيع في معالجات تفصيلية، حاولنا التركيز في معالجة الأنموذج المعلوماتي للسنة النبوية المطهرة.

إن موارد الأنموذج المعلوماتي لحوسبة السنة النبوية تؤلف البنية الهيكلية التي يتكئ إليها، والتي تنبثق عن طبيعة العلاقات القائمة بينه، وبين بقية موارد علوم الحديث النبوي، التي يستنبط منها مفاهيمه المعرفية. ولما كانت المعرفة الحديثية منتشرة في أعداد كبيرة من الكتب الصحاح، والمسانيد، والمصنفات في علوم الحديث ومصطلحه،





مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

فإن جل النشاط المعلوماتي سيبدأ من هذه الموارد المباركة، بوصفها الأساس الذي ستنشأ على أرضيته القواعد الحاسوبية المستخدمة في إصدار الأحكام المختلفة بصدد الوقائع العلمية الحديثية.

إن عملية اقتناص المفردة المعرفية الحديثية من مواردها الأصلية بحاجة إلى دراية، وخبرة عميقتين في ميدان علوم الحديث، حيث تظهر الحاجة إلى المتخصصين في هذا المضمار بعملية انتقاء النصوص، وتبويبها، ومعالجتها وفق مفاهيم أئمة الحديث في كل عصر من العصور.

أما في مضمار المعالجة المعلوماتية فيأتي دور مهندس المعرفة، الذي يعمد إلى تبويب هذه المفردات إلى أقسام رئيسة:

القسم الأول: البيانات:

بصورة عامة يستخدم اصطلاح البيانات Data لوصف الكائنات والأرقام، والإحصائيات، وغيرها ... والتي تصلح للخزن أو المعالجة في البيئة الحاسوبية. وعليه ستتألف البيانات الحديثة من أية مفردة معرفية تستخدم في ميدان علوم الحديث،

مهما كانت طبيعة الاستخدام، مع استبعاد طبيعة العلاقات القائمة بينها وبين غيرها من المفردات السائدة في هذا العالم.

لذا فإن المفردات التي تتعلق براوي الحديث، كالاسم، واللقب، والكنية، وسنة الولادة والوفاة، وأسماء الشيوخ الذين تلقى عنهم علومه، وأسماء التلاميذ الذين نقلوا الرواية عنه، وغيرها من المفردات هي بيانات تتعلق براوي الحديث، لكونها واضحة بذاتها، وقابلة للخزن في وسائط خزن البيانات المتاحة على الحاسوب.

القسم الثاني: المعلومات

استخدم اصطلاح المعلومات لصياغة حد فاصل بين ركام البيانات التي تنشأ عن جملة الأنشطة البشرية، وعملية استثمارها وإحالتها إلى حقائق؛ بذلك أضحى تعريف المعلومات بأنها عبارة عن جميع أنواع البيانات التي تم تجميعها بالملاحظة، أو المراقبة، أو التدوين (مسموعة كانت أم مرئية)، وتمتاز بكونها قابلة للمعالجة بتقانات الحاسوب والآليات المعلوماتية المتاحة، فتتحول إلى خطاب يحمل دلالة معرفية قابلة للتفسير، والتداول بما يضمن إكساب الجهات التي تستخدمها معارف، أو حقائق قابلة للاستثمار في شتى ميادين الأنشطة المعاصرة.

وفي ضوء ذلك، يمكن إنشاء المعلومات من رواة الحديث، عبر معالجة حديثية تصنف على أساسها طبقاتهم، وفق بعد زمني، أو عن طريق توظيف البيانات المتوافرة عن ثبوت لقاء المحدث وسماعه من محدث آخر، فتتحول البيانات الخام التي تصف المحدث إلى معلومات قابلة للاستثمار من قبل العاملين في ميدان الحديث النبوي عند ظهور الحاجة إلى إصدار حكم بصدد عدالته.

القسم الثالث: المعرفة

تمتاز المعرفة بكونها عملية تقطير للبيانات والمعلومات؛ لإنتاج قواعد منطقية تصلح للتوظيف في تجاوز عقبات مماثلة، أو توليد سلوك ذكي يتسم بالخبرة والحنكة في معالجة المواقف. لذا فإن عملية توصيف المعرفة تشمل: اختزان المفردات، واختيار الآليات المناسبة لمعالجة البيانات والمعلومات وفق شبكة العلاقات والقواعد، التي تربط بين هذه المفردات في أنموذج معلوماتي، تتكامل فيه الأواصر القائمة بين هذه المفردات بالشكل الذي يوفر بيئة برمجية متكاملة، تمتلك القدرة على صنع قرار، يستثمر محتويات قاعدة المعرفة في تحقيق الغايات المحددة له.

يبدو واضحًا أن موارد الشريعة الغراء (الحديثية في الأنموذج الذي تبنيناه) سوف تشكل أهم مقومات البنى التحتية لصناعة المعرفة الإسلامية. وأن عنصر القيمة المضافة إلى كل مفردة من مفرداتها يزداد تدريجيًا باتجاه تحويل الموارد الخام إلى معرفة قابلة للاستثمار بالأدوات المعلوماتية المتاحة.

وعليه فإن المعرفة الحديثية ستكون الثمرة المتوقعة

لا يقتصر استخدام اصطلاح المعلومات على لغة الخطاب المنطوق (لغة التعبير المدوّن - اللغة الطبيعية) فحسب، بل يشمل جميع أنواع الإنتاج الإنساني التي تتجه إلى الآخر، كالأعمال الفنية، وتعابير الوجه، التي يلازم كل منها انطباعًا لدى الآخر، فيكسبه معرفة جديدة

المادة	الفقرة	طبيعة المعالجة المعلوماتية	القيمة الاقتصادية
موارد المعرفة الحديثية الفقرة	. موارد السنة النبوية رواية ودراية.	لا تقتصر إلى معالجة معلوماتية معرفية بل إلى عملية توثيق تقليدية	ترتبط بمحتوى النص ومرجعيته.
	. إعادة صياغة الموارد لإنتاج نسق معرفي جديد.	بحاجة إلى صياغة هيكلية لقواعد البيانات، واعتماد مفاتيح تتلاءم مع النسق المعرفي.	قيمة مضافة تعتمد على محتوى النسق المعتمد في المعالجة وطبيعته.
	. إنتاج معرفة حديثية.	إنشاء قواعد معرفية تستثمرها نظم خبيرة متخصصة في إصدار الحكم بميدان علم الحديث دراية أو رواية.	قيمة مضافة بحسب طبيعة المهام المعرفية التي ينفذها النظام الخبير.

الجدول رقم (١): مكونات رأس المال المعرفي الحديثي

التي ستنتج عن سبر مفردات علوم الحديث، في أي فرع من فروعه، والوصول إلى مرحلة استنطاقها في إصدار أحكام نقدية دقيقة، عند تفحص المعلومات المنتشرة في المراجع العلمية.

لذا ستظهر الحاجة إلى ترجمة الخزين التراثي والمعرفي الإسلامي إلى مادة خام قابلة للتوظيف في عملية الإنتاج المعرفي، وإلى إرساء أسس اقتصاد معلوماتي . معرفي إسلامي، يرسي أسس صناعة معرفية عربية إسلامية، تمتلك مقومات المنافسة على معالجة موارد خطاب الوحي بأدواتنا بدلاً من أن تعبث بها أدوات المعلوماتية الغربية المارقة التي تخطط لتفريغ هويتنا الإسلامية من مضامينها الإسلامية الحقة.

> برزت في الوقت الراهن مقولة: "إن المعلومات الأكثر ليست بالضرورة هي المعلومات الأفضل": لأن زيادة حجم المعلومات بانت تشكل عائقاً معرفياً يحول دون إمكانية استثمار فحوى الخطاب من مفرداتها الواسعة والمتشابكة مفاهيمياً بسبب غياب المنطق الموحد الذي يحكمها

الآليات المقترحة للتعامل مع موارد السنة المطهرة

يظهر في جدول (٢) الموارد الحديثية المطلوبة للأنموذج، مع بيان ماهية المعرفة المحوسبة التي يمكن استنباطها من كل نوع من أنواع هذه الموارد.

إن عملية اقتناص المفردة المعرفية من الموارد المذكورة في جدول رقم (٢) بحاجة إلى دراية، وخبرة عميقتين في ميدان علوم الحديث بحيث تظهر الحاجة إلى المتخصصين في هذا المضمار بعملية انتقاء النصوص، وتبويبها، ومعالجتها وفق مفاهيم أئمة

ت	المورد الحديثي	طبيعة المعرفة الحديثية القابلة للاستنباط
١	صحيحي البخاري ومسلم	. قواعد الحكم على طرق الحديث الصحيح. . أصح الأسانيد للروايات الحديثية. . تحديد سلاسل الإسناد الصحيح لكل صحابي جليل. . حوسبة منهج الشيخين في تصحيح الأحاديث، وشرط كل منهما.
٢	كتب بقية الأئمة الستة: النسائي، الترمذي، أبو داوود، ابن ماجه	. تمييز طرق الحديث الصحيح أو الحسن لدى هؤلاء الأئمة. . تحديد سلاسل الإسناد لكل إمام، والزوائد الحديثية على طرق الشيخين. . حوسبة منهج كل إمام في رواية الحديث، وشرطه في نقل الرواية عن رواج الحديث ونقلته. . تمييز الرجال الضعفاء في أسانيد الأحاديث المنقولة وتحديد تداخلاتها مع عملية الاعتبار. . حوسبة مناهج الأئمة، وبيان شروطهم في نقل الرواية.
٣	المسانيد، والمستخرجات، والمعاجم الحديثية بجميع أنواعها	. تتبع الزيادات في هذه المصنفات والحكم على صحتها. . تحديد سلاسل الإسناد لكل إمام، مرتبة حسب مسانيد الصحابة. . بيان مرتبة الروايات على ضوء توظيفها في عملية الاعتبار.
٤	كتب الجرح والتعديل وطبقات الرجال	. استيعاب الأحكام النقدية بصدد كل راو من رواة الحديث. . تحديد مراتب السماع من الشيوخ، ورواية التلاميذ عنه من زحام المعلومات الخصبة المتوافرة في هذه الموارد. . تتبع الحكم النقدي على الرواة عبر المراحل والعصور المختلفة، لتمييز الحكم الذي يستند إلى قاعدة رصينة، من الأقوال المنقولة دون وجود دليل. . تحديد طبقة الرواة وفق أكثر من منهج لتوفير قاعدة محكمة في تحديد المعاصرة، وإثبات السماع.
٥	كتب علوم الحديث	. إرساء الحدود الاصطلاحية الحديثية حسب العصور المختلفة. . إيجاد قاسم مشترك بين ما ورد في هذه الكتب وبقية كتب علوم الحديث. . بيان مراتب المحدثين الثقاة، والضعفاء، والمتروكين، عن طريق تتبع العبارات التي جمعها أصحاب هذه الكتب، ومقارنتها مع التراث النقدي الهائل الموجود في كتب نقد الرجال.

الجدول رقم (٢): موارد الأنموذج الحديثي - المعلوماتي

الحديث في كل عصر من العصور.

ولما اتفق أئمة الحديث على صحة الأحاديث المنقولة في دفتي صحيحي البخاري ومسلم، فيمكن أن نحصل مع تتبع أسانيد الروايات، وتثبيت شجرات الإسناد التي اتفق عليها الشيخان أو انفرد بها أحدهما على حقائق وقواعد منطقية حاكمة للحكم

تحرر الخطاب المعرفي من القبضة الخطية الصارمة التي فرضتها حضارة طباعة جوتنبرج، بحيث صرفتنا هذه الهيكلية عن سبر الشبكة الكثيفة من العلاقات الدلالية والمنطقية، والتركيبية، والموضوعية

على الحديث وفق منهج كل من هذين الإمامين، يمكن أن تصبح في ما بعد جزءًا من القواعد المعرفية الحديثية، التي تدعم المستخدم في تعليل الحكم على الحديث الفلاني، أو تعلل سبب عدم تصحيح الإمامين لهذا الحديث أو ذاك.

وكلما ازدادت عملية السبر المعرفي لمفردات الحديث النبوي المنقول لديها، تجلت لنا الكنوز الكامنة في هذين المصنفين الجليلين، فنحدد شجرات الإسناد لكل صحابي، ونبدأ في تحديد دائرة الحديث المتفق على صحته، وتأشير أصح الأسانيد في ضوء ما نقل في كتب المصطلح، وما ورد في عبارات نقاد الحديث ورجاله.

ويأتي دور مصنفات بقيمة أئمة الكتب الستة الأصول في المعالجة المعلوماتية فيلقي الضوء من خلالها على شروط كل إمام من هؤلاء الأئمة الأعلام، وزوائد الأحاديث المنقولة لديهم، وحوسبة شروط كل إمام منهم، وتأشير المحدثين الضعفاء، والأحاديث الصحيحة التي أضافوها إلى دائرة ما اتفق عليه الشيخان، أو انفرد به أحدهما، فتكتمل أطرافها، وتتضح مواردها وطرق رواتها.

أما المسانيد فتوظف في شد عضد روايات دائرة الأصول الستة، وتوسيع دائرة مسانيد الصحابة. أما كتب الجرح والتعديل وطبقات الرجال فتستثمر عملية

تصاعدت وتائر الإنتاج الفكري في شتى ميادين المعرفة الإسلامية، وازدادت أعداد الكتب المحققة نتيجة للحركة العلمية النشطة في المؤسسات العلمية المختلفة، ودور النشر

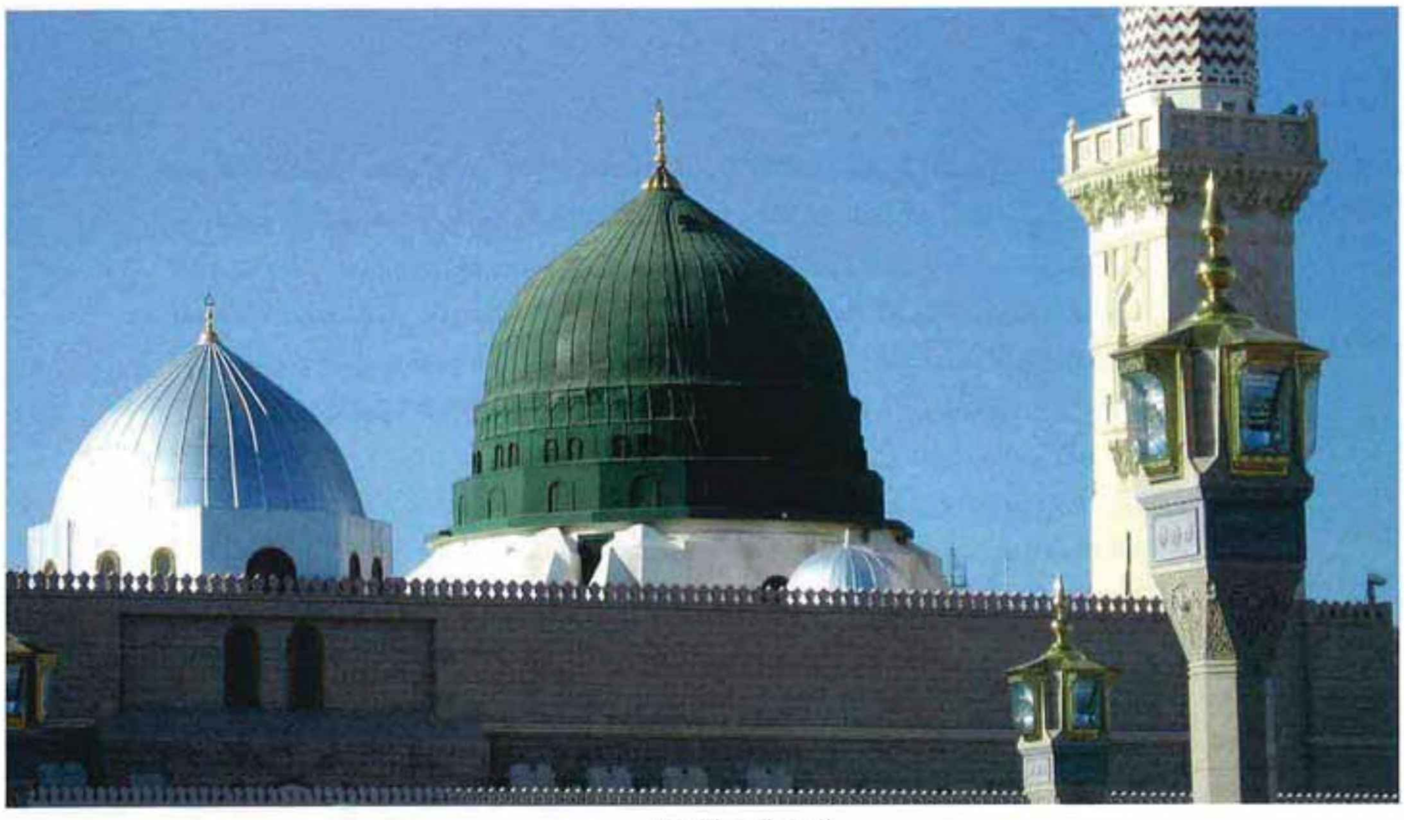
التنقيب المعرفي النصوص المنقولة بين صفحاتها في تأسيس الحقائق المنقولة عن نقاد الرجال وصيارفته بحق كل راو منهم، وتوليد مجموعة من قواعد المقايسة المنطقية للموازنة بين هذا المحدث وذاك، في ضوء العبارات النقدية المنقولة، ومنهج كل صيرفي من صيارفة الرجال ونقادهم.

وفي ضوء القواعد التي ذهبنا إلى الاحتكام إليها كقواعد حاكمة لآلية التعامل مع الموارد المعرفية الإسلامية يجب علينا أن تسترشد بالقواعد الحاكمة الآتية:

- إن تبني مبدأ عدم فصل الشكل عن المضمون، سيجعلنا نتعامل مع كل مفردة منقولة كما وردت لدى كل إمام، ودون محاولة إحداث أي تغيير في شكل النص قد تورثه تغييرًا في طبيعة المعنى الذي أريد به، فلا نعمد إلى تغيير عبارة حدثنا أو أخبرنا التي استخدمها المحدثون في نقل رواياتهم بعبارة جديدة مستحدثة، الذي قد يورث المقايسات المنطقية عللاً إضافية لا أصل لها، أو يجعلنا ننشئ حقائق لم يذهب إليها الإمام.

- إن العبارة التي تنقل عن أئمة الصنعة مرتبطة ارتباطًا حميميًا مع مادة الخطاب التي تقطن في عباراتها، ولما كان لكل عصر خطاب، فينبغي عدم التوسع في استخدام هذه العبارات في أكثر من عصر بسبب التغييرات الجدلية في عبارة الخطاب ودلالته. لذا فعبارة لا بأس به عند الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله (التي تعني ثقة في وقته) لا تتكافأ في استخدامها مع عصر الإمام الذهبي الذي تجعل من المحدث دون مستوى الثقة.

- ضرورة معالجة نصوص موارد الحديث النبوي الشريف بعيدًا عن النهج الذي يعدها سلسلة من الكلمات، والجمل، والفقرات، ومحاولة سبر ماهية نسيجه الذي يتسم ببنية متعددة المستويات، تسودها



المسجد النبوي الشريف

شبكة كثيفة من علاقات الترابط اللغوي، والدلالي، والتماسك المنطقي المحكم. من ثم لا يكون معنى الجملة حصيلة لتجميع معاني ألفاظها، بل نتيجة لمعالجتها داخل بيئة الخطاب الحديثي الذي نشأت فيه.

. لن تفلح اللغة بمفردها في حل مغاليق النص الشرعي ما لم نعرج إلى الموارد الشرعية الأساسية التي يستمد النص منها دلالته، فنوظف آليات سبر متن الحديث، والزيادات المنقولة، والمتابعات والشواهد لكي نلقي الضوء على العبارات المختلفة التي عمد المحدث إلى توظيفها في نقل خطاب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

. لا توجد ثمة نهاية للنص مهما كان مستوى المعالجة المحوسبة لمادته، وطريق إسناده، لذا ينبغي أن تبقى تخوم المعالجات مفتوحة أمام الآليات الجديدة الملتزمة روح التشريع الإسلامي ومقاصده، وهو الأمر الذي يضمن للنص دوام تجدده، فيجتذب مضامين جديدة تفد عليه من دائرة البيئة التي تحيط به.

. ضرورة الاعتقاد باستحالة الوصول إلى المعنى

المعرفة الحديثية ستكون الثمرة المتوقعة التي ستنتج عن سبر مفردات علوم الحديث، في أي فرع من فروعه، والوصول إلى مرحلة استنطاقها في إصدار أحكام نقدية دقيقة، عند تفحص المعلومات المنتشرة في المراجع العلمية



وسائل حديثة لحفظ المعلومات والتعامل معها

النهائي الذي يكمن في نواة النص، لأننا سنستمر في جدلية ملاحقة المعاني ومطاردتها من خلال قواعد منطقية أشد تخصيصًا، وحقائق أكثر دقة وقربًا من منطق المعالجة الذي تبناه أئمة هذا العلم وجهابذة نقاده.

التحديات التي تشخص أمام اقتصاد المعرفة الإسلامية

إن عملية حوسبة السنة النبوية الشريفة تتباين مع عمليات تكديس كتب السنة ومصنفات علوم الحديث في الأقراص الليزرية المكتنزة التي تكتسح السوق العربية بالوقت الراهن (الرزّو، ٢٠٠١ . ب)؛ لأن الحوسبة هي عملية استقراء لمنطق أئمة الحديث وجهابذة نقاده وصياغتها في منطق معلوماتي يمكن أن يدرج قيمة اقتصادية مضافة إلى هذه الموارد الخصبة.

ولكي نحقق قفزة نوعية جديدة على طريق إرساء أسس متينة لاقتصاديات موارد الحديث النبوي الشريف، نحافظ من خلالها على هذا التراث من التغيير أو التحريف، مع ضمان وصوله إلى المسلم المعاصر بصيغة نقية وصافية نوصي بما يأتي:

. ينبغي أن يكون قائمًا في أذهاننا في الدوام: ألا تطابق بين نوعية المعلومات ووفرتها؛ فوفرة المعلومات ليست سمة ضرورية لمجتمع المعلومات، وهي إن حدثت لا تصنع بالضرورة مجتمعًا قائمًا على المعلومات، وإنما قد تصنع مجتمعًا تائهًا . بل ومشلولاً . تكتظ قنوات اتصاله بالمعلومات ومن ثم فمن الضروري لأي مجتمع يسعى إلى اللحاق بعصر المعلومات أن ينشئ آليات ترشيح وتقطير لها، وفق منطق معرفي محكم يحافظ على هويتها من الضياع، ويذلل العقبات أمام توظيفها في شتى الميادين. من أجل هذا فإن الحوسبة المعرفية لمواردنا الإسلامية باتت أمرًا حتميًا لاحتواء الكم الهائل من المعلومات في صياغة معلوماتية مركزة وموجهة معرفيًا.

. نود تأكيد أن دورة تفعيل المعرفة داخل المنظومة الحديثية هي حلقة متصلة تتألف من ثلاثة عناصر رئيسة هي: اقتناء المعرفة من أفواه الرجال وأمات مصنفات الحديث، فاستيعابها في إطار معلوماتي قابل

لن تفلح اللغة بمفردها في حل مغاليق النص الشرعي ما لم نعرج إلى الموارد الشرعية الأساسية التي يستمد النص منها دلالته. فنوظف آليات سبر متن الحديث، والزيادات المنقولة، والمتابعات والشواهد

للتداول ضمن البيئة المعلوماتية المستحدثة، ثم توظيفها على أرض الواقع، وإدارة دفة التعامل مع الآخرين. ولكن غالبًا ما يتركز جهدنا بالوقت الراهن عند حدود اقتناء المعرفة دون استيعابها في إطار معلوماتي قابل للاستثمار. لذا ستبقى تقنية المعلومات وشبكة الإنترنت تمثلان تحديًا صعبًا أمام المؤسسة المعرفية الإسلامية في ما يخص معالجة مضمون خطابنا الإسلامي، وترسيخ قيمة إنتاجنا المعرفي عالميًا، وتقويم فاعلية مؤسساتنا داخل حدود العالم الإسلامي وخارجه في ما يخص حوارنا مع الآخر، وحوارنا بعضنا مع بعض.

- ينبغي أن نستثمر معرفة عصر المعلومات وتقنياته لكي نمارس مهمة أسلمة بعض جوانب قوى العولمة، وتقديم غطاء معرفي إسلامي لتغطية بعض مضامين خطابها في صورة فكر إسلامي رصين، يفتت قوتها القاهرة، فيلغي هيمنة لغة الخطاب بلغة الآخر، ويرسخ الخلق الإسلامي بدلاً من الأخلاقيات المطروحة، ويحاول طرح الخيار المعرفي الإسلامي كبديل للخيار المعرفي الغربي.

- لما كان النص الشرعي بجميع تجلياته المعرفية يعدّ حالة خاصة من النص اللغوي تتجاوز من حيث المباني والمعاني حدود البنية اللغوية التقليدية إلى ما بعدها، وما فوقها، وما وراءها؛ لذا بات يمثل حالة فريدة تشكل تحديًا قاسيًا للغويين، والبلاغيين، وعلماء النفس، وعلم الذكاء الاصطناعي (في ظل مساهمة فاعلة من علماء الخطاب الشرعي) يستلزم بذل جهود إضافية، وهي ستسهم إلى حد كبير في تذليل العقبات التي تشخص أمام كل منهم عندما يحاول مباشرة تفكيك النص إلى بنى رمزية يمكن صياغتها بآليات منطقية أو رياضية.

- إن الكشف عن البنى الشاملة للنص الشرعي يتطلب دراسة أنطولوجية معلوماتية متأنية تتعامل مع مفردات هذا النص وتراكيبها على مستوى حزم متن الحديث وطرق إسناده (بالنسبة إلى الحديث النبوي الشريف على سبيل المثال) وصولا إلى توفير شبكة متماسكة من العلاقات التي تحلل عبارات نص المتن بجميع طرق روايتها في ضوء شجرة الإسناد التي تكلف أصحابها بحمل روايته.

- ضرورة الاهتمام بتدريس علوم الحاسوب التي تعنى بالذكاء الاصطناعي، والمعالجة اللغوية للخطاب لطلبة العلوم الشرعية بجميع اختصاصاتها، لكي يتضح أمامهم التعامل مع تقنيات حوسبة المعرفة الإسلامية بدلاً من الضياع في الموسوعات السائدة في الوقت الحاضر، التي لم تفلح سوى في ضم عدد كبير من الكتب الشرعية التي تفتقر إلى تحقيق علمي دقيق، وتعاني أخطاء مطبعية كبيرة، في قرص مكتنز واحد (الرزّو، ٢٠٠٢، ج).

- تكليف الباحثين في مراكز البحوث الإسلامية، وطلبة الدراسات العليا في أقسام الحديث النبوي وعلومه بمباشرة خطط بحوث مكثفة، والتنسيق مع أقسام علوم الحاسوب والمعلوماتية، تعالج خلالها طبيعة القواعد التي تبناها أئمة الحديث (بمعيار معلوماتي) في الميادين الآتية:

برزت أهمية المعلومات بالموازين الاقتصادية في ضوء تعدد مستويات الدلالة الاقتصادية للمعلومات بمنظومة الإنترنت. فأضحت سلعة وخدمة اقتصادية. تعدّ قواعد بياناتها، وبرمجياتها التطبيقية موارد اقتصادية مهمة

أ. تحديد مراتب المحدثين الثقات، والضعفاء، وتناول التطور الحاصل في دلالة المصطلح في كل عصر من العصور؛ لكي نستطيع تبين دلالة اللفظ المستخدم في الحكم على محدث ما ضمن صياغة محكمة.

ب . إيجاد القاسم المشترك لشروط الأئمة الستة، وإعداد شجرات الإسناد لكل إمام منهم، بحيث يزول الالتباس المزمن . حتى هذا التاريخ . حول شروط الإمام البخاري، أو الإمام مسلم، وغيرهما ولا نعاني من أزمة معرفية عند التعامل مع عبارات الإمام الحاكم في مستدركه عندما يصحح حديثًا على شرطهما، أو شرط أحدهما.

ج . تتبع شجرات الإسناد لكل محدث من المحدثين، وتأشير المسارات الصحيحة لطريق الإسناد، والتنبيه على الطرق الواهية.

د . استثمار العلوم الخصبة الموجودة في كتب علل الحديث، وترجمتها إلى قواعد محكمة، تتجاوز الطرق التقليدية، التي حملتها معها كتب المصطلح، فنجم عنها تصحر فكرنا الحديثي في متاهات المصطلحات، التي لا تورّث صاحبها علمًا أصيلاً كالذي نتلمسه في علل أبي حاتم، والإمام أحمد بن حنبل، والدار قطني.

هـ . إعادة تتبع الزيادات الحديثية، وحوسبتها لتتبع نمو الرواية، والكشف عن فقه محتواها.

في ظل المفاهيم الجديدة التي أفرزها مجتمع المعلومات، سوف تتزايد أهمية اقتصاد المعرفة كمورد أساسي للدخل القومي، ويتزايد الطلب على إبداع الفكر العلمي والثقافي؛ من أجل إنتاج سلع معرفية مبتكرة ذات قدرة تنافسية عالية في السوق

الهوامش والمراجع

◆ يطلق اصطلاح الكائن Object في ميدان المعلوماتية على كل مفردة تمتلك هوية تميزها من بقية الكائنات المقيمة معها من خلال الخصائص Properties النوعية أو الكمية التي تمتلكها، فالكتاب كائن، والكلمة كائن.

- ايدروج، الأخضر. (١٩٩٦م)، صناعة المعلومات وديناميكية التسويق للخدمات المكتبية، المجلة العربية للمعلومات، المجلد١٧، العدد الثاني، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- الرزّو، حسن مظفر، ١٩٩٨م، هندسة المعرفة: ما هيتها وتطبيقاتها، المجلة العربية للعلوم، العدد ٣٢، المجلد ١٦.
- الرزّو، حسن مظفر، ٢٠٠١م . أ. انموذج معلوماتي لقواعد المعطيات الذكية المستخدمة في ميدان بحوث التراث الإسلامي، مؤتمر قواعد المعطيات الذكية وأثرها في دعم البحث العلمي في الوطن العربي، وزارة التعليم العالي والجمعية السورية بالتنسيق مع اتحاد مجالس البحث العلمي العربية، ٢١، ٢٢ مايو/أيار ، دمشق، الجمهورية العربية السورية.
- الرزّو، حسن مظفر، ٢٠٠١م . ب، حوسبة السنة النبوية: المنهج المقترح والعقبات المحتملة، المؤتمر الخامس، لتدريس السنة النبوية في الجامعات، كلية الشريعة، جامعة الزرقاء الأهلية، ٢٥. ٢٨ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠١م، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية.
- الرزّو، حسن مظفر، ٢٠٠١م . ج، إشكالية إدخال الحاسوب في ميدان العلوم الإسلامي، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ٢٦٨، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، يونيو/ حزيران ٢٠٠١م.
- الرزّو، حسن مظفر، ٢٠٠٢م . أ، الأطر المستقبلية للجامعات العربية في ظل تقنيات المعلوماتية، الندوة الثانية لآفاق البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في العالم العربي، المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا، ٢٤. ٢٧مارس/ اذار ٢٠٠٢م، رقم البحث ٢٣٦ . ١٦١ ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة.
- الرزّو، حسن مظفر، ٢٠٠٢م . ب، اقتصاد المعرفة وإدارة المعلومات: معالجة معلوماتية اقتصادية، المؤتمر العلمي الخامس، «مواجهة التحديات الاقتصاد العالمي: دور التعليم الإداري والابتكار التقني»، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٢٤ ـ٢٥مارس/ آذار٢٠٠٢م، العين، الإمارات العربية المتحدة.
- الرزّو، حسن مظفر، ٢٠٠٢م . ج، العولمة: رؤية إسلامية، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ٢٧٠، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، كانون الثاني ٢٠٠٢م، الصفحات ٨ ١١.
- علي، نبيل، ٢٠٠١م، الثقافة العربية وعصر المعلومات، الطبعة الأولى، سلسلة عالم المعرفة، ٢٦٥، مطابع الوطن، الكويت.
- كولماس، فلوريان، ٢٠٠٠م، اللغة والاقتصاد، ترجمة د . أحمد عوض، الطبعة الأولى سلسلة عالم المعرفة، ٢٦٣، مطابع الوطن الكويت.
- أ. د . حازم أحمد حسني، ٢٠٠١م، المعلوماتية والعولمة .. رؤية من الجنوب، رئيس قسم تطبيقات الحاسب الآلي . كلية الاقتصاد/ جامعة القاهرة، موقع إسلام أون لاين، ١٢/١٠/٢٠٠١م.





الزواج: عادات وغرائب

مجدي إبراهيم

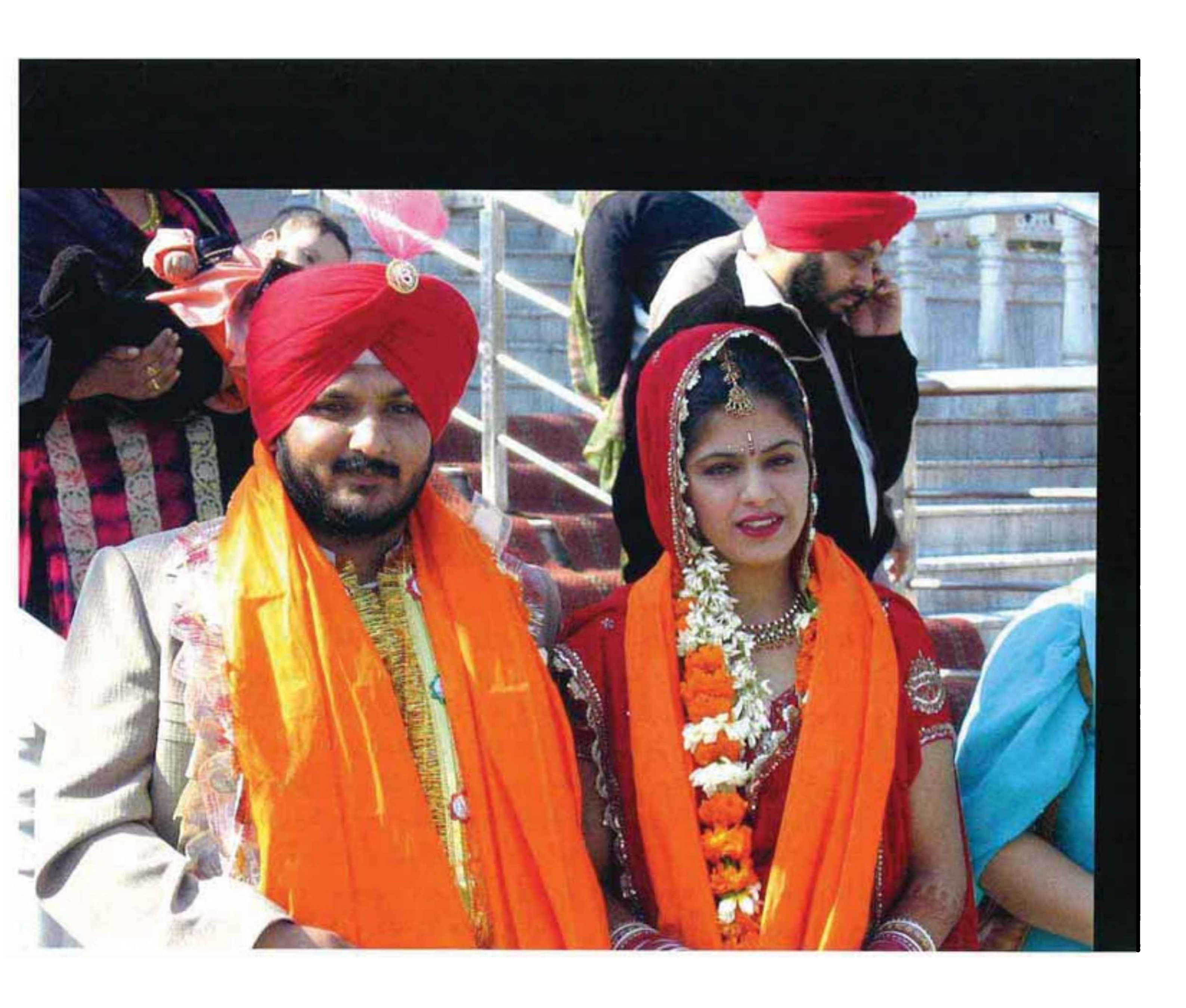
الجيزة ـ مصر

الزواج قسمة ونصيب. والبنت في مجتمعنا العربي تظل تنتظر هذا النصيب حتى يأتيها.. وإذا جاء فأهلها دائمًا لا يعجبهم العجب! وكذلك الشاب يظل يبحث عن قسمته. وعندما يعثر عليها ينكسر قلبه ويهدّ حيله من طلبات أهلها التي لا تقف عند حد.

فإذا كنا نشكو من عادات وتقاليد التزامات الزواج في مجتمعاتنا فتعالوا لنرى عادات والتزامات غيرنا من البشر في أنحاء الأرض كافة.

الودابي واحتفالات كيروول

الودابي: قبائل إفريقية متجولة، يعيشون في أطراف الصحراء المتاخمة للأدغال، ويعتمدون في معاشهم على رعي الأبقار والماعز والإبل، ويتنقلون مع مواشيهم دون مراعاة للحدود بين الدول، ولذلك نجدهم في كل البقاع الممتدة من السنغال عند المحيط الأطلسي حتى الضفة الشرقية لنهر النيل. لكن القسم الأكبر منهم ينتشر في جمهوريتي مالي والنيجر، ولا يزيد عدد أفراد كل قبيلة منهم على ربع المليون. والرجال في عالم الودابي يقومون بتجميل أنفسهم، فهم يحملون معهم دائمًا مساحيق التجميل في أكياس جلدية صغيرة، وتشتمل على مساحيق ذات الألوان الطبيعية، ويستخدمون المرايا لتثبيت المساحيق بعناية، ويستخدمون الألوان الغامقة لتكحيل الجفون،



ويطلون الشفاه بأصباغ زرقاء ضاربة إلى السواد تُستخرج من عجينة سامة من النوع الذي يدخل في صناعة بطاريات المصابيح الكهربائية، واللمسات التي يقوم بها الرجال للظهور بمظهر حسن هي وضع عصابة الرأس، وتثبيت ريشة النعام فوق الجبين، ثم ارتداء أساور اليد.

ومن أبرز المناسبات التي تتطلب قيام الرجال بالتجمل بعناية:

مسابقات الجمال التي تجري فيما بينهم، لتختار المرأة شريكها الذي تقضي معه بضع ليال في الأدغال، كما أنها هي التي تقرر إذا كان الرجل الذي تختاره لمجرد قضاء متعة عابرة، أم تتخذه شريكًا للحياة معها.

ويبدأ الاحتفال الذي يسمونه «كيروول» مع حلول الغسق عادة، ويستمر خمسة أيام متتالية بلياليها ونهاراتها.. يصطف الرجال في حلقة كبيرة للرقص، ويأخذون في الغناء والتصفيق الإيقاعي بالأيدي، ويقفزون عاليًا على أطراف أقدامهم، ليظهروا أطول قامة، ويتوالى القفز بالتدريج حيث يبدأ ببطء،

ويتسارع باشتداد المنافسة للفت انتباه الفتيات اللواتي اصطففن ليمر من أمامهن الراقصون، وفي هذه الأثناء تدور أحاديث الرجال حول شخصية كل فتاة: وجهها، وصدرها، وشخصيتها، أما الفتيات فيبدو همسهن ـ ليس حول جمال الأجسام ـ بل حول الجاذبية والسحر، والحركات السريعة الرائعة، إلى جانب مظهره الخارجي.

وأطرف ما يقوم به الرجال للفت انتباه الفتيات والتأثير فيهن إظهار أسنانهم، وتقليب عيونهم، وكأنهم في غيبوبة، كما أنهم يهتمون بالرقص في صف مستقيم، وتحين فرصة تقدُّم الفتيات لتركز كل فتاة نظرها لترمي هؤلاء الشباب بنظرات سريعة فاحصة، ثم تخفض عينيها، وتعود إلى مصافحتهم بنظرها، وتنخرط معهم مطوِّحة ذراعها الأيمن إلى الأمام بأسلوب إيحائي، فيتزاحم الراقصون حولها باضطراب لتختار من يعجبها لتقضي معه ليلها لعدة أيام، ثم تعترف بقبولها الزواج منه بعد ذلك بين احتفالات الأهل، ورقصاتهم الملتهبة، أو ترفض الاقتران به.

زواج الطوارق

وفي ولاية تمنراست في الصحراء الجزائرية الشاسعة، نجد قبائل الطوارق ذوي اللثام الذي يستعملونه للوقاية من الحر والبرد، وهو يعبِّر عن النزعة الارستقراطية العريقة التي نمت في نفوسهم، وهو بمنزلة رمز حضاري..

إن فترة الخطوبة في مجتمع الطوارق تراوح عمومًا بين سنتين وأربع سنوات أو أكثر، وتُعدّ لازمة للخاطب والمخطوبة بغرض التعارف أكثر، وتوحيد نظرتهما إلى الحياة بصفة عامة، وهي مرحلة صعبة، إذ يجب على الخطيبين الابتعاد عن السلوك السيئ مع الدقة في الكلام والذكاء والرزانة، وإن ساء التفاهم في هذه المرحلة السرية فلا مسوّغ لأي تدخُّل.

أما المرحلة الثانية المتمثلة في طلب الزواج فتحدث بعد أن يتم التأكد من متانة الروابط بين الشابين وثبوتها، فأهل الخاطب لا يتقدمون لخطبة الفتاة إلا إذا تأكدوا من أن طلبهم لن يُردّ، وحتى إن وقع عكس ذلك فإنهم يحتفظون بطلبهم إلى أن يصبح المناخ مواتيا لإعادة الطلب بطريقة تسمح لهم بالفوز بالخطيبة.. وتتم الخطوبة بواسطة رجل معروف لدى السكان بالحكمة والفطنة، وتسمى هذه المرحلة عند الطوارق «أمكن أنمان»، وبعدها يعود المفوض ثانية ليتفق مع أهل الفتاة على تاريخ الزواج ومكانه. ويشترط في موضع الزواج ألا يكون بعيدًا، وعند الطوارق الرُّحَّل يجب أن يتوافر في المكان الماء والكلأ والإبل للضيوف الذين يَدْعوهم أهل الفتاة.

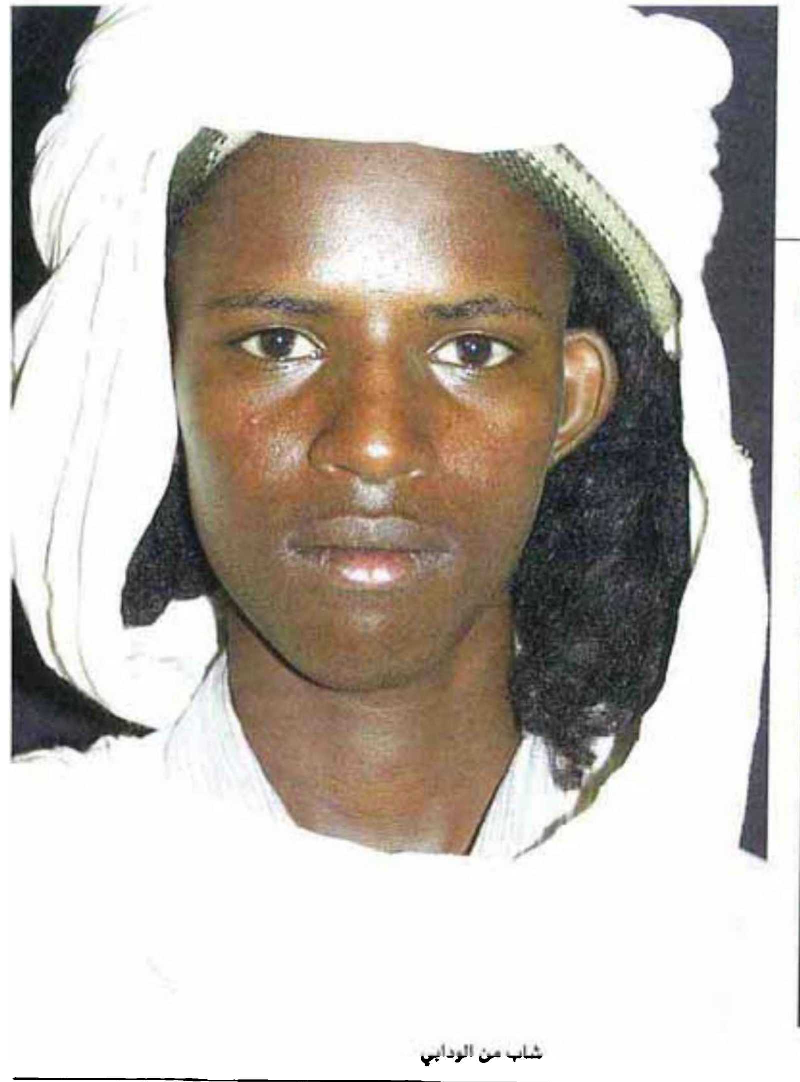
وتقام في فترات الخطوبة حفلات وجلسات أسرية يتخللها إنشاد أشعار حكماء القوم، تتطرق بصفة خاصة إلى موضوعات الرحمة والاتحاد والخوف والغيب والحرب لتزيد من شجاعة الرجال، وتشحذ هممهم.

كما تجعل النفس تترفع عن كل ما يلوثها، مثل الخيانة، والنميمة، والكذب، والسرقة. أما المهر فيختلف من قبيلة إلى أخرى، وهو في الغالب من الإبل والماعز،

في الصومال، يقوم أهل العروس بضرب العريس وأهله أمام الناس، وعقب انتهاء حفل الزفاف ينتقلون إلى بيت العروس، ويجلسون في دائرة حول إناء فخاري كبير يحضره أهل العروس، ويكون مملوءًا باللحم والعسل والتوابل



الطبول حاضرة في الأفراح الإفريقية



شاب من الودابي

وأوسطها ستة جمال، والمهر لدى الطوارق ملك العروس فقط، بل يُعدّ رأسمالاً يستغل في بناء العش الجديد. والجدير بالذكر أن معدلات الطلاق عندهم ضعيفة جدًا، وإذا حدث ذلك فإن المرأة المطلقة سرعان ما تتزوج بعد قضاء فترة العدة مباشرة.

يسكن الماساي في منازل مبنية من الطين أو الأعشاب الجففة. ويعملون غالبًا في رعي الأبقار. وينتقلون طول العام بحثًا عن الماء والمرعى. وتعمل نسبة قليلة منهم في الزراعة. وخاصة في كينيا

بعد عقد القران، وقراءة سورة الفاتحة بحضور أولياء العروسين يدوم العرس سبعة أيام، ويقام عند أهل العروس حول خيمة تُنصب للعروسين، أو في مسكن يستعار من جيران أهل العروس، وجرت العادة على أن يسكن العريس لمدة عامين بجوار أهل زوجته في حالة الخيمة «البادية»، ومعهم في حال المدينة كي تتمرَّس الزوجة على الاضطلاع بمسؤولياتها العائلية المستقبلية، وهي فرصة كذلك للزوج كي يُحسن من أحواله المادية، ويستثنى من هذه العادة الأزواج الميسورون، إذ ينتقلون إلى عشهم الجديد بمجرد انتهاء أفراح العرس.

علقة ساخنة للعريس

وفي الصومال، يقوم أهل العروس بضرب العريس

وأهله أمام الناس، وعقب انتهاء حفل الزفاف ينتقلون إلى بيت العروس، ويجلسون في دائرة حول إناء فخاري كبير يحضره أهل العروس، ويكون مملوءًا باللحم والعسل والتوابل، ويغطى بطريقة غريبة، غطاؤه مجموعة من الحبال المعقدة والمتشابكة فوق فتحة الإناء ليظل محتفظًا بما في داخله لمدة أسبوع قبل الزفاف.. ويقف أهل العروس ويمسك أبوها بيده عصا، وإذا لم ينجح العريس في فتح الغطاء دون قطع الحبال المتشابكة انهال عليه ضربًا بالعصا!

ويدعو الأب شخصًا آخر من أهل العريس ليقوم بفتحه، وتناله العصا لو أخفق هو أيضًا، ويتناولهم جميعهم بعصا حتى ينجح أحدهم.. وعندئذ يبدؤون بالأكل.. أما إذا لم ينجح العريس، وكل مرافقيه في فتح غطاء الإناء فلا يتم الزواج، وعليهم أن يبدؤوا المحاولة مرة أخرى.

خمر العسل لأهل العروس

ومن القبائل التي لا تزال تعيش على النمط البدائي القديم، ولا تزال تعيش حياة العصور البائدة قبيلة «الماساي» في شمال تنزانيا وجنوب كينيا، وهي قبيلة وثنية بدائية، لكنها تؤمن بوجود إله واحد في السماء.. يسكن الماساي في منازل مبنية من الطين أو الأعشاب المجففة، ويعملون غالبًا في رعي الأبقار، وينتقلون طول العام بحثًا عن الماء والمرعى، وتعمل نسبة قليلة منهم في الزراعة، وخاصة في كينيا، والغريب أن لهذه القبيلة عاداتها الخاصة وأعرافها التي هي في غاية الغرابة، وتُميزهم من باقي القبائل الأخرى.

فالزواج لديهم يتم وفقًا للآتي:

بعد أن يختار الشاب الفتاة التي تناسبه، يقدِّم لها هدية؛ وهي سلاسل من المصنوعات اليدوية، ثم يتقدم لخطبتها بواسطة مجموعة من نساء القبيلة، ويقدِّم الخاطب عسلاً لأسرة خطيبته دليلاً على حرصه على الزواج، ثم بعد ذلك يقدم كمية أكبر من العسل فيصنع منه خمرًا يدعى إليه مجموعة من كبار القبيلة ويشرب الخمر، ويخبر في ذلك المجلس الخاطب بمدى قبوله زوجًا للفتاة أو رفضه. وفي يوم الزواج، يحضر العريس معه عجلين وثورًا بلون واحد، ونعجتين وخروفًا ثمينًا يصنع من شحمه

في عالم الودابي أطرف ما يقوم به الرجال للفت انتباه الفتيات والتأثير فيهن إظهار أسنانهم، وتقليب عيونهم، وكأنهم في غيبوبة. كما أنهم يهتمون بالرقص في صف مستقيم. وحين فرصة تقدُّم الفتيات لتركز كل فتاة نظرها لترمي هؤلاء الشباب بنظرات سريعة فاحصة

تقاليد عجيبة للزواج في كل العالم



عروسان من التبت وحلي تقليدية تزين اليدين والملابس

دهنًا، ويقدّم حملاً صغيرًا هدية لأم عروسه، وعجلاً لوالدها.. ثم يهدي لعروسه قرطًا في أذنها اليمنى.. وبهذا يتم الزواج، وتنشأ وليمة للضيوف يحتسى معها الخمر كمشروب رئيس، ثم في النهاية تزف العروس إلى بيت عريسها.

ومن الأنماط الغريبة الأسطورية عند الماساي، أن للمرأة الحق في أن تذهب وتعيش كزوجة مع من تشاء من غير مراسم الزواج التي ذكرناها، وهذا النمط يجوز فيه انفصال الزوجين، وللمرأة الحق في أن تأخذ معها أولادها إلى بيت والدها.

ايضًا إذا تزوجت المرأة بالطريقة التي لا يسمح معها بطلاقها، ثم تركت بيت الزوجية، وعاشت مع رجل آخر فانجبت منه يُعدّ هؤلاء الأبناء ابناء لزوجها الأول الذي تركته.

الزواج الاغترابي

«الباري» أهم الشعوب النيلية الحامية في السودان، سواء من حيث عدده أو من حيث موقعه الجغرافي.. وهم ينقسمون إلى عشائر منفصلة اغترابية «لا يتزوج امرؤ من عشيرته». كان الزواج يتم



في ما مضى في سن متأخرة لمعظم الشبان، أي: نحو سن ٣٢ عامًا، غير أن التغير في نظام المجتمع الذي ترتب عليه زوال نظام الزرائب المشتركة Ku Rum، والانصراف إلى مزيد من النشاط الزراعي، وغير ذلك من التطورات أتاح للشباب الزواج في سن مبكرة، وبأكثر من زوجة تبعًا للمركز الاجتماعي والمالي.

والعادة أن يجري الزواج بناء على اختيار الرجل، أي أن الشاب هو الذي يخطو الخطوة الأولى، ولكن من الجائز أيضًا في بعض الأحوال أن يتخذ والد الفتاة إجراء يرمي إلى الحصول على زوج لابنته إذا رأى أنه شخص مرغوب فيه بحق، والعرف يقضي بعد أن يتفاهم الشاب والفتاة الا يتقدم الشاب بنفسه، بل ينوب عنه البر؛ أي مجموعة السن التي ينتمي إليها، فينزل الجميع ضيوفًا على الوالد يومًا أو يومين فيطلب من العريس أن يمر عليه مرة أخرى، وبعد أيام يعود مع ضيوفه مرة ثانية، فيطلب منه والد العروس أن يرسل أباه للاتفاق على المهر الذي يتألف عادة من نحو عشر من الماشية، وعدد من الماعز، وفي الأحوال العادية يُدفع المهر على دفعات، وبعد أن يدفع معظمه، ويقترب حفل عقد القران يرسل العريس عودًا من البوص معلقًا فيه عددًا من الخواتم لكي يوزع في حلقة الرقص يوم حفل الزواج، وتتقاسم الفتيات من أقارب العروس ممن لم يتزوجن بعد هذه الخواتم الحديدية، ثم يعقد حفل رقص يشرب فيها كثير من الجعة. وتظل العروس في بيت والدها شهرين أو أكثر قبل أن تذهب إلى كوخ زوجها في صحبة عجائز عليهن طلاء أحمر، ويبالغ الزوج في إكرامهن ومنحهن الهدايا.

كذلك تعود الزوجة إلى بيت أبيها عند اقتراب الوضع، وبخاصة بالنسبة إلى الطفل الأول، ولا تعود إلى الزوج إلا بعد بضعة أشهر. إن الشاب لا يختار زوجته من

> *الرجال في عالم الودابي يقومون بتجميل أنفسهم. فهم يحملون معهم دائمًا مساحيق التجميل في أكياس جلدية، وتشتمل على مساحيق ذات الألوان الطبيعية. ويستخدمون المرايا لتثبيت المساحيق بعناية*

عشيرة قريبة خلاف عشيرة أبيه، وعليه أيضًا أن يمتنع عن الزواج من أي فتاة بينه وبينها أي صلة قرابة: فلا يجوز له الزواج من ابنة خال أو ابنة خالة، مع أنها من غير عشيرة أبيه، غير أن قرابتها من أمه تحرم زواجه منها، وليس من الضروري أن يمتنع الشاب عن الزواج بفتاة من عشيرة أمه - كما هو الحال عند بعض القبائل - على شرط الا يكون بينها وبين الأم أواصر قرابة.

أما تعدد الزوجات فأمر يتوقف على المال والظروف التي قضت بأن يبكر الشباب بالزواج، ولابد أن يوحي أيضًا برغبته في زوجة ثانية وثالثة.. وهذا ما ينشده أكثر الشباب إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً، والزعيم الغني ربما استطاع أن يتزوج ستًا، بل عشرًا.. أما متوسطو الحال فيكتفون باثنتين او ثلاث، والمتواضعون يكتفون بواحدة.

والأرامل عادة يرثهن الأخ الأكبر للمتوفى، ويمكن للابن إذا كان كبير السن أن يرث أرامل أبيه (عدا أمه بالطبع)، وكذلك ربما آلت الأرامل إلى ابن الخال، وفي جميع هذه الأحوال لا يدفع لهؤلاء الزوجات مهر، والفكرة في هذا أن هؤلاء النسوة وأولادهن قد تركن بلا عائل، وقد سبق دفع مهرهن من قبل المتوفى، ولابد أن يخلفه من يعولهن، وأبناءهن وبناتهن. هؤلاء الأرامل لا يصلحن لإنتاج ذرية جديدة - ولكن قد يكون



فتاتان من التبت تعبران عن فرحتهما وخلفهما فرقة من العازفين

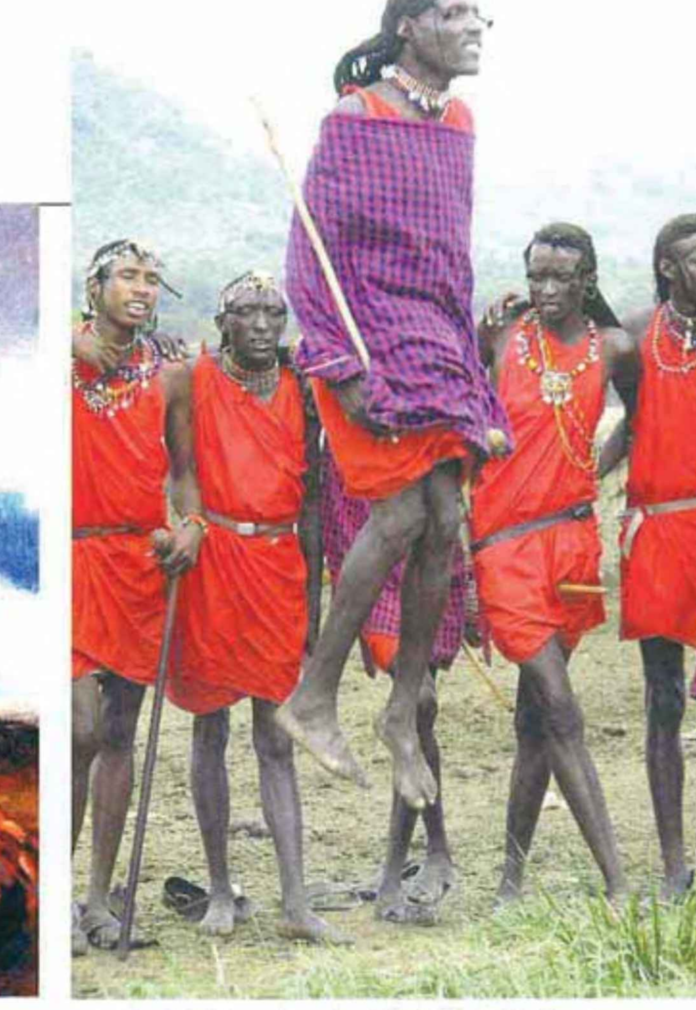
بينهن من لا تزال في سن الحمل، وفي هذه الحال يكون الأطفال أبناء الفقيد؛ لأنه هو الذي دفع المهر.

وإذا أراد الأخ الذي ورث زوجات تغييرًا في هذا الوضع، فإن عليه في هذه الحال أن يبعث بهدية «بقرة وعشرة من الماعز» إلى والد الأرملة، وبذلك يكون له الحق في أبناء الزوجة الذين يولدون بعد ذلك، ولكن العادة أن تظل المرأة تابعة لزوجها الميت، وكذلك جميع الأطفال السابقين واللاحقين، كما هو المتبع أيضًا عند قبائل الدُنكا.

رقصة شروق الشمس

أما قبيلة الأباشي الهندية في أمريكا، فهي تنحو منحى آخر في طقوسها، فينبغي على الفتاة الناضجة حديثًا أن تخوض غمار تجربة قاسية. وحتى تنتقل الفتاة من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الأنوثة الكاملة، وتصبح امرأة ناضجة، عليها أن تمارس طقوسًا وشعائر تستمر أربعة أيام غاية في القسوة والعنف، وعندما تبلغ عامها الرابع عشر تتهيأ لرقصة شروق الشمس، وسيكون من دواعي سعادة والديها أن يكون رقص ابنتهما حافلاً ومختلفًا عن رقص الأُخريات.. وبعدها تقوم «العرّابة» التي يتم اختيارها لرعاية الفتاة بتزويدها بالتعليمات والخبرات كافة، كما يترتب عليها متابعة مراحل الراقصة وطقوسها حتى آخرها، فتلبسها أولاً اللباس الخاص بالاحتفال، وتزودّها بكل ما يلزمها لمواجهة أشق الصعاب بشجاعة وقوة وثبات، ثم تغرس في رأسها ريشة النسر، وتدلك جسدها بقوة شديدة بزيت خاص، وفي الليل يجلس الجميع ساعات طويلة حول نار كبيرة مشتعلة لمتابعة رقصات لراقص النار الذي يمثّل شخصية الزوج الحامية التي سترعاها طوال مدة الاحتفال.

وفي صباح اليوم التالي، يبدأ اختبار الثبات،



استعراض لشباب الماساي لإبراز مواهبهم واسترعاء انتباه الفتيات

رجل من الماساي بكامل زينته

واحتمال المشاق ويبدأ بإنشاد الترانيم الدينية مع بزوغ الفجر. وفي الوقت ذاته تبدأ الفتاة رقصة شروق الشمس وهي جاثية على ركبتيها، ومدثرة بدثار معد من جلد الغزال، على أن تكون في مواجهة الشمس، مقلدة بذلك وضع امرأة الأباشي وهي تطحن حبوب القمح. وبعد انتهاء الرقصة يحين وقت الجري السريع المرهق لمسافات طويلة، الذي يهدف إلى عدم تمكين أي شرير من ملاحقتها وإيذائها طوال حياتها. وفي اليوم الأخير يقوم أكثر من مئة شخص وهم يتلون التراتيل بصوت خفيض، برش غبار طلّع نبات «التيفا» على رأس الفتاة، وبعدها يطلب منها أن تنفخ في فم أحد الأطفال من أقاربها لتمنحه البركة، وتطرد عنه الأرواح الشريرة.

وفي اليوم الأخير تبدأ «العرابة» بدهن جسد الفتاة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها بدهان مصنوع من غبار طلع نبات التيفا، ودقيق القمح المعجون بمسحوق أحجار ملونة بأربعة ألوان رمزًا لحماية الجهات الأربع لها، ومعروف أن الرقم «أربعة» من الأرقام المقدسة عند الهنود الحمر، ثم تلبس الفتاة قلادة هي عبارة عن قوقعة صغيرة تعلّقها على مقدمة جبينها، وهذه إشارة إلى أنها، ومنذ هذا اليوم، قد تحولت من طفلة إلى امرأة ناضجة، وأنها صارت أمًا لكل الشعب الأباشي.

حجاب الشونة، وبيت التسمين

وعند قبيلة «الهوتنتوت» البدائية الرعوية، في جنوب إفريقية، ما إن يأتي الفتاة حيضها الأول وهي ما

بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة من العمر، حتى تبلغ أمها بالأمر لتبادر إلى دعوة أخواتها المتزوجات أو زوجات إخوتها إلى عمل حجرة صغيرة محاطة بسياج في الجزء الخلفي من الكوخ، ثم تذهب إلى امرأة جاوزت سن الحمل لإحضارها، وكانت من قبل ولودًا لتحمل الفتاة على ظهرها، وتذهب بها إلى تلك الحجرة لتتولى رعايتها وإطعامها حتى انتهاء فترة العزل، حتى يزداد وزنها بشكل كبير، وتصبح مهيأة للزواج.

هذا التقليد يشبه تقليدًا آخر لدى قبيلة «الكورنجو» في جبال النوبة بالسودان، حيث يطلق، على هذا العرف «دخول الشونة»، فما إن تحيض الفتاة حيضها الأول حتى يُبنى لها كوخ صغير تحتجب فيه، ويمنع اتصالها بالآخرين، وقد يستمر بقاؤها فيه أكثر من سنة، وإذا كان لدى الفتاة أُخت أو ابنة عم دخلت معها الشونة لتكون أنيسة لها. ولحجاب الشونة مراحل؛ أولاها خفيفة.. فخلال الأشهر الثلاثة الأولى يمكنها أن تستقبل بعض الضيوف، أما في فترات الحجاب اللاحقة، فيمنع على الغرباء والأقارب - ذكورًا كانوا أو إناثًا - رؤية الفتاة، ولا يستطيع رؤيتها سوى الأب والخال، وإذا حدث أن شاهد الفتاة أحدهم فسوف يترتب على ذلك أن الفتاة لن تسمن!

لبعض قبائل التبت عادات عجيبة: فإذا أراد شاب أن يختار عروسًا ليتزوجها يضعها أهلها فوق شجرة. ويلتفون حولها مُسلحين.. فإذا جاء العريس لأخذها عليه أن ينتصر في هذه المعركة، وأن يتحمل ضربهم ليصل إلى الشجرة. ويتمـ[illegible]ـها ليـ[illegible]ـوز بعروسه

الأمر نفسه يحدث لدى قبائل «الإيبو» في جنوب نيجيريا؛ إذ تذهب الفتاة بعد بلوغها إلى بيت التسمين، وتظل فيه فترة تراوح بين ثلاثة أشهر وثلاث سنوات تبعًا لمدى ثراء أبيها أو خطيبها، الذي يقوم عادة بتقديم الطعام اللازم لها خلال هذه الفترة، ويتم الزواج بعد خروجها من ذلك البيت مباشرة.

وعند قبائل النيكاتكولي في أوغندا، يبدأ إعداد الفتاة للزواج في الثامنة أو التاسعة من عمرها حيث يراقب الوالدان، وبخاصة الأم، ابنتها باهتمام بالغ، ويحولان دون اتصالها بأي رجل، وعليها أن تحيا حياة دعة واستقرار، فتحتسي مقادير كبيرة من اللبن، وتأكل كثيرًا من اللحوم دون أن تقوم بأي عمل أو نشاط منزلي، حتى تفقد القدرة على السير من فرط سمنتها، وكلما ازدادت الفتاة سمنة ازدادت جمالاً في نظرهم.

وعند قبيلة «البالويا» الإفريقية، يطلق على الزواج اسم «سرقة العروس» إذ تتم الطقوس بتنفيذ سيناريو التمثيلية بكل دقة: يذهب الشاب بصحبة نفر من أصحابه إلى أسرة الفتاة، وقد أخفى وجهه حتى لا يعرفه أحد، ويسير الجميع عبر طرق مختلفة وسط الحشائش في هدوء وحذر كيلا يشعر باقترابهم أحد، فإذا وصلوا إلى مسافة قصيرة من خيمة أسرة العروس أطلقوا صرخات الحرب، واندفعوا محتشدين نحو باب الخيمة، فتخرج الفتاة عند سماعها صرخات الحرب، وتقف عند باب الخيمة مستطلعة الأمر بصمت، فإذا ما وصلوا إلى قيد خطوات من الخيمة فرت إلى داخلها وكأنها قد فزعت لمرآهم.. بعد لحظات تخرج الأم، وتبدي غضبها الشديد لتجمّع الشبان أمام خيمتها، لكنها لا تلبث أن تخفّف من حدتها عندما يضعون بين يديها الهدية التي جاؤوا

من طقوس الزواج في كوريا الجنوبية

بها، ثم يمسك الشاب بيد الفتاة، وتحملها امرأة على كتفيها، وتكون قد لحقت بها لهذا الغرض، ويسرع الجميع بالفتاة إلى القرية يتبعهم أفراد أسرتها، وقد حملوا بعض سلال الأمتعة والمعدات الخاصة بإقامة حفل الزواج، فإذا ما وصل الركب إلى خيمة العريس خرجت أمه مرحبة بها بأسلوب غريب؛ إذ تمطرها وابلاً من السباب والشتائم، لكنهم أخيرًا، وبعد فاصل اللعنات والقذف، يسترضونها بهدايا خاصة، عندئذ تسمح الأم للعروس وأهله بدخول خيمة العريس الذي يكون هو الآخر قد أعد هدايا لهم.

فرحة الماساي



الزواج فوق الشجرة

ومن طقوس الزواج الغريبة المرعبة عند بعض القبائل الإفريقية أنه قبل أن يزف العريس إلى عروسه، لا بد من شد شفتيه وأُذنيه حتى تصبح شفته مثل منقار البطة، وأُذناه كأنهما مروحة، وفي ليلة الدخلة يملأ فمه بالشطة الحارة حتى تتورم شفتاه ولسانه، إذ يروى أن ذلك ضروري من أجل ليلة سعيدة.

أما رجال قبيلة «البابوا» في غينيا الجديدة فيشترون زوجاتهم في طقس تجاري واضح، إذ يقدَّر ثمن الزوجة حسب وزنها بالسمنة، وبشد حلقات معينة في أعلى ذراعها، لكن نساء قبيلة «فالكليجا» لا يستطعن الزواج إلا إذا أحضرت الزوجة لخطيبها عقلتين من إصبعين من يد أمها اليمنى، ويعد هذا دليلاً قاطعًا على قبولها هي وأمها الزواج منه.

وفي غانا عندما يرغب شاب في الزواج من فتاة يقوم المواطنون بربطهما معًا إلى أرجوحة، ويضعون معهما حفنة من النمل الأبيض القارص، وفي اليوم التالي يذهبون إليهما، فإذا وجدوهما يتحدثان معًا بلطف ورقة عُدّ هذا دليلاً على الحب، وسمحوا لهما بالزواج.

ويعد المجتمع الصيني من أغرب المجتمعات في طرائق الزواج.. فمن عاداتهم أن يعقدوا خطبة من دون أن يرى العروسان أحدهما الآخر، فإذا تم الاتفاق يُزيِّن أهل العروس ابنتهم، ثم يضعونها في محفة خاصة، ويُغلق عليها الباب، ثم يحملونها حتى خارج البلدة، وهناك يقابلون العريس فيعطونه مفتاح المحفة ليرى العروس، فإذا أعجبته قدم إليها الشبكة، وإذا لم تعجبه رد المفتاح لأهلها.

وعندما يتقدم عدد من الشبان في طلب عروس يقام حفل تركب فيه العروس جوادًا، وتدور في ساحة، ويتبعها الخُطّاب، فمن يلحق بها تكن له، ومن لا يرق لها تضربه بسوط تمسك به.. وتباع الفتاة في التبت الصينية أكثر من مرة؛ بمعنى أنه يتم زواجها برجل نظير مبلغ من المال، ثم يتقدم رجل آخر عارضًا مهرًا أكثر مما دفعه الزوج الأول فيرد أبوها المهر، ويزوج فتاته من الثاني، ويمكن أن تتكرر هذه العملية مرات كثيرة.

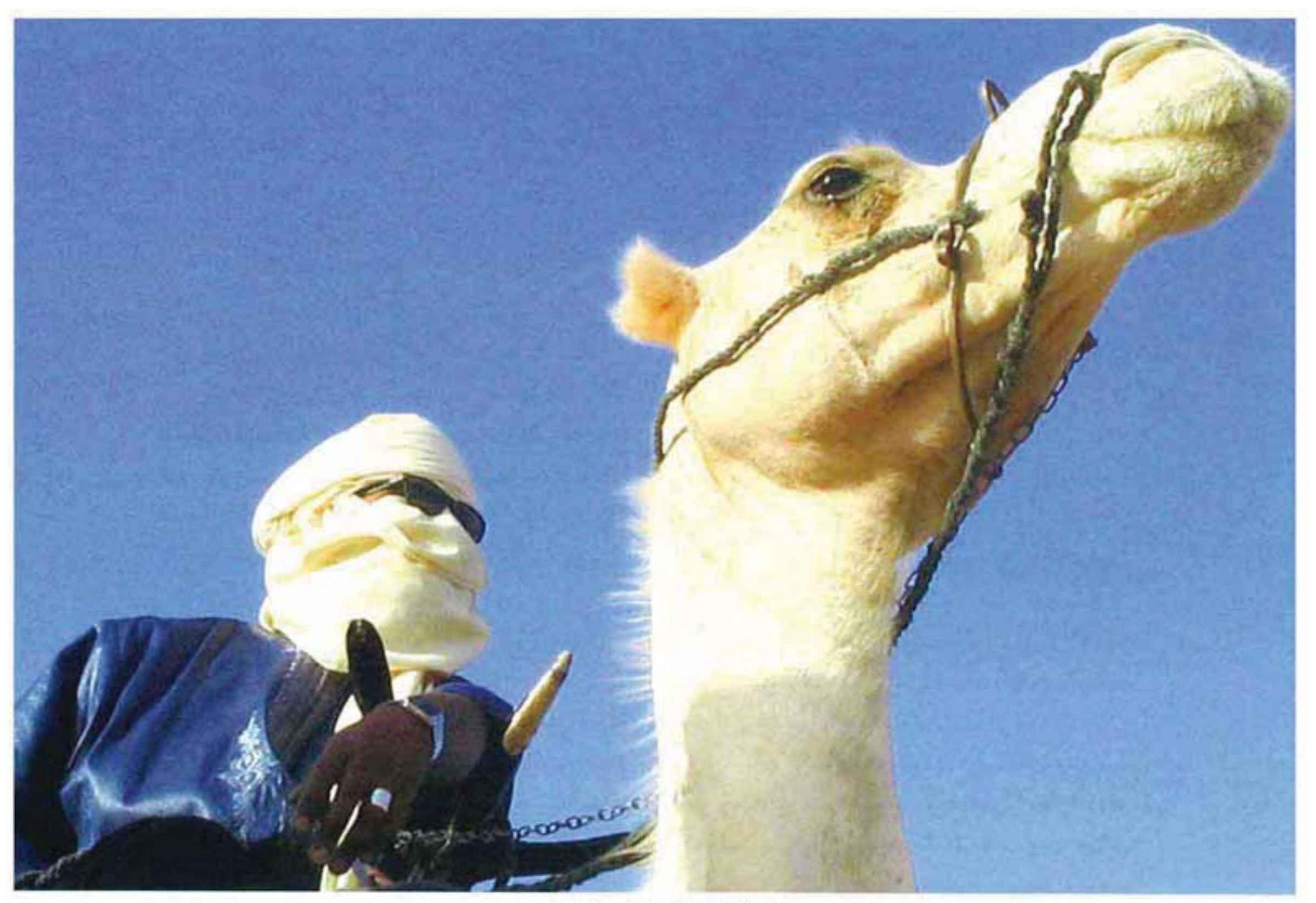
ولبعض قبائل التبت عادات عجيبة؛ فإذا أراد شاب أن يختار عروسًا ليتزوجها يضعها أهلها فوق شجرة، ويلتفون حولها مُسلحين.. فإذا جاء العريس لأخذها عليه أن ينتصر في هذه المعركة، وأن يتحمل ضربهم ليصل إلى الشجرة، ويتسلقها ليفوز بعروسه.

وفي جزر الأندمان الواقعة شرق ساحل مدراس، يجلس أهل العروسين وسط دائرة كبيرة، ويقوم كبير عائلة العريس بقراءة وصايا على العروس، ويأتي العريس ليجلسه بجانب العروس بين بكاء الأهل وصراخهم بصوت مرتفع. وهذه إحدى شعائرهم. وهنا يبدو الخجل الشديد على العروسين، ويأمر كبير العائلة العريس أن يجلس على حجر العروس لدقائق، ينصرفان بعدها إلى بيتهما.. وفي الصباح يقوم أهل العروسين بتزيينهما بالطين، ثم تُقدم إليهما الهدايا وهو ينتحبون.

ومن أغرب تقاليد الزواج تلك التي لدى قبائل «جوانسواريس» بالمناطق الجبلية عند حدود الهند الشمالية، أن يتزوج الأخ الأكبر في العائلة فتصبح زوجته زوجة لجميع إخوته، وإذا لم يكن للعريس إخوة ترفضه العروس.

وتتمتع المرأة لديهم بإخلاص أزواجها الإخوة جميعهم، ويُنسب إليهم جميع الأولاد، ولأن لكل زوج منهم وظيفة معينة يختص بها من دون سواه، فإن الابن مثلاً يُسمى أباه قائلاً: «أبي الذي يدير شؤون البيت، أو أبي الذي يرعى الأغنام، أو أبي الذي يحلب البقرة».

أما قبائل «الريدي» الهندية، فقد جرت العادة أن



أحد الطوارق متأنق بملابسه التقليدية

تتزوج المرأة بين السادسة عشرة والعشرين من عمرها طفلاً في الخامسة فقط، ويعتبر الطفل هذا زوجها الشرعي النظري، ولكن لا بد في الوقت نفسه من أن يكون إلى جانبه زوج عملي، غالبًا ما يكون عم الطفل أو ابن عمه أو أبوه نفسه، أما أطفال المرأة فيلحق نسبهم إلى بأبيهم النظري.

ويسمح للمرأة بالزواج بأي عدد من الرجال، بشرط أن يكونوا كلهم من الأقارب أو من القبيلة نفسها في قبائل النير والتويتار الهندية.

وفي بعض مناطق إندونيسيا ممنوع على العروس أن تمشي على الأرض عند زفافها من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ويلتزم أبوها أو مَنْ ينوب عنه حملها على كتفيه مهما طالت المسافة.

وفي قبيلة «نيجريتو» بجزر جنوب المحيط الهادي، يذهب العروسان إلى عمدة القرية فيمسك برأسيهما، ويدق أحدهما بالآخر، بهذا تتم عملية الزواج!

من غرائب المهور

المهر هو المال الذي يدفعه الرجل لمخطوبته للزواج بها، وهو هدية لازمة إكرامًا للمرأة، والمهر حق من حقوق الزوجة على زوجها.. وهو يختلف عند الأمم القديمة والحديثة؛ فنجد مثلاً أنه عند الأمم القديمة غير المتحضرة على من يتقدم للزواج أن يثبت أنه كفء للزواج، وذلك يكون بطرائق مختلفة، منها:

قيام العريس بخدمة والد الفتاة التي يريد الزواج منها مدة معينة من الزمن كمهر لعروسه، أو أنه تتم

مبادلة عروس بعروس، وهذه عادة ما زالت متبعة في بعض المجتمعات.. وعند قبائل «الشيلوك» تؤدي الماشية دورًا كبيرًا في حياتهم، وفي تدعيم الروابط بين الزوجين، وتبعًا لذلك فإنهم يتبعون عادة تسمى اللوبولا Lobola . وهي بمنزلة المهر للعروس يدفعه الرجل للحصول على زوجة، واللوبولا في الحقيقة عملية تحويل في الثروة، وليست مجرد مساومة للحصول على فتاة صغيرة، ويبدأ دفع الأبقار بالخطوبة، ويستمر حتى الزواج وإنجاب الأولاد.

أما في كينيا، فإن المهر يتم تحديده بعدد من الماشية، ويحكى أن أهل العشيرة من سكان كولومبيا كان يتحملون المهر المفروض على أحدهم فيدفعون معه وهم بذلك شركاء.

وإذا انتقلنا إلى حضارات الشرق الأدنى نجد أنه في إبلا ومن خلال بعض النصوص في رقم «تل مرديخ» نشير إلى مدن قدمت مهرًا لزواج الأميرات كتلك التي تتضمن مرسومًا ملكيًا تشير إلى أن مدينة إيجار على الفرات قد أُهديت إلى إحدى أميرات إبلا وعُدتْ مهرًا لزواجها.

أما في بابل فكانت تقدم للعروس أشكال مختلفة من المهور أو الهبات، كما كانوا يسمونها، وأول هذه الأشكال هو:

. التير حاتو T.R.Hatu. وقد عُرف لدى اليونان والرومان. وهو عبارة عن قيمة تُسلم إلى والد العروس، وتقدم من الخطيب أو من والده قبل الزواج، وتقدَّم أحيانًا إلى المخطوبة بالذات أو إلى المخطوبة وإخوتها من الذكور والإناث.

. البيبلو Lebiblu: وهو هدية يقدمها الخاطب عند الخطوبة، وتتألف من أشياء يضعها الخاطب في منزل والد العروس لكي توزع على أفراد الأسرة، وهذه الأسرة، وهذه الأشياء قد تكون خمرًا، أو لحمًا، أو طحينًا، أو زيتًا، أو سكرًا، أو غيرها من الأشياء.

. الشريكتو Lese Riqtu: وهذه هبة يقدمها أب لابنته، وتعد حصة إرثية مسبقة، وهي تقدمة لسد أعباء الزواج، وتسمى «بائنة المرأة» وتسلم إلى الزوج وليس له فيها سوى حق الانتفاع، وتعاد البائنة إلى المرأة في حالة الطلاق.

. النودونو Le Nudunnu: وهذه يقدمها الزوج لزوجته إبان الزواج، ويرمي من ورائها تأمين وسائل عيش لأرملته في حال وفاته أو طلاقه لها، وهي تتكون من حلي ولباس وأشياء منقولة من كل نوع.. وعند اليونان كانت الفتاة تقوم بإعداد مبلغ من المال يسمى «الدوطة»، وكان لهذه الدوطة أهمية كبرى عندهم، حتى إن الفتاة الحرة لا تُميز إلا بها.. وكان ذلك علامة للزوجة المحترمة، وكان للمرأة حق في أن تطالب أباها بذلك، ويعطى هذا المبلغ دائمًا للزوج.

ومن أغرب العادات التي استمرت إلى أوائل القرن العشرين عند قبائل الفيدا في سيلان، أن يقدّم العريس لوالد العروس كبد رجل قتله لهذا الغرض كدليل على إثبات القوة والشجاعة، وقد استبدلت هذه العملية البشعة . بالاكتفاء بتقديم كبد قرد ذكر.. إلا أنه وبشكل عام كلما تقدمت الحضارة البشرية اختفت المهور الباهظة الثمن، وقد انعدمت في كثير من البلدان المتطورة فأصبحت تقدم كهدية للذكرى، وليس أكثر.

المراجع

١. مجلة National Georaphy، ديسمبر ٢٠٠١م.
٢. الشعوب والسلالات الإفريقية. محمد عوض محمد.
٣. أغرب طرق زواج . مصلح محمد. القاهرة: دار المشرق العربي.



تحديات العولمة: آفاق ورؤى تربوية جديدة

محمد محمد سالم

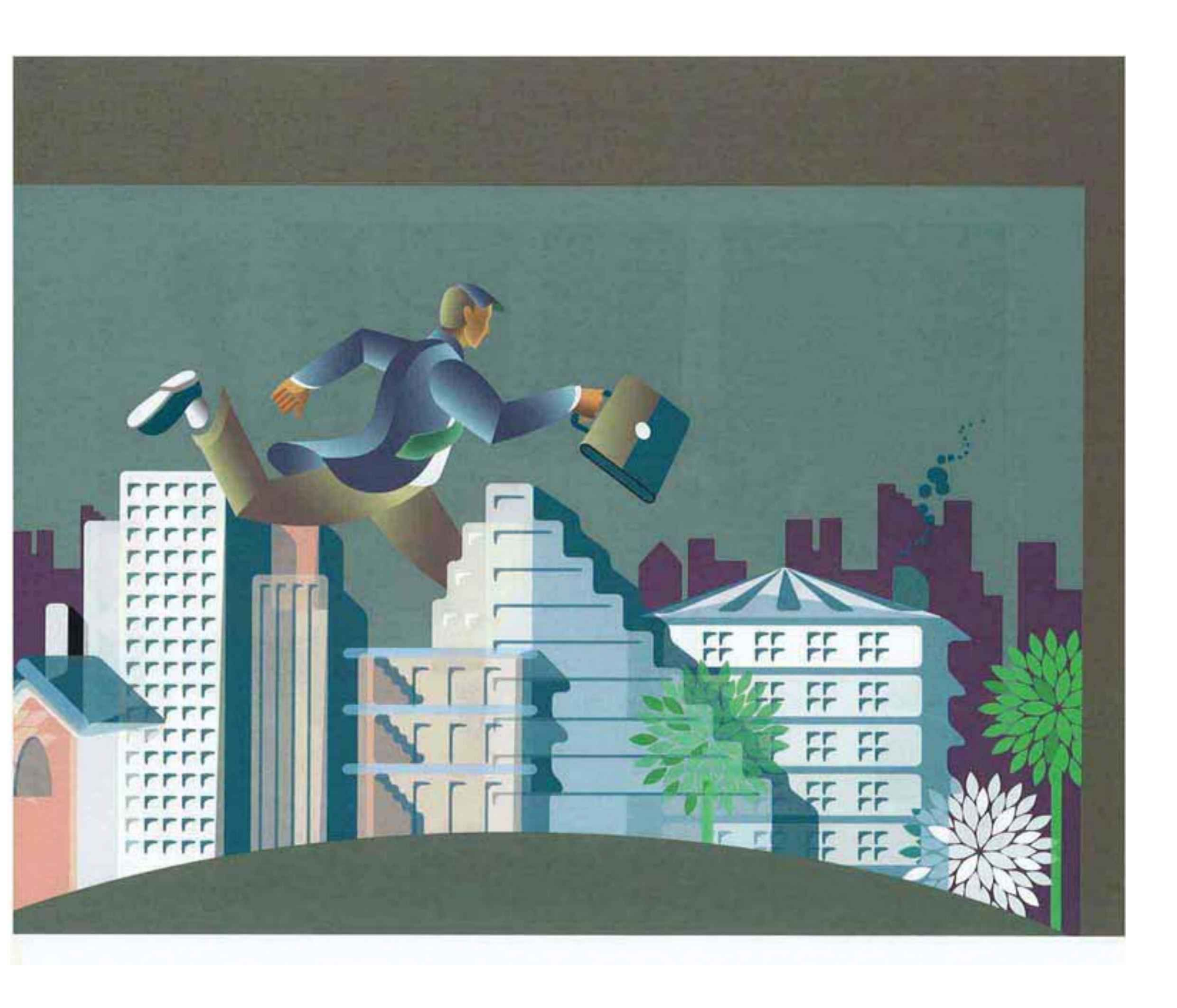
الرياض – السعودية

أصبحت العولمة مفهومًا شائعًا، ينتشر في نطاق واسع بين الآمال والمخاوف، التي يعبر عنها باستمرار من خلال قنوات الإعلام، والندوات، والدوريات العلمية، وتصريحات السياسيين كظاهرة قدمت على أنها حتمية. ومع تطور هذه الظاهرة ما زالت المدارس مستمرة في تدريس برامج تزداد تعقيداً.

وقد هيأت الندوات الفكرية والعلمية المجال لمناقشة القضايا النظرية والإستراتيجية التي تثيرها العولمة، والتي تتصل بسياسات التعليم والتدريب، وقد أكدت المناقشة ضرورة مواصلة هذا البحث بين المختصين بمستقبل أنظمة التعليم والتدريب، حتى يمكن مواجهة التحديات الناشئة عن العولمة بطريقة مناسبة.

وعلى الرغم من أن الإطار الكلي لهذا البحث قد تم تحديده في تقرير اليونسكو عن التربية في القرن الحادي والعشرين : بعنوان «التعليم ذلك الكنز الكامن» (1) إلا أن هناك محاور أخرى للبحث جديرة بالاستكشاف، لكي نخطو إلى أبعد من مجرد الرؤية المزدوجة، التي من خلالها غالبًا ما تصور عملية العولمة (الاقتصادية) على أنها إما علاج ناجح، وإما خطر ينبغي الحذر منه، ومن ثم فإن دراسة التعليم مقيدة بدورها الرؤية المزدوجة نفسها.

ومن المهم تذكر أن العولمة نمت أساساً عن طريق العوامل الاقتصادية، ومع ذلك فإن العوامل الاقتصادية الكامنة وراء العولمة لم تجد أو تهيّئ أي



مــشــروع تعــبــوي جــديــد. وفي غــيــاب أي من هذه المشروعات في دنيا اليوم، فإن اللجوء إلى المشروعات الاجـتـمـاعـيـة المتـأصلة في التـقـاليـد الأيدولوجـيـة والثقافية، قد أصبح استجابة ضرورية، وآلية دفاع مهمة؛ لأنها أسست على مجموعة منوعة من العناصر المكونة للهوية، مثل: الثـقـافـة، والعـقـيـدة، واللغـة، والتاريخ. واللجوء إلى مثل هذه المشروعات ربما يمكن شرحه بأن البحث عن الهوية يتضمن الحاجة إلى الأمن الفردي والجماعي الذي تهمله العولمة (٢).

وهكذا، فإن الأنظمـة التـعليـمـيـة تواجه عـددًا من التحديات الناتجة من غياب المشروعات الاجتماعية الكائنة في عـمليـة العـولمة. والأزمـة المتـعلقـة بدور الأنظمة التربوية في سياق العولمة ربما يمكن وضعها في السـؤال الآتي: هل على الأنظمـة التـربوية مـدّ يد العـون إلى الحركات الاجتـمـاعـيـة المبنية على إعادة تأكيد هويات محلية أو إقليمية مرتبطة بثقافة معينة، أم عليها مساعدة الأفراد ليصبحوا ملتزمين أكفاء قادمين على تأكيد نموهم وأمنهم الشخصي؟.



الشهادة ليست غاية وإنما وسيلة لمستقبل أفضل

العولمة وآفاق التعليم

وهنا تجدر الإشارة إلى التحليل العالم لـ «ثقافة العولمة» وعلاقتها بالتعليم من المنظور الذي قدمه راتينوف[٢]. ومع عدم وضوح تحليله الوضوح التام. فأود أن أذكر أمرين من إسهاماته الجديرة بالملاحظة.

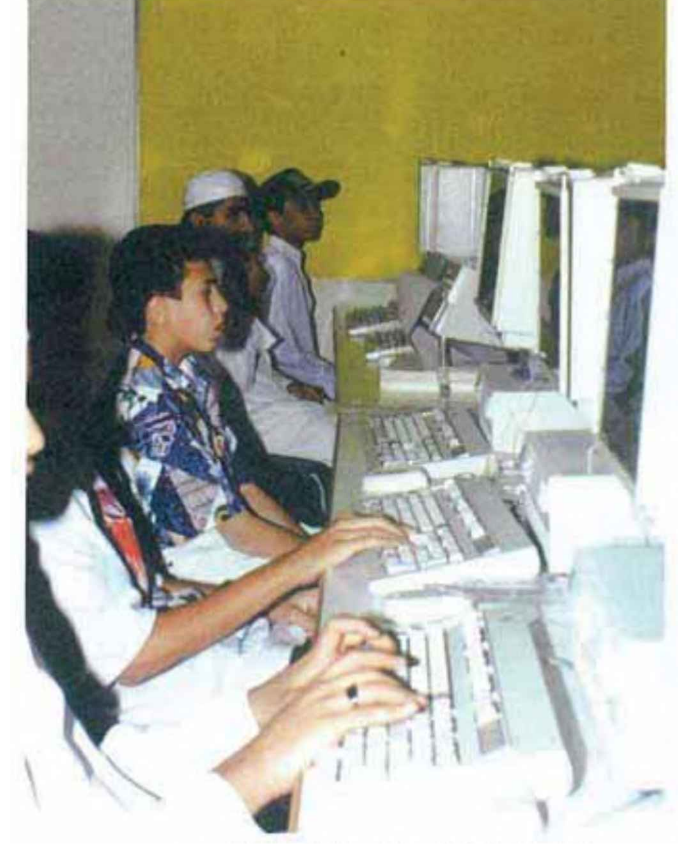
الأمر الأول: يتمثل في تأكيده الثورات الاجتماعية البعيدة المدى، التي تعد سمة من سمات عصرنا، وما ينشأ عن ذلك من اضطراب عالمي، ومن هنا قد تنشأ مشكلات تحدي الهوية للأفراد والجماعات، وقد تنشأ مشكلات أكثر حدة تتعلق بتحقيق التكامل الاجتماعي وسط مناخ من عدم الأمن والنزعة الفردية والفقر المتزايد. الأمر الثاني: يتعلق بإمكانية تقديم التعليم، أو القدرة على التعليم Educability في مثل هذا الجو من الشك والمعالجة القصيرة الأمد، في حين أن التعليم

العولمة شأنها شأن كل التحديات التي واجهت الإنسان طوال تاريخه. تجمع بين المخاطر والمنافع فيجب تعلمها، درءاً لمخاطرها وسلبياتها، واستثماراً لإيجابياتها ومنافعها

في الحقيقة . عملية تقدير طويلة الأمد للاحتمالات المستقبلية. ويلتقي التصوران في توضيحهما أن العلاقة بين «العولمة» وآفاق التعليم إنما هي علاقة تمثل مشكلة من أكثر المشكلات حدة على الإطلاق.

فعلى المستوى العملي نجد أنه قد طفت على السطح، على الرغم من كل ذلك، بقع كبيرة متدفقة من الحبر على نحو يطمس معالم المتطلبات الجديدة للتعليم في سياق هذه العولمة. فنحن في حاجة إلى أن نعرف أسلوب الإدارة، وإجراء المحاسبات. كما أننا مطالبون بتطوير المعرفة التكنولوجية المتقدمة، واكتساب المرونة، وتعلم لغات أجنبية معينة، فضلا عن الاستجابة للحوار بين الثقافات، إلى جانب تعلم أشياء أخرى كثيرة (٤). إن عملية العولمة التي نعيشها الآن هي بمنزلة عربة من دون مكابح (فرامل)، ولا يمكننا أن نكتفي فقط بأن نوصي بتكييف المجتمعات معها، أو يجب عليها أن تقبل وتدير أي عملية لعولمة التنمية. «كان القرارات الأصلية التي أوجدتها العولمة قرارات نهائية لا يمكن تغييرها على الإطلاق». والسؤال : هل أمام الثقافات الوطنية أن تختار بين عولمة التعليم وتعليم العولمة ؟ والإجابة كما يراها أبو حطب (٥) إذا كان لنا أن نحافظ على بقائنا لا يكون بالاختيار الأول الذي يعبر عن موقف الاندفاع

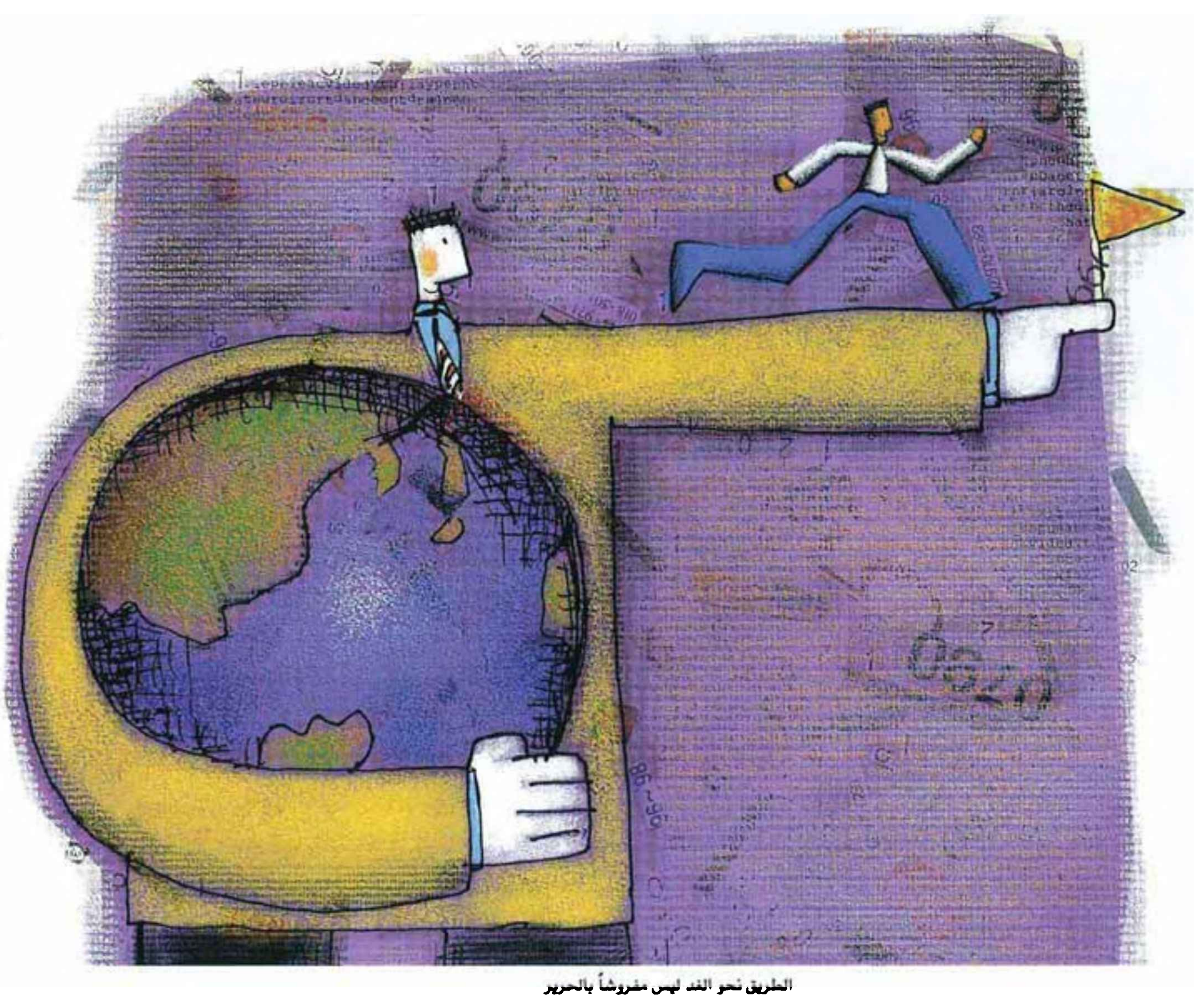
> إننا مطالبون بتطوير المعرفة التكنولوجية المتقدمة، واكتساب المرونة، وتعلم لغات أجنبية معينة، فضلا عن الاستجابة للحوار بين الثقافات، إلى جانب تعلم أشياء أخرى كثيرة



التطلع إلى الغد من خلال التعليم لمواكبة مستجدات العصر

والهرولة للحاق بالركب دون فهم لطبيعة ما يجري، وما يمكن أن تؤدي إليه عولمة التعليم، والأصح أن نتوجه نحو تعليم العولمة، وهذا البديل هو الأصوب، لو قوبل ببديل آخر، لا يقل ضرراً وخطراً عن عولمة التعليم، وهو إنكار العولمة أو استنكارها.

فتعليم العولمة يعني فهمها، وتعرف مبادئها وافتراضاتها، والنتائج المترتبة عليها، ويعني تدريب أطفالنا وشبابنا على فنيات التعامل معها وآلياتها، وإدراك ما تتضمنه من تهديدات وفرص، فالعولمة ليست شراً خالصاً، كما أنها ليست خيراً محضاً، وإنما شأنها شأن كل التحديات التي واجهت الإنسان طوال تاريخه، تجمع بين المخاطر والمنافع فيجب تعلمها، درءاً



الطريق نحو الغد ليس مفروشاً بالحرير

لمخاطرها وسلبياتها، واستثماراً لإيجابياتها ومنافعها.

تحديات العولمة

تواجه التربية تحديات كثيرة تلزم مواجهتها، ويمكن استعراضها على النحو الآتي:

. الإنتاج كثيف المعرفة في مجالات الإلكترونيات والاتصالات الفائقة السرعة، والكمبيوتر ومستلزماته، والبرامج المتعلقة به، والمواد الجديدة، والهندسة الوراثية مما أوجد فجوة رقمية مرعبة، وفجوة كمية أكثر رعبًا.

لمواجهة تحديات العولمة يجب على التربية أن تعمل على بناء الإنسان العربي المسلم، المعتز بعروبته وإسلامه وحضارته وثقافته، دون تعصب أو جمود، والقادر على تعريف العالم بمخزوننا "الروحي والثقافي"

. انفتاح الثقافات: ونعني بها تلاشي الحدود الثقافية لتصبح هناك ثقافة عالمية واحدة. وينشأ عن هذه السمة تحدٍّ يتمثل في ضرورة التوازن بين الثقافة المحلية والثقافة العالمية في مناهجنا الدراسية.

. الاعتماد المتبادل. ونعني به أنه في ظل الظروف التي تفرضها التغيرات والتحديات من حولنا لا تستطيع دولة بمفردها أن تحقق اكتفاءً ذاتياً، أو أن تتغلب على مشكلاتها، ولابد من التعاون المتبادل بين الدول لحلها، وهذا يتطلب التفكير الجماعي في كيفية التغلب على هذه المشكلات .

. السيادة التكنولوجية . ونعني بها أن هناك دولاً تنتج الأساليب التكنولوجية المتقدمة، وتسيطر بها على جميع القطاعات في العلم والعمل، وتستطيع أن تمنح أو تمنع هذه الأساليب عمن تريد، ومن هنا تضمن السيادة في هذه القطاعات. ونحن لا نزال نستهلك هذه الأساليب التكنولوجية، ولا ننتجها.

. التطورات العلمية التربوية: إذ تغطي هذه التطورات مختلف الابتكارات في التربية، والإدارة، والصحة العامة، والعلوم المختلفة، واكتشاف الفضاء. إن نتائج الدراسات والبحوث المتنوعة، ومتطلبات الدراسات العليا، والروابط العلمية والمهنية المختلفة، والمؤسسات العلمية التربوية المتخصصة هي أمثلة للمصادر التي يستثيرها المخطط لتحديد ما يؤثر منها في المنهج وتوظيف ما تشير إليه من تضمينات لمواصفات الإنسان المطلوب، وتخطيط الأهداف المنهجية.

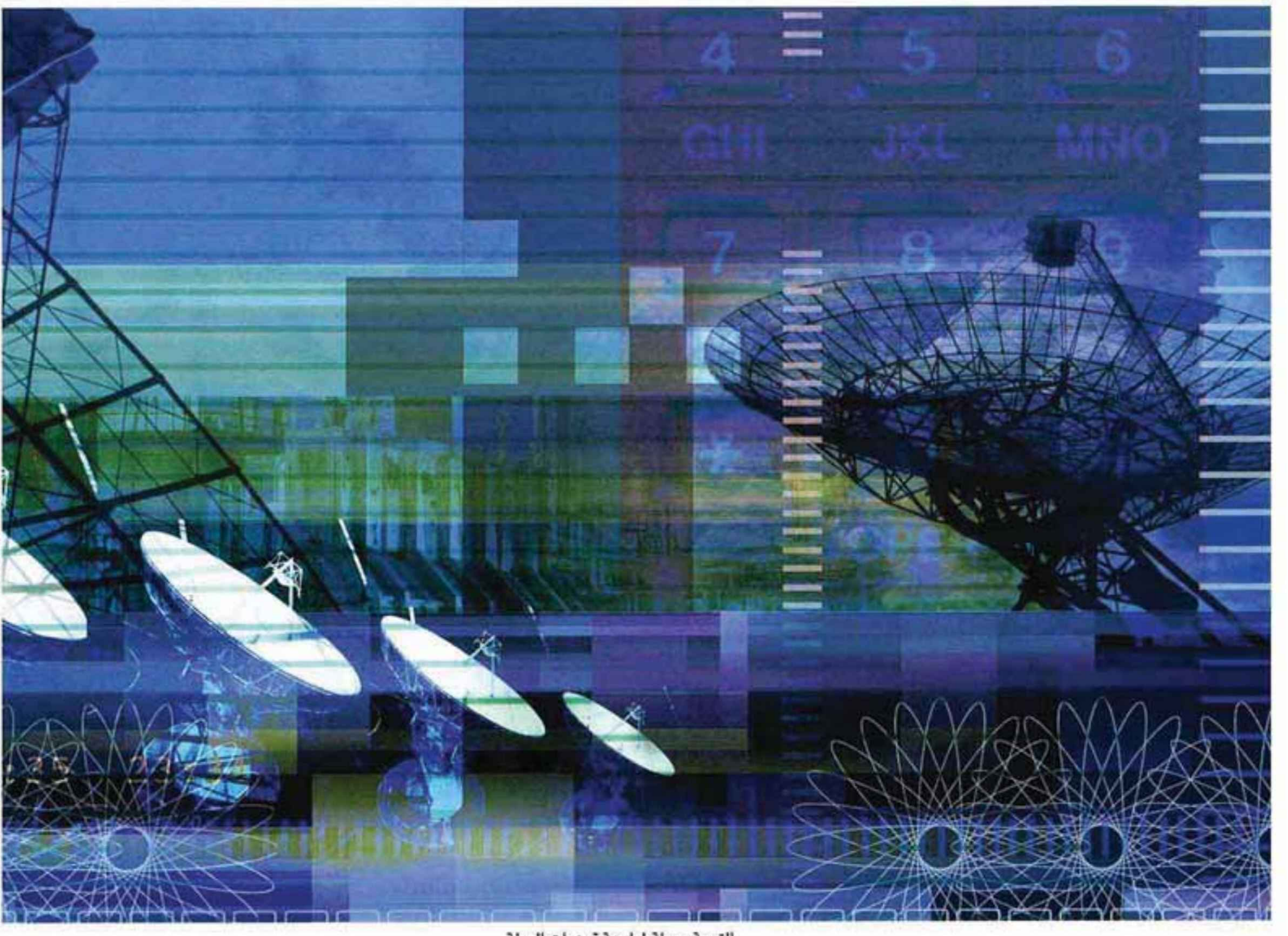
. التطورات الخلقية السلوكية، إذ تتصل هذه التطورات بالعادات اليومية وأساليب تعامل الفرد مع البيئة بما في ذلك التعامل بين الجنسين، ومجالات الانحراف المختلفة، مثل : الإدمان والرشوة وانحلال البنية الأسرية، والأمراض الجنسية.

. المشكلات التي تشهدها المجتمعات، والنظم التربوية على صعيد الاندماج الاجتماعي، كما جاءت في الفقرة الثانية من توصيات الدورة الخامسة والأربعين للمؤتمر الدولي الذي نظمته اليونسكو في جنيف في أكتوبر عام ١٩٩٦م يجدر ذكر بعضها :

- النزاعات.
- تنافر الطوائف العرقية.
- تفاقم البطالة.
- تدني القيم الأخلاقية.
- ضعف أثر المبادئ التوجيهية.

. محاولات القطب الأوحد فرض ثقافته، وسيطرتها وهيمنتها على الثقافات الأخرى، بوصفها

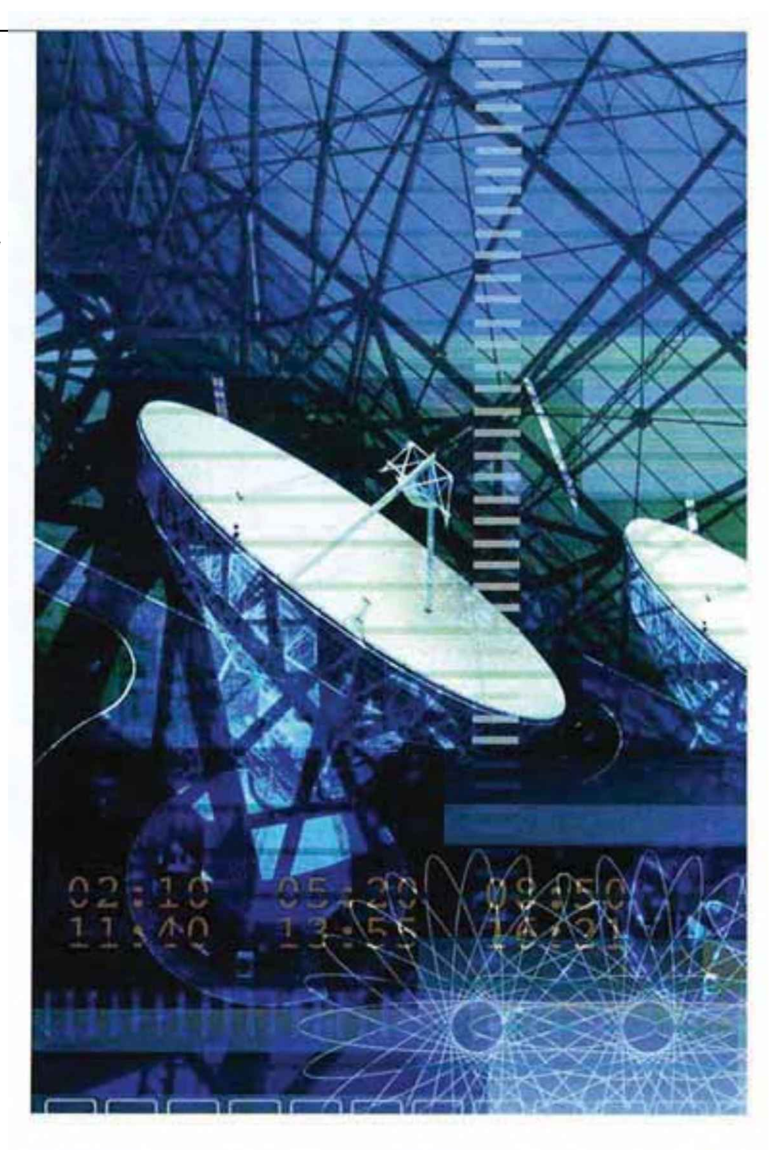
تعليم العولمة يعني فهمها، وتعرف مبادئها وافتراضاتها، والنتائج المترتبة عليها، ويعني تدريب أطفالنا وشبابنا على فنيات التعامل معها وآلياتها، وإدراك ما تتضمنه من تهديدات. وفرص العولمة ليست شراً خالصاً، كما أنها ليست خيراً محضاً



التربية وسيلة لمواجهة تحديات العولمة

«ثقافة العولمة، بكل ما تنطوي عليه من عناصر فاسدة مدمرة للأخلاق والقيم، والخصوصيات الثقافية، وفي مقدمتها اللغة، والعقيدة، والبنى الأسرية والاجتماعية، وأنها تستخدم في هيمنتها وسيطرتها تكنولوجيا فائقة في قدرتها وكلفتها. وتشكل هذه الثقافة تهديداً صارخاً للمجتمعات العربية بقيمها وأخلاقيتها ولغتها وثقافتها (٦).

إن التحديات جسيمة، والمهام والمسؤوليات جد خطيرة، والحوار حولها ينبغي أن يستمر، ولا يتوقف؛ فنحن بحاجة ماسة إلى مزيد من الجدل والنقاش، تصويباً أو إضافة، والوصول إلى حلول جديدة أكثر عمقاً وخصوصية وقدرة على الخروج من الواقع المأزوم



سبل مواجهة تحديات العولمة

. الإسراع في إنشاء البنية الأساسية للتكنولوجيا في المؤسسات التعليمية؛ لأنها ستخرج أجيالاً تتعامل مع هذا، وبها يكتمل مجتمع المعلومات، وهي خطوة أساسية نحو مجتمع المعرفة.

. تنمية الذكاءات المتعددة لدى أبنائنا الطلاب مثل : الذكاء الحسابي، والذكاء البدني، والذكاء الرياضي، والذكاء الاجتماعي .. إلخ؛ لأنها تشكل منظومة في مجتمع المعرفة. والعمل على إنتاج المعلومات Production of Knowlege لأهميته في السباق العالمي؛ إذ إن قوة الأمم في رصيدها المعرفي، وليست في دخلها القومي الإجمالي، كما كان يحسب من سنوات.

. الانفتاح على الثقافات العالمية لإعطاء الفرصة لأبنائنا، ليروا الدول المتقدمة من خلال إرسال البعثات التعليمية لديها؛ وذلك لنقل التكنولوجيا والتقدم العلمي.

. إنشاء دليل إرشادي يوزع على جميع الطلاب يكون لديهم شيء عن مجتمع المعلومات، وعن مجتمع المعرفة، كقراءة حرة.

. أن تنشئ وزارة التربية والتعليم كتبًا إرشادية Leaflet، ليقرأها الطالب، ويفهم ما هو منطق العصر.

. تطبيق فكرة التعليم المتوائم، الذي يمكن بوساطته تحقيق التكامل بين الخصوصية الثقافية، ومتطلبات المنظومة الحضارية العالمية.

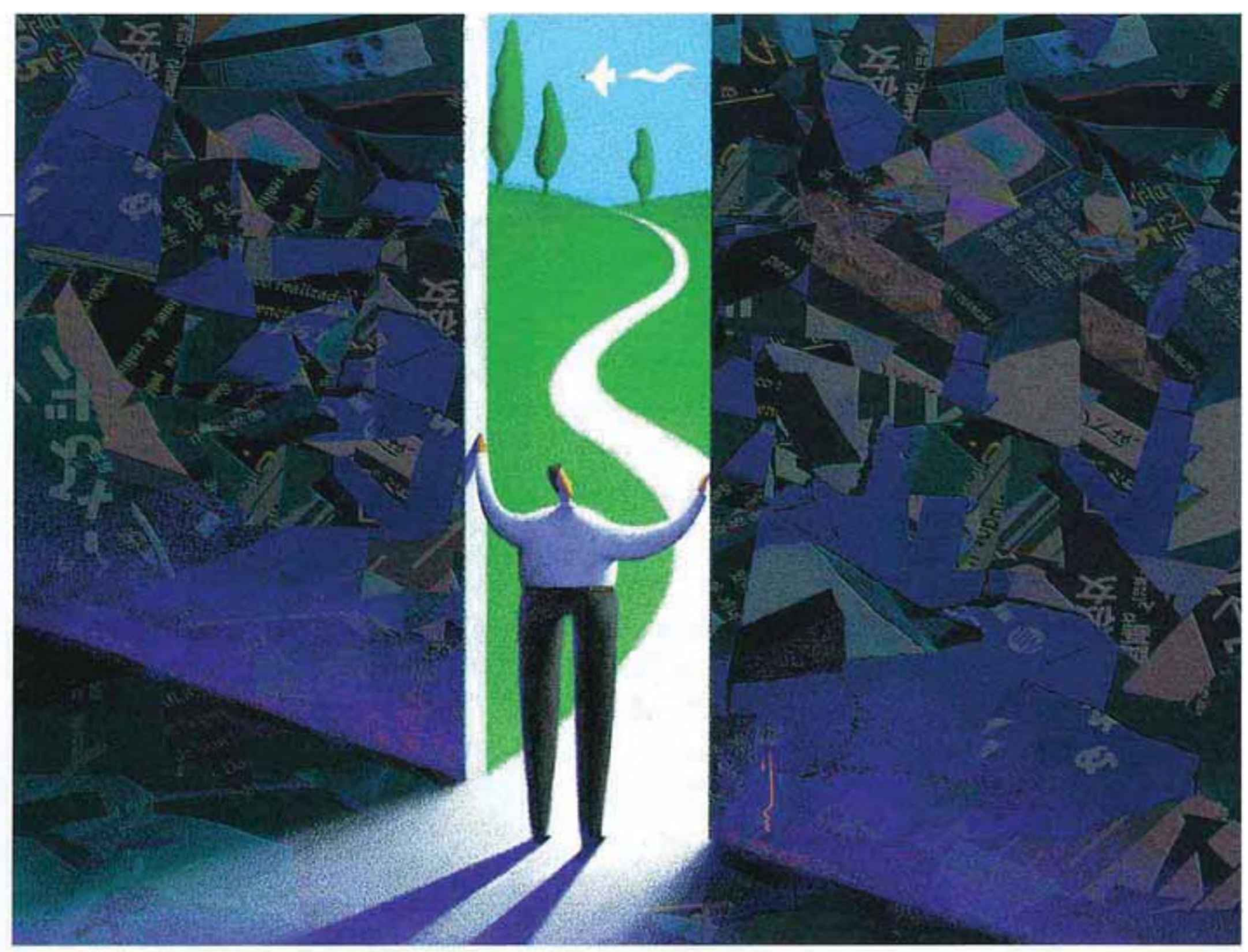
. تطبيق مبدأ التعلم المتبادل؛ إذ يتم ربط المؤسسات التعليمية بمؤسسات الإنتاج المناظرة لنوع التعليم، الذي يقدم في هذه المؤسسات، ويتردد المتعلم بين المؤسسة التعليمية، والمؤسسة الإنتاجية للتكامل بين ما هو نظري وما هو تطبيقي.

. تنمية التفكير الناقد كوسيلة لتنقية ما يصل إلينا من ثقافات الآخرين.

. تنمية الولاء والانتماء كقيمتين ترسخان الهوية القومية، والاعتزاز بها.

. تزويد المنهج المدرسي بأنشطة تكنولوجية تكسب المتعلم كيفية تطبيق المعلومات واستخدامها، وغرس سلوكيات حب الاستطلاع العلمي لديه.

. إعطاء مساحة مناسبة في مناهجنا الدراسية، وفي مختلف التخصصات؛ لدراسة التاريخ، والفكر



الانفتاح على الثقافات العالمية وسيلة لتفعيل التعليم

الإنساني بصفة عامة، والعربي بصفة خاصة، لا بطريق التلقين والحفظ والاستظهار، وإنما بالحوار، والعقلية الناقدة المنفتحة.

. تدريب الطلاب على القراءة الناقدة للأحداث، والقضايا المعاصرة، وإكسابهم مهارات التحاور عن قرب ، وعن بعد عبر شبكة الإنترنت.

. تأكيد مفاهيم التعلم الذاتي، ودعم إجراءاته؛ وذلك من خلال التركيز في الطالب، والاهتمام بدوره الفعال، ومشاركته المباشرة في التعليم.

. أكد تقرير اليونسكو في القرن الحادي والعشرين أن أحد سبل مواجهة تحديات القرن يكمن في أن يبنى التعليم، ذلك الكنز الكامن في أعماق كل منا، على الدعائم الأربع الآتية:

. تعلم الفرد ليكّون شخصية متكاملة من مختلف جوانبها، ويصبح قادرًا على التصرف باستقلالية، والحكم الصائب على الأمور، وتحمل المسؤولية.

. وتعلمه للمعرفة، بحيث يجمع بين ثقافة واسعة بدرجة كافية، وإمكانية البحث المعمق في عدد من

من المهم تذكر أن العولمة نمت أساساً عن طريق العوامل الاقتصادية. ومع ذلك فإن العوامل الاقتصادية الكامنة وراء العولمة لم تجد أو تهيّئ أي مشروع تعبوي جديد

المواد، وأن يتعلم كذلك كيف يتعلم، ليتمكن من الاستفادة من الفرص التي تتيحها التربية مدى الحياة.

- وتعلمه للعيش مع الآخرين، وذلك بفهمهم، وتحقيق مشروعات مشتركة معهم في ظل احترام التعددية والتفاهم.

والخلاصة أنه لمواجهة تحديات العولمة يجب على التربية أن تعمل على بناء الإنسان العربي المسلم، المعتز بعروبته وإسلامه وحضارته وثقافته، دون تعصب أو جمود، والقادر على تعريف العالم بمخزوننا «الروحي والثقافي»؛ لأن الثقافة - في جوهرها - لصيقة بالمحلية، وتعبير عن الهوية، وتجسيد لخصوصية التاريخ والتراث واللغة والفكر والمعتقد. وقبل كل هذا وبعده، القادرة على تنقية «البيت الثقافي» من الداخل، وعلى قبول «الآخر» وفق المعايير العامة لخصوصياتنا الثقافية، ثم القدرة على التفاعل والتحاور معه. وهذا لن يأتي إلا بتنمية القدرة على التحاور، وهذه مسؤولية التربية في تكوين هذا النمط وتشكيله من الشخصية التي تتمتع بالرؤية النقدية والتسامح، وتفهم الإنسان كإنسان واحترامه، وتقدير موروثاته، والإفادة من إنجازاته، والمشاركة في هذا الإنجاز.

إن التحديات جسيمة، والمهام والمسؤوليات جد خطيرة، والحوار حولها ينبغي أن يستمر، ولا يتوقف؛ فنحن بحاجة ماسة إلى مزيد من الجدل والنقاش، تصويباً أو إضافة، والوصول إلى حلول جديدة أكثر عمقًا وخصوبة وقدرة على الخروج من الواقع المأزوم.



المراجع

1- Delors, J. et al. (1996). Learning : the treasure within . Paris-UNESCO, Report to UNESCO by the Intrnational Commission on Education for the Twenty - first Centry - the Delors Report.

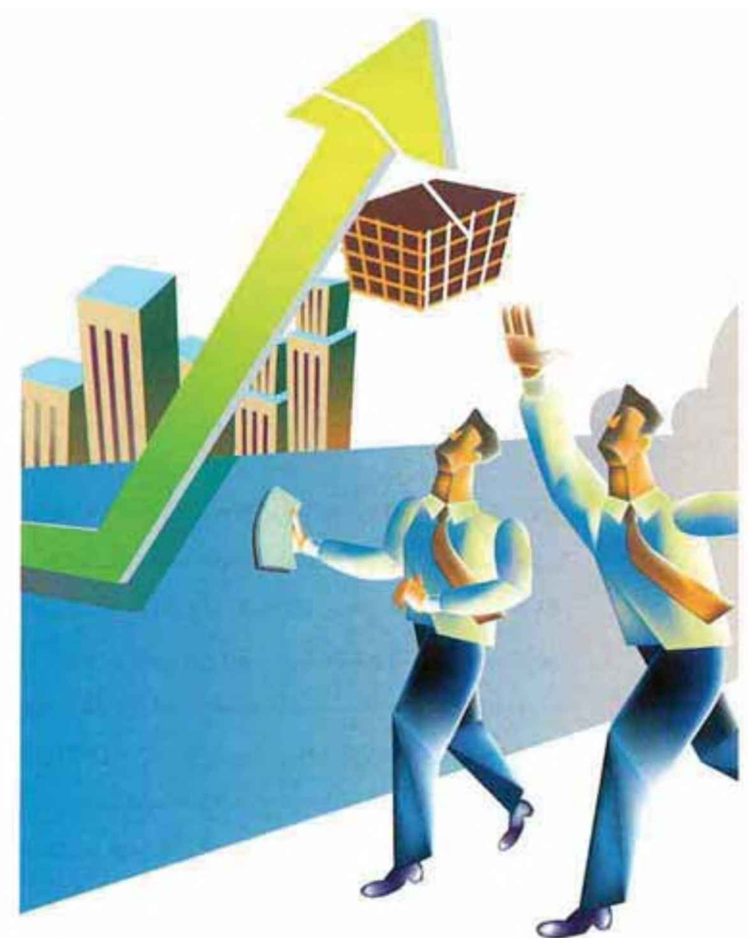
٢. كارتون، مايكل وصبحي طويل، «مدخل إلى الملف المفتوح»، مجلة مستقبليات، مكتب التربية الدولي - جنيف، المجلد ٢٧ العدد ١ مارس ١٩٩٧م.

3-Ratinoff , Luis. (1995) . Global insecurity and education : the culture of globalization. Prospect (Paris), vol.XXv,no.2,June,P.147.

٤- كوميليان، كريستيان، «رؤية عامة للمشكلات تحديات العولمة»، مجلة مستقبليات، مكتب التربية الدولي - جنيف، المجلد ٢٧ العدد ١ مارس ١٩٩٧م.

٥ - أبو حطب، فؤاد، «العولمة والتعليم بين عولمة التعليم وتعليم العولمة»، ورقة قدمت إلى المؤتمر السنوي العاشر للجمعية المصرية (العولمة ومناهج التعليم)، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٩م.

٦. بيتر مارتن، هانس وهارالد شومان، فخ العولمة، ترجمة (رمزي زكي)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢٣٨، أكتوبر ١٩٩٨م.





علاقة المستشرق كريستيان سنوك هورخرونيه بالملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله

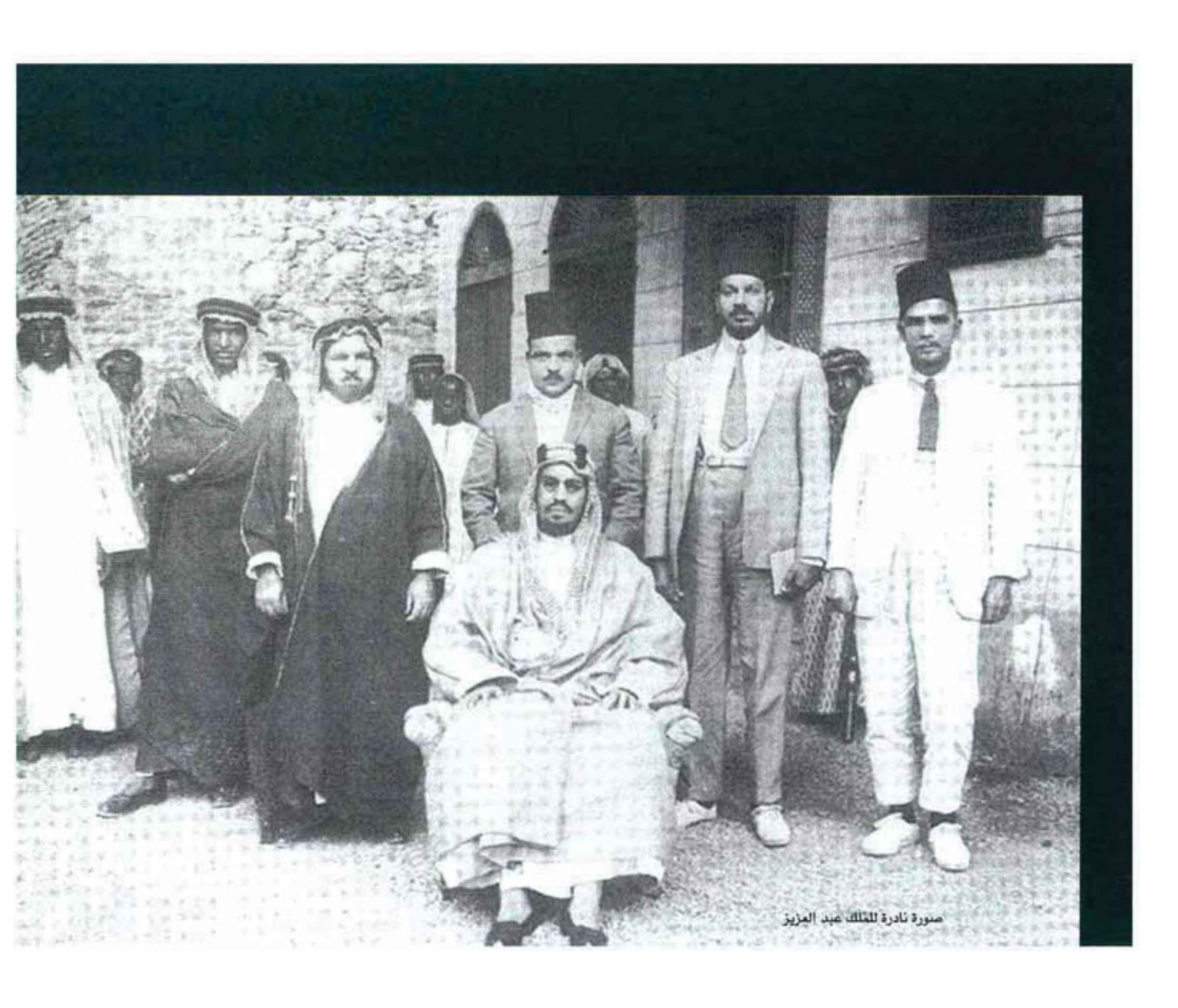
عباس صالح طاشكندي

جدة ـ السعودية

التوطئة التي كتبها الأستاذان الفاضلان: الدكتور محمد محمود السرياني، والدكتور معراج نواب مرزا في تعريبهما لكتاب المستشرق كريستيان سنوك هورخرونيه الشهير بـ (صفحات من تاريخ مكة المكرمة) أشارت، في ما أشارت، إلى أوراق البروفيسور هورخرونيه المحفوظة في ليدن بهولندا، وهو ما سنعود إليه لاحقاً.

كتاب هورخرونيه عن مكة المكرمة صدر أصلاً في لاهاي مكتوباً ومطبوعاً باللغة الألمانية في مجلدين؛ وذلك في عامي ١٨٨٨م و١٨٨٩م. كان المجلد الأول مختصاً بتاريخ مكة، أما الثاني فكان وصفاً للحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في مكة المكرمة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وتحديداً، وصفاً لما شاهده كريستيان سنوك هورخرونيه في الأشهر الستة التي قضاها في مكة المكرمة بعد أن أسلم، وتسمى باسم الحاج عبدالغفار. وللكتاب في جزأيه ملحقات مهمة من الصور والخرائط والتوضيحات.

الكتاب ترجم أولاً إلى الإنجليزية عام ١٩٣١م، على



صورة نادرة للملك عبد العزيز

يد J.H.MONAHAN القنصل البريطاني في جدة، ونشر عام ١٩٣١م في لندن بعنوان: MEKKA IN THE LATTER PART OF THE 19th CENTURY. كانت الترجمة إلى الإنجليزية من نصيب الجزء الثاني من الكتاب، وهو الأكثر أهمية من الجزء الأول التاريخي، على اعتبار أن مصادر الجزء التاريخي متوافرة، ومعلوماته متداولة.

عكف الأستاذان: السرياني ومرزا على ترجمة الجزء الثاني من الإنجليزية إلى العربية، وعكف الدكتور علي عودة الشيوخ على ترجمة الجزء الأول من الألمانية إلى العربية. ثم أصدر الأستاذان: السرياني ومرزا، الجزأين معاً بعد أن أعادا صياغة الجزء الأول، وعلقا على نصوصه، مشيرين إلى جهد الأستاذ علي الشيوخ (١).

نعود إلى الإشارة إلى الوثائق والأوراق والرسائل الخاصة بكريستيان سنوك هورخرونيه التي كُشف عنها بناء على ترتيبات قانونية تتعلق بزمن الكشف عن الوثائق. جاء في توطئة كتاب (صفحات من تاريخ

مكة المكرمة) ما نصه:

«في عام ١٩٩٧م تم الكشف عن الوثائق والرسائل الخاصة بسنوك هورخرونيه في ليدن، وعقد مؤتمر علمي عن سنوك بهذه المناسبة بتاريخ ١٤ نوفمبر عام ١٩٩٧م (١٤١٨/٧/١٤هـ)، وكان ممن حضر هذا المؤتمر معالي الشيخ أحمد زكي يماني، والدكتور معراج مرزا، كما حضره من إندونيسيا حفيد سنوك (المسلم) من زوجته الإندونيسية خديجة H.JOSEF، وكان من الذين أطلعوا على الرسائل الخاصة بِجَدِّهِ سنوك هورخرونيه» (٢).

الوثائق التي كُشِفَ عنها في المؤتمر العلمي عام ١٩٩٧م، والمخصص لهورخرونيه ظلت محفوظة في ليدن، ولم يتم تداولها لأغراض البحث رغم أهميتها الكبيرة. فالسنوات التي أعقبت خروج سنوك هورخرونيه من مكة المكرمة على أيدي العثمانيين عام ١٨٨٥م كانت نشيطة، إما من خلال ما كان يكتب من دراسات، وإما من خلال محاضراته في جامعة ليدن. واستمرت صِلاتُه مع عدد كبير من العلماء المسلمين ووجهائهم. وكان يتابع حركة التأليف في العالم الإسلامي، واتصل بالأمير شكيب أرسلان، وغيره. وارتبط أيضاً بصلة وثيقة بأمير الكتب في جدة فضيلة الشيخ محمد نصيف، الذي كان يبعث له بما كان يصدر من مؤلفات في مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة. علق في إحدى رسائله إلى الأفندي نصيف على كتاب (حياة سيد العرب) للشيخ حسين عبدالله باسلامة المكي بقوله:

«طالعنا هذا الجزء كما طالعنا الجزأين السابقين بغاية الدقة، معجبين بهمة المصنف الذي يستحق أن يلقب بابن هشام الثاني أثابه الله» وذلك وفق ما ظهر في الرسالة المشار إليها، التي بعث بها سنوك في ٢٢ ديسمبر عام ١٩٣٤م نوردها فيما يلي:



عبد الله الزواوي بعدسة هورخرونيه (١)

«الاستاذ (سنوك هرغرونيه)

من ليدن ٢٢ شهر دسمبر سنة ١٩٣٤

الى صاحب الفضيلة الاستاذ محمد نصيف سلمه الله آمين

بعد اهداء جزيل السلام والتحية نخبر فضيلتكم بانا قد استلمنا الجزء الثالث من سيرة رسول الله ﷺ

في الرابع من يوليو عام ١٩٣٦م(١٣٥٥هـ) وافت المنية المستشرق كريستيان سنوك هورخرونيه في هولندا عن عمر يناهز الواحد والثمانين عاماً. وبانتشار خبر وفاته أَبَّنَتْهُ ثلة من العلماء في الشرق والغرب



هورخرونيه بالملابس المكية في عام ١٨٨٥م (٢)

الأستاذ (سنوك هرغرونيه)

من ليدن ٢٢ شهر دسمبر سنة ١٩٣٤

الى صاحب الفضيلة الاستاذ محمد نصيف سلمه الله آمين

بعد اهداء جزيل السلام والتحية، نخبر فضيلتكم بأنا قد استلمنا الجزء الثالث من سيرة رسول الله ﷺ (كتاب حياة سيد العرب) فزاد تشكرنا اليكم بتلك الهدية السنية، لا زلتم مجملين، ولنا ذاكرين. وقد طالعنا هذا الجزء كما طالعنا الجزئين السابقين بغاية الدقة، معجبين بهمة المصنف الذي يستحق أن يلقب (ابن هشام الثاني) أثابه الله، وان سألتم عن حالنا فلله الحمد، وان احسسنا بمتاعب الشيب ونقصان القوى البدنية والروحية ندعو المولى سبحانه وتعالى أن يحفظكم ومن يلوذ بكم في غاية الصحة والعافية والسلام ختام.

من المخلص

سنوك هرغرونيه

صورة زنكوغرافية من الرسالة التي بعث بها هورخرونيه الى الشيخ محمد نصيف

(كتاب حياة سيد العرب) فزاد تشكرنا إليكم بتلك الهدية السنية، لا زلتم مجملين، ولنا ذاكرين. وقد طالعنا هذا الجزء كما طالعنا الجزئين السابقين بغاية الدقة، معجبين بهمة المصنف الذي يستحق أن يلقب (ابن هشام الثاني) أثابه الله، وان سالتم عن حالنا فلله الحمد، وان احسسنا بمتاعب الشيب ونقصان القوى البدنية والروحية ندعو المولى سبحانه وتعالى أن يحفظكم ومن يلوذ بكم في غاية الصحة والعافية والسلام ختام.

من المخلص

سنوك هرغرونيه».

الوثائق التي كُشفَ عنها في المؤتمر العلمي عام ١٩٩٧م، والمخصص لهورخرونيه ظلت محفوظة في ليدن. ولم يتم تداولها لأغراض البحث على أهميتها الكبيرة

الملك فيصل بن عبدالعزيز وهورخرونيه

يقول فؤاد حمزة في كتابه (البلاد العربية السعودية) ما يلي:

«سارعت الدول المختلفة إلى الاعتراف بما كان من أمر مبايعة جلالة الملك عبدالعزيز بالملكية على الحجاز، فرُئي من المناسب إيفاد بعثة سياسية إلى الدول التي تقدمت بالاعتراف لتكون بمثابة تثبيت للعلاقات السياسية التي فتح عهدها، وتعرف بالحياة الدولية



العادية فوقع الاختيار على حضرة صاحب السمو الأمير فيصل ليرأس هذه الهيئة، فسافر في مطلع العام الجديد إلى أوربا، وزار بريطانيا العظمى، وفرنسا، وهولندا، وكان مقرراً أن يزور بلاداً أخرى عديدة إلا أن العوائق حالت دون ذلك، فعاد إلى الحجاز في شهر جمادى الأولى من هذا العام (نوفمبر ١٩٢٦م)» (٣).

في إطار تلك الغاية التي أشار إليها فؤاد حمزة، غادر سمو الأمير فيصل بريطانيا بحراً متوجهاً إلى هولندا فوصلها في الثاني عشر من أكتوبر عام ١٩٢٦م، وبقي بها حتى التاسع عشر من أكتوبر ١٩٢٦م، رافقه في تلك الرحلة كل من :

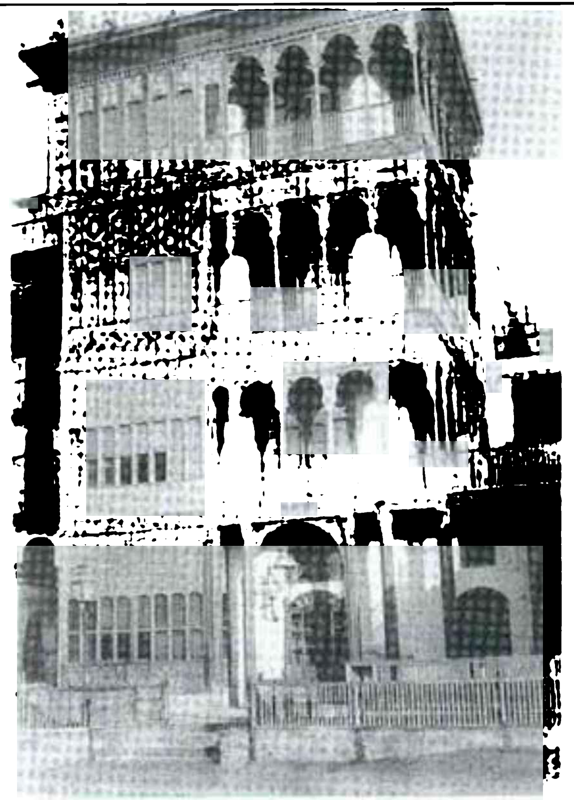
- عبدالله الدملوجي المدير العام للشؤون الخارجية السعودية.
- عبدالله الفضل السكرتير الخاص لسمو الأمير.
- ثلاثة من الحرس الخاص بسموه.

تضمن برنامج سموه الحافل زيارات لمقر وزارة الخارجية، والبرلمان، ولقاء ملكة هولندا ولهلمينا في القصر الملكي، وكذلك زيارة عدد من المنشآت الاقتصادية والصناعية. وفي صبيحة يوم الخميس الرابع عشر من أكتوبر وصل سموه إلى ليدن في زيارة إلى الجامعة، وجرى بين سموه وسنوك هورخرونيه لقاء مطول في رحاب الجامعة، وعلى الرغم من حضور سنوك عدداً من الحفلات التي أقيمت على شرف سموه، إلا أن لقاء الجامعة كان الأهم، حيث أتيحت للرجلين فرصة جيدة للتعارف المعمق مما ترك أثراً لاحقاً في مظاهر الود والتقدير والاحترام بينهما.

في مساء اليوم نفسه كتب كريستيان سنوك

صورة لسمو الأمير فيصل بن عبد العزيز في أكتوبر عام ١٩٢٦م في مدينة لاهاي مع مسؤولين هولنديين (٣)





مبنى القنصلية الألمانية في جدة

هورخرونيه في الطبعة المسائية لصحيفة : Nieuwe Rotterdamsche Courant مقالاً باللغة الألمانية بعنوان: «Prins Faisal Bin Abdal-Aziez Al-Sau'oed» الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود». ومما جاء في ذلك المقال تعريف بدور سموه بوصفه نائبًا لجلالة الملك في الحجاز، ومشرفاً في مكة المكرمة على الأجهزة الحكومية كافة، ومكلفاً من قبل جلالة الملك بوصفه نائبًا لإدارة الشؤون الخارجية. المقالة تعرضت أيضاً لدور آل سعود في المنطقة بقيادة الملك عبدالعزيز رحمه الله. ولما كان سنوك واحداً من أبرز الباحثين المختصين من الهولنديين في تاريخ مكة المكرمة، فقد تناول في مقالته الأحداث التاريخية بمكة المكرمة منذ عهد العثمانيين والأشراف حتى دخول الملك عبدالعزيز رحمه الله. كما تناول الإصلاحات التي تمت في أمور الحج، وتأمين الحجيج بعد أن كانت قوافل الحجاج تتعرض للسلب والنهب من قبل قطاع الطرق (١).

كان أثر ذلك المقال المنصف إيجابياً وجيداً في نفس الأمير الكبير، وجرى أكثر من لقاء بين الرجلين خلال الزيارة التي استمرت حتى التاسع عشر من الشهر نفسه.

صبيحة يوم السبت السادس عشر من أكتوبر عام ١٩٢٦م، قام سمو الأمير فيصل بزيارة لقاعة بلدية مدينة روتردام حيث التقى بكبار المسؤولين ورجال الأعمال الهولنديين.

توجه سمو الأمير فيصل في اليوم نفسه إلى لاهاي، مقر الحكومة، والتقطت له صورة تذكارية مهمة ضمت عدداً من الرسميين، وعدداً من المهتمين بالجزيرة العربية، ومنهم الأستاذ كريستيان سنوك هورخرونيه.

زيارة سمو الأمير فيصل الأولى عام ١٩٢٦م، لهولندا لم تفتح آفاقاً للتعاون بين البلدين فحسب، وإنما فتحت آفاقاً للتواصل بين الفيصل وكريستيان سنوك هورخرونيه، ومن مظاهر ذلك التواصل حرص سمو الأمير على تزويد هورخرونيه بالمطبوعات الرسمية، حين كلف سموه فؤاد بك حمزة إرسال المجلدات الكاملة لصحيفة أم القرى، (الجريدة الرسمية للمملكة العربية السعودية). وهذه الجريدة تعتبر في ذلك الوقت أهم مصدر للمعلومات اعتمده الملك عبدالعزيز. وكانت تُعد لسان حال الدولة الوحيد. أرسلت الصحيفة في خمسة مجلدات عن طريق المستر فاندرمولن -قنصل حكومة هولندا في جدة- وذلك بتاريخ ٢٢ ديسمبر عام ١٩٢٩م، وفق ما جاء في الرسالة الموجهة من (المخلص) فؤاد حمزة

إلى (حضرة الأستاذ الكبير سنوك هورخرونيه الأفخم) تعبر عن عمق العلاقة الحميمة والمحترمة بين الرجلين الكبيرين فيصل بن عبدالعزيز، وسنوك هورخرونيه. فقد جاء في نصها ما يلي: «ومع أن سموه يعترف بأن هذه الهدية هي هدية صغيرة في نظره، ولا تستحق أن تُقدم لأستاذ جليل مثلكم، إلا أن معرفته لفضلكم، ورغبته في أن يوجد لديكم مجموعة كاملة من الجريدة التي رافقت تقدم مملكة حضرة صاحب الجلالة منذ نشأتها إلى الآن، جعلته يَقدم على ذلك وهو قانع من أنكم تستقبلونها بقبول حسن».

والدارسون لشخصية الفيصل القيادية والإدارية لا شك يدركون أن تلك الرسالة، وهي تصدر عن المكتب الخاص لسموه، وبتوقيع فؤاد بك حمزة، هي أقرب إلى أن تكون إملاءً من الفيصل نفسه، أو أن تكون - دون أدنى شك - قد عرضت عليه ووافق على نصوصها؛ وذلك لما تحمله الرسالة من عبارات شخصية وودية تعبر عما يجمع بين الرجلين الكبيرين.

الزيارة الثانية لسمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى هولندا كانت تختلف في غاياتها عن الزيارة الأولى، إلى ذلك يشير فؤاد حمزة في كتابه (البلاد العربية السعودية) بقوله:

«في أواخر عام ١٣٥٠هـ كان قد مضى وقت طويل على إنشاء العلاقات السياسية مع كثير من الدول الصديقة والموالية من دون أن تتمكن حكومة الملك عبدالعزيز من مقابلتها بالمثل في تمثيلها السياسي. وكانت الأزمة الاقتصادية العالمية من الأسباب التي دعت إلى التريث في إنشاء تمثيل سياسي واسع مع سائر الممالك التي لها ممثلون في جدة. وبناء على ذلك رُئي أن إيفاد بعثة سياسية مؤقتة تزور عواصم الدول العديدة محقق للغرض، فعهد إلى سمو الأمير المترجم

المملكة الحجازية والشؤون الخارجية
المكتب الخاص
.....

مكة المكرمة في ٢١ رجب ١٣٤٨
٢٢ دسمبر ٩٢٩

سيدي

عهد الي حضرة صاحب السمو الملكي الامير فيصل نائب حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ان اقدم لكم بواسطة صديق الجميع السيد فرناند ريولن قنصل حكومة هولندة بجدة خمسة مجلدات تحتوي اعداد جريدة ام القرى منذ صدورها حتى السنة الحالية . ومع ان سموه يعترف بان هذه الهدية هي هدية صغيرة في نظره ولا تستحق ان تقدم لاستاذ جليل مثلكم الا ان معرفته لفضلكم ورغبته في ان يوجد لديكم مجموعة كاملة من الجريدة التي رافقت تقدم مملكة حضرة صاحب الجلالة منذ نشأتها الى الآن ، جعلته يقدم على ذلك وهو قانع من انكم تستقبلونها بقبول حسن .

ارجو ان تكونوا دائما بخير واقدم لكم في الختام فائق التحية واجل الاحترام .

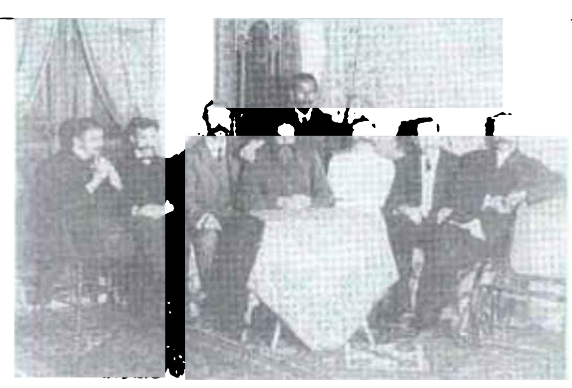
المخلص
فؤاد حمزة

الى حضرة الاستاذ الكبير سنوك هرخرونيه الافخم
ليدن - هولندة

صورة زنكوغرافية للرسالة التي بعث بها فؤاد حمزة إلى هورخرونيه

له برئاسة هذه البعثة، وكان كاتب هذه السطور عضوها الوحيد، وقد سافرت من جدة في أواسط شهر مايو ١٩٣٢م فزارت كلاً من إيطاليا، وسويسرا، وفرنسا، وبريطانيا العظمى، وهولندا، وألمانيا، وبولونيا، واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، ثم توجهت البعثة

> زيارة سمو الأمير فيصل الأولى عام ١٩٢٦م، لهولندا لم تفتح آفاقاً للتعاون بين البلدين فحسب، وإنما فتحت آفاقاً للتواصل بين الفيصل وكريستيان سنوك هورخرونيه، ومن مظاهر ذلك التواصل حرص سمو الأمير على تزويد هورخرونيه بالمطبوعات الرسمية



موظفو القنصلية الهولندية في جدة



صورة نادرة لسمو الأمير فيصل بن عبد العزيز في ١٩٢٠م (٤)

من روسيا إلى تركيا، ومنها إلى إيران فالعراق فالكويت بعد أن دامت رحلتها ما يزيد عن ثلاثة أشهر» (٥).

كان موعد زيارة هولندا قد تقرر اعتبارًا من ١٦ مايو حتى ٢٠ مايو من عام ١٩٣٢م، وقبل يوم واحد من زيارة سمو الأمير فيصل الثانية إلى هولندا كتب كريستيان سنوك هورخرونيه مقالاً موسعاً في صحيفة «تلغراف» الهولندية الواسعة الانتشار Telegraaf نشر في عددها الصادر بتاريخ الخامس عشر من مايو عام ١٩٣٢م، وفي طبعة يوم الأحد، وهي الإصدارة الأسبوعية التي كانت تلقى رواجاً كبيراً عند القراء. جاء المقال تحت عنوان:

Het bezoek Van Emier Faisal

بدأ المقال بإشارة إلى موعد وصول الأمير فيصل إلى مطار شيبول بامستردام قادماً من لندن. ثم استفاض في الإشارة إلى الأحداث التاريخية التي أدت إلى قيام الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - بتوحيد المملكة. وتناول الدعوة الوهابية كحركة إصلاح وجدت دعماً سياسياً وعسكرياً حكيماً من قبل الملك، مما أدى إلى قيام مملكة وجدت التأييد من معظم دول العالم ، وهي ترسخ مفاهيمها الإسلامية دون أن تتوقف عن محاولات التحديث. واستأثرت شخصية الأمير فيصل بجزء كبير من المقال. فَعَرَّفَ به كحاكم لمكة ونائب لجلالة الملك في الحجاز، وقائد فذ في السياسة الخارجية للبلاد. كما نوه سنوك في مقاله بالشيخ فؤاد حمزة مشيراً إلى خبراته وتجاربه.

ختم سنوك مقالته بالترحيب الحار بسمو الأمير في هولندا، وذيلها بعبارة أهلا وسهلاً ومرحباً Ahlan Wasahlan Wamarhaba (٦).

ظهر يوم الإثنين السادس عشر من مايو ١٩٣٢م وصل سمو الأمير ومرافقوه إلى مطار شيبول الهولندي في أمستردام وسط مظاهر الاستقبال الرسمي الحافل. وأعد في المطار حفل استقبال تناول فيه الأمير ومرافقوه طعام الغداء، وتوجهوا براً في موكب رسمي إلى لاهاي حيث مقر إقامتهم في فندق Hotel des Indes، الوفد المرافق لسموه ضم كلا من :

كانت الأزمة الاقتصادية العالمية من الأسباب التي دعت إلى التريث في إنشاء تمثيل سياسي واسع مع سائر الممالك التي لها ممثلون في جدة. وبناء على ذلك رُئي أن إيفاد بعثة سياسية مؤقتة تزور عواصم الدول العديدة محقق للغرض

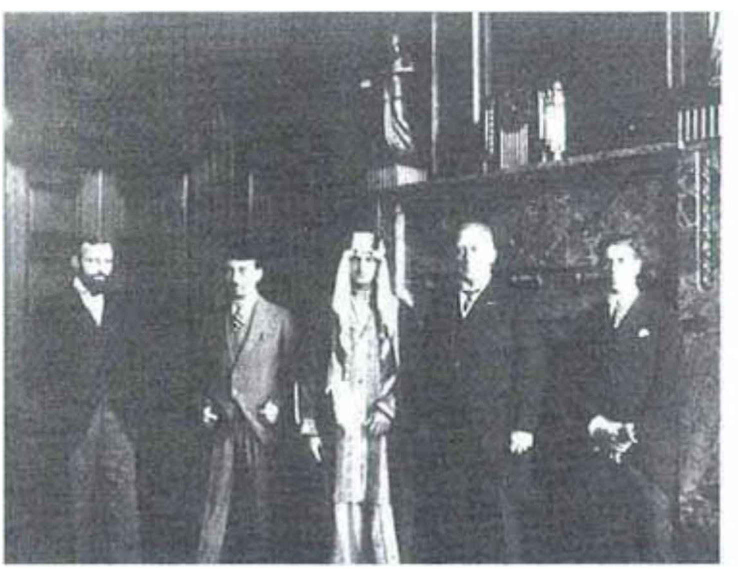
- فؤاد بك حمزة
- شاهر السمان
- خالد العجوبي

وكان يرافق الوفد السيد دانيل فاندرمولن، القنصل الهولندي السابق في جدة. صبيحة يوم الثلاثاء، توجه الأمير إلى مقر وزارة الخارجية حيث عشر من مايو في مقر وزارة الخارجية الهولندية حضره جمع كبير من المسؤولين، منهم البروفيسور كريستيان سنوك هورخرونيه، وهنالك جرى أكثر من حديث بين الرجلين عمق في معرفة كل منهما الآخر.

وخلال اللقاءات التي تمت بينهما، سواء في أثناء الرحلة الأولى، أو في أثناء الرحلة الثانية لسموه أعجب



الشيخ محمد نصيف في منزله بجدة (٥)



سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز في هولندا في أكتوبر ١٩٢٦م (٦)

التقى وزير الخارجية الهولندي السيد بلوكلاند، وتوجه من هناك في موكب رسمي إلى قصر نوردينيدي للقاء ملكة هولندا الملكة ولهلمينا.

كان برنامج الفيصل حافلاً في تلك الزيارة. فقد خصص يوم الأربعاء الثامن عشر من مايو لزيارة عدد من المنشآت الاقتصادية والصناعية والثقافية. أما آخر يوم للزيارة، فقد توج بحفل استقبال كبير مساء التاسع

"في عام ١٩٩٧م تم الكشف عن الوثائق والرسائل الخاصة بسنوك، وعقد مؤتمر علمي عن سنوك بهذه المناسبة، وكان ممن حضر هذا المؤتمر معالي الشيخ أحمد زكي يماني، والدكتور معراج مرزا، كما حضره من إندونيسيا حفيد سنوك (المسلم) من زوجته الإندونيسية خديجة

كل واحد منهما بشخصية الآخر. إذ لم يخف هورخرونيه إعجابه بشخصية الأمير الشاب وحصافته وقدراته ونبوغه، وعبر الرجل عن ذلك كتابة في مقالتيه، أو شفاهًا على أسماع الحاضرين في اللقاءات، كما لم يخف الأمير الجليل إعجابه بشخصية هورخرونيه الفذة، وعلمه الغزير، وإحاطته الواسعة، ليس بتاريخ مكة المكرمة

سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز مستقلا العربة الملكية في هولندا في مايو ١٩٣٢ (٧)

كتاب هورخرونيه عن مكة المكرمة صدر أصلاً في لاهاي مكتوباً ومطبوعاً باللغة الألمانية في مجلدين: وذلك في عامي ١٨٨٨م و١٨٨٩م. كان المجلد الأول مختصاً بتاريخ مكة. أما الثاني فكان وصفاً للحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في مكة المكرمة

فحسب، وإنما بخبرته الواسعة في شؤون العرب والمسلمين، معتبراً إياه واحداً من أكبر أصدقاء العرب.

في الرابع من يوليو عام ١٩٣٦م(١٣٥٥هـ) وافت المنية المستشرق كريستيان سنوك هورخرونيه في هولندا عن عمر يناهز الواحد والثمانين عامًا. وبانتشار خبر وفاته أبَّنَتْهُ ثلة من العلماء في الشرق والغرب، وما إن علم جلالة المغفور له بإذن الله الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - وهو آنذاك نائباً لجلالة الملك في الحجاز، حتى بعث برسالة شخصية حملت توقيعه أرسلها في الحادي والعشرين من يوليو عام ١٩٣٦م، معنونة إلى : حضرة السيدة والآنسة سنوك هورخرونيه المحترمتين معزياً في وفاة الفقيد، ومشيراً إلى حالة الحزن التي شعر بها من جراء النبأ الأليم، وواصفاً إياه بالعالم الجليل، والعضد القوي للعرب، الذين يعتبرونه من أكبر أصدقائهم.

ونضمن فيما يلي نص تلك الرسالة الوثيقة:

الطائف ٢١ يوليو ١٩٣٦م

• حضرة السيدة والآنسة المحترمتين

تناولت في هذا البريد بيد الاسف الاخبارية الموجهة إلي والمتضمنة خبر وفاة صديقنا الجليل المسيو كريستيان سنوك هوركرونج في أواخر يونيو المنصرم.

إن هذا النبأ كان له أعمق اثار الحزن في نفسي لما كنت أشعريه نحو الفقيد من الاعجاب والاكبار بعد تعرفي الى شخصه المحترم وانى أتوجه بأخلص عبارات التعزية اليكما بهذه الخسارة البالغة.

وفي الواقع إن وفاة المسيو كريستيان لا تفقده شيئًا من طيب الذكر وخالد الاثر الذي تحلى به في حياته، ولكنها تفقد أصدقاءه عالمًا جليلاً وعضدا قويًا وأن العرب الذين يعتبرونه من أكبر اصدقائهم لجدير بهم ان يشعروا مع الألم بفقدانه.



سمو الأمير سعود يزور مكتبة جامعة ليدن

وتفضلي ايتها السيدة والانسة بقبول شعوري الطيب واحترامي الخالص.

حضرة السيدة والآنسة سنوك هوركرونج المحترمتين».

بذلك يسدل الستار لعلاقة حميمة قامت على الود والتقدير والاحترام والإعجاب، وامتدت أكثر من عشر سنوات (١٩٢٦م- ١٩٣٦م) بين شخصيتين فذتين، الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، والسيد كريستيان سنوك هورخرونيه أو الحاج عبدالغفار، كما كان يحلو له أن يطلق عليه من الخاصة من عارفيه. وقد قيل: إنه أوصى ابنه قبيل وفاته بأن يدفن في مقابر المسلمين (٧).

هوامش الصور

١- صورة السيد عبدالله الزواوي (١٨٥٠-١٩٢٤م) التقطت سنة ١٨٨٤م بواسطة سنوك هورخرونيه في مكة المكرمة. ويعد الزواوي أحد الذين درس عليهم سنوك في مكة المكرمة، واستمرت الصداقة

حضرة السيدة والآنسة المحترمتين

واحترامي الخالص.



رسالة من الملك فيصل - رحمه الله- إلى زوجة هورخرونيه وابنته

والمراسلات بينهما حتى تاريخ وفاة الزواوي.

٢- تمثل هذه الصورة سنوك هورخرونيه مرتدياً الملابس المكية التي كانت سائدة في زمن وجوده بمكة المكرمة عام ١٨٨٥م.

٣- يظهر سمو الأمير فيصل في وسط هذه الصورة، التي التقطت في يوم السبت السادس عشر من أكتوبر عام ١٩٢٦م بمقر الحكومة في مدينة لاهاي، جالساً بين مستضيفيه. ويظهر في الصف الأول على يساره السيد باتجن عمدة لاهاي، السيد نولنز وزير الدولة الهولندي وعضو البرلمان، الدكتور كونينيميبرجر وزير شؤون المستعمرات، وعلى يمين سموه السيد فان كارنبيك وزير الشؤون الخارجية، السيد عبدالله الدملوجي، السيد همسكيرك عضو البرلمان ورئيس حزب A R P ووزير الدولة، كما يظهر في الصف الثاني من اليسار: السيد دانييل فاندرمولين القنصل الهولندي في جدة، السيد شيلتوس، السيد كارستين، الأستاذ عبدالله الفضل سكرتير سموه، السيد شوكينج عضو البرلمان ورئيس حزب CHU، البروفيسور كريستيان سنوك هورخرونيه، السيد ريندورب، السيد إيفروين مدير البنك الهولندي، السيد أ. سنوك هورخرونيه الأمين العام لوزارة الخارجية الهولندية، السيد فان فورسيمسن، السيد كوستر، السيد فوس فان ستينويج رئيس دائرة الأرشيف الوطني.

٤- صورة نادرة أخذت لسمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز في أواخر العشرينيات ١٩٢٠م في مكة المكرمة حين كان سموه نائباً لجلالة الملك في الحجاز، ويظهر في الصورة بعض صغار الأمراء، وعدد من خاصة الأمير.

٥- الصورة التقطها القنصل الهولندي في جدة فاندرمولن لفضيلة الشيخ محمد نصيف في منزله بجدة في الرابع من إبريل عام ١٩٢٧م (١ شوال ١٣٤٥هـ).

٦- يظهر سمو الأمير فيصل في هذه الصور التذكارية التي التقطت في السادس من أكتوبر ١٩٢٦م واقفاً وعن يساره عمدة روتردام السيد وايتما، وسكرتير العمدة السيد جيمس، وعن يمينه الشيخ عبدالله الدملوجي فالقنصل الهولندي في جدة السيد دانييل فاندرمولين.

٧- تظهر هذه الصورة سمو الأمير فيصل مستقلاً العربة الملكية التي تجرها الجياد يحيط بها حرس الشرف التقليدي؛ وذلك في باحة القصر الملكي للملكة ولهلمينا ملكة هولندا. كان الفيصل يرتدي الزي السعودي الوطني ممسكاً بسيف ذهبي وجلس أمامه رئيس تشريفات الملكة ولهلمينا. الصورة التقطت صبيحة يوم الثلاثاء ١٧/٥/١٩٣٢م.

الهوامش والمراجع

◆ نصوص الرسائل تم إيرادها كما هي في الأصول من دون أي تدخل.

١. سنوك هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة محمد محمود السرياني، ومعراج مرزا، جزآين (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ).

٢. المرجع السابق، جـ١، ص٤٠ .

٣. فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية (القاهرة، دار الآفاق العربية،٢٠٠١م) ص ٦٣.

4- Dirry Oaostdam. West-Arabian Emcounters.Leiden University. Library. Leiden.2004.p.143.

٥. فؤاد حمزة، المرجع السابق، ٦٣.

٦. Dirry Ostdam، المرجع السابق، ١٤٨.

٧. سنوك هورخرونيه، المرجع السابق، ٤١.



الانطباعية في فن الرسم

فاضل كمال الدين

محافظة بابل ـ العراق

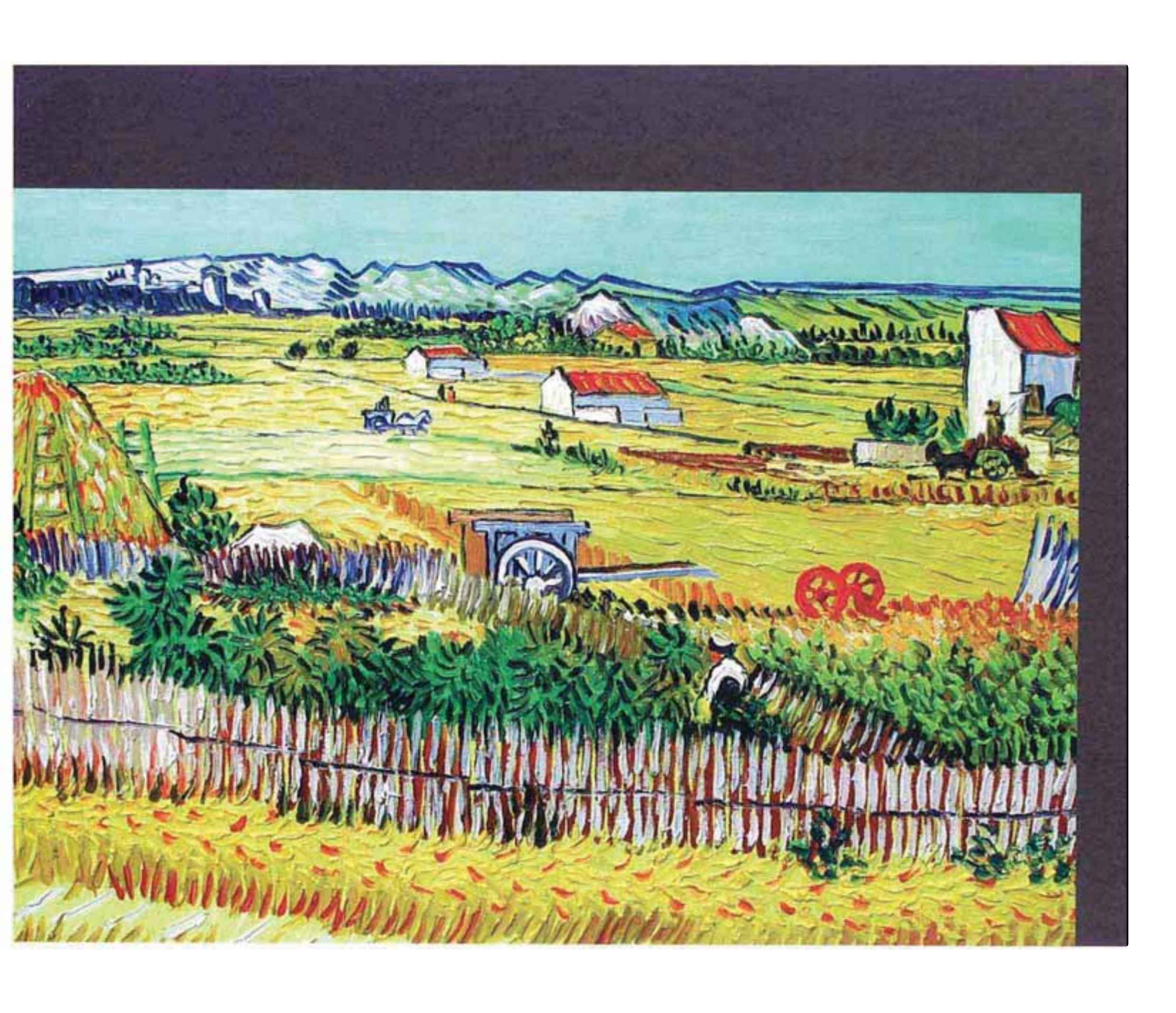
الانطباعية هي أهم تطور حدث في الفن الأوربي منذ عصر النهضة. إذ إنه استأصل الأشكال الرتوبية التي كانت في عصر النهضة. ونبع من الانطباعية كلُّ ما أعقبها من تطورات في مجالات الرسم والنحت. وانعكست المبادئ الأساسية للانطباعية في كثير من أشكال الفن الأخرى.

وقامت الانطباعية بإحلال طريقة الإدراك الحسّي المبني على الخبرة البصرية الفعلية محلَّ الطريقة المفاهيمية المبنية على أفكار متعلقة بطبيعة ما نرى، وأحلت كذلك الواقع العابر محل ما هو مفترض من واقع ثابت.

وبعد أن رفضت الانطباعية فكرة وجود قاعدة مقررة وثابتة في التعبير عن الأمزجة والأحاسيس في ما يتعلق بالموضوعات أعطت الأهمية الأولى للاتجاه الذاتي للفنان مؤكدة أهمية العفوية والآنية في الرؤية، وفي الاستجابة.

وبقيام الانطباعية بتكوين مذهب «واقعي» ينطبق على مادة الموضوع بمقدار انطباقه على التقنية، فإنها قد تحاشت ما هو قصصي أو تاريخي أو رومانتيكي، مركزة ـ بدلاً من ذلك ـ في الحياة الحاضرة والظواهر الموجودة في تلك اللحظة ذات العلاقة .

وبقيام الانطباعيين بترك العمل داخل الأستوديو، أعطوا أهمية كبيرة لمسألة الرسم في الهواء الطلق، والاتصال الحسّي بالموضوع، الذي يجتذب اهتمامهم. وعند ممارسة الانطباعيين الرسم بهذه الطريقة، أوجدوا تقنية أملتها السرعة المطلوبة والحاجة إلى الوصول إلى

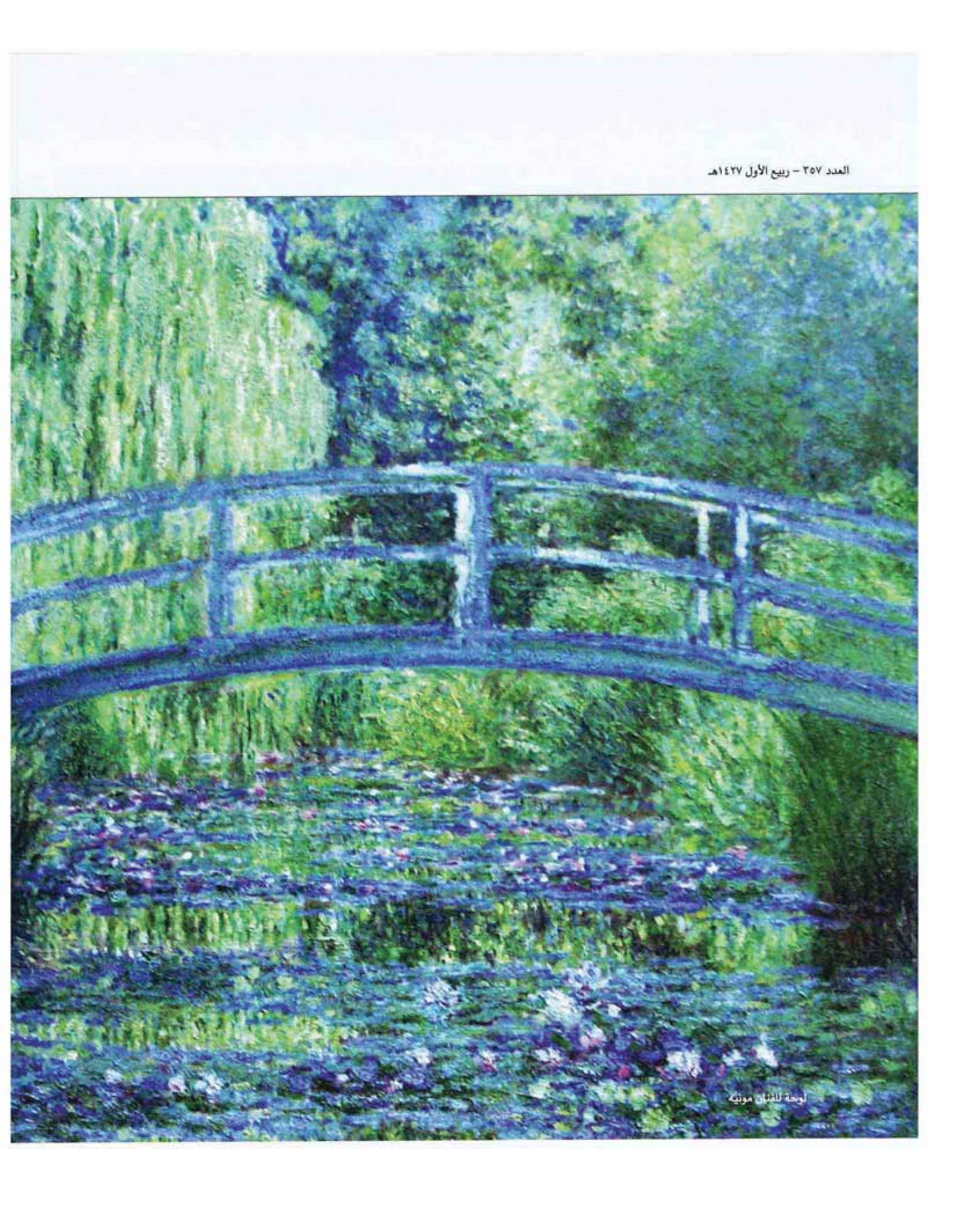


الحقيقة الحسية. وقاموا بحذف الظلال السوداء الأُطر التي ليس لها وجود في الطبيعة واستبدلوا ألوانًا مكملة للموضوع بالظلال، واستخدموا ألوان قوس قزح، وجرّبوا تقنيات مختلفة بخصوص تخفيف الألوان وتكسيرها.

كانت الانطباعية إحدى الحركات الفنية الأولى التي ارتبطت بمجموعة فنانين واعية بذاتها، ونظمت عددًا من المعارض، ومارست نشاطًا موحدًا، غير أن أولئك الفنانين كانوا شديدي التباين في ما بينهم في شخصياتهم، وفي فنهم (١).

أصل التسمية

كان معرض الانطباعيين قد أُفتتح في الخامس عشر من أبريل/ نيسان عام ١٨٧٤م في باريس. وبعد مرور عشرة أيام على ذلك التاريخ ظهرت في أعمدة إحدى المجلات مقالة بعنوان «معرض الانطباعيين». وكان كاتب تلك المقالة هو لويس لوروي الذي ادعى لنفسه الشهرة بسبب كتابته تلك المقالة. وهكذا ظهر مصطلح جديد في تاريخ الفن. وقد شاع استخدام كلمة «انطباعيات» بعد استخدامها من قبل الناقدين في ما



لوحة للفنان مونيه

كانت الانطباعية غزوًا تدريجيًا للضوء الذي أصبح يؤلف قاعدة أساسية في الرسم. وكان ميدان فعل الانطباعية وازدهارها هو المناظر الطبيعية حيث تتلاشى الحدود في تقلبات الجوّ الحادة والمتعاقبة

يتعلق بأعمال فنانين، مثل: كورو، وجونكند، وروسو.

وقال مانيه في عام ١٨٦٧م: إنه كان يقصد «نقل انطباع»، غير أن استخدام تلك الكلمة قد شاع، وتجاوز المعنى الذي كان يقصده الناقد لوروي.

وكانت مقالة الناقد لوروي تحمل روح العداء للانطباعية، مثل مقالات أخرى كثيرة ظهرت في ما يتعلق بذلك المعرض، واتخذت تلك المقالة شكل محاورة بين كاتبها لويس لوروي والسيد جوزيف فنسنت، الذي هو رسّام خيالي، لا وجود له وهو يرسم مناظر طبيعية، وحاصل على أوسمة من قبل إدارات مختلفة. وتظهر كلمة «الانطباع» أول مرة في المحاور حول لوحة الفنان بيسارو المعنونة «حقل محروث»، فيقول فنسنت الشخص الافتراضي:

«تلك الأخاديد!! وذلك الصقيع!! هي مجرد قطع صغيرة مأخوذة من لوحة ألوان الرسام، ومرتبة على

أدرك الكاتب والناقد إميل زولا الواقع الذي يعيشه الانطباعيون. فأشار إلى أن الحركة الانطباعية قد وصلت إلى طريق مسدود بسبب غياب "الأستاذ" القادر على تجسيد النظرة الجديدة بقوة

قماشة مُوحلة ودكناء اللون، ليس للوحة رأس أو ذيل، وليس لها فم ولا قعْر».

ويجيبه الكاتب: «ربما.. ولكن الانطباع موجود».

فيقول فنسنت: «حسنًا.. إنه انطباع مضحك!! وهذا الشيء ما هو؟».

«هو لوحة بعنوان «بستان» للسيد سيلسي، هل ترى الشجرة الصغيرة في الجهة اليمنى؟ هي تتألق ولكن ما هو الانطباع؟!».

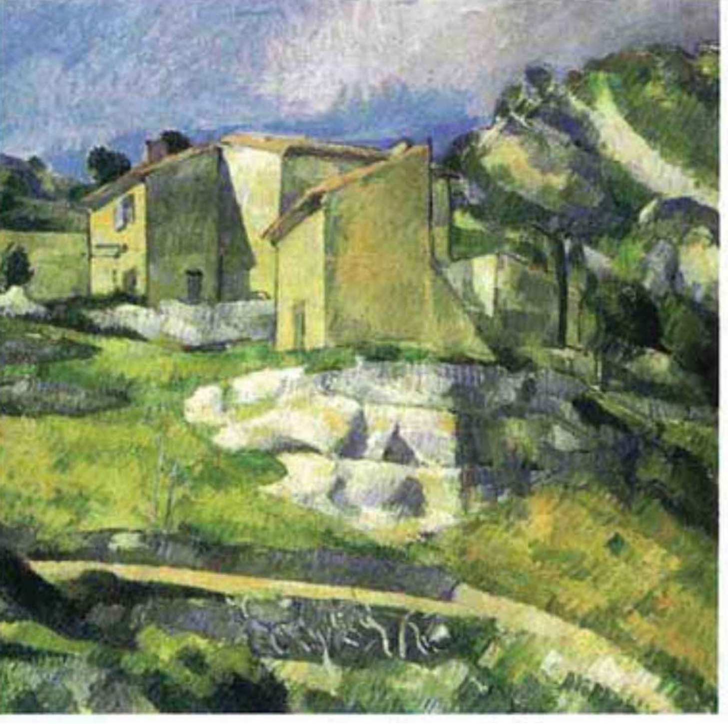
يجيبه كاتب المقالة:

«توقف عن الاستمرار في الحديث عن انطباعاتك» (٢).

نشوء الانطباعية

وُلد جيل الانطباعيين في الفترة ما بين عام ١٨٣٠م وعام ١٨٤١م، وعلى الرغم من أنهم كانوا يتباينون أفرادًا في خلفياتهم، وفي تدريبهم وأمزجتهم، تباينًا واسعًا، غير أنهم كانوا مجموعة يمتلكون الاندفاع الكبير ذاته في الرغبة في التفرد، وفي الإخلاص، وكانوا كلهم قد قدموا إلى باريس في نحو عام ١٨٦٠م. ونشأت بينهم جميعًا زمالة صادقة، وتميزت مجموعتان في تكوينهم: إحداهما في الأكاديمية السويسرية، وتركز حول بيسارو، والمجموعة الأخرى في ستوديو «معهد غلير»، وتركزت حول مونيه.

وكان ستوديو «معهد غلير» يتمتع بسمعة طيبة نسبيًا بسبب تحرره من الأساليب المتزمتة في طرائق التدريس، وكان قد تناوب على الدراسة فيه أكثر من خمسمئة فنان وانضم إليه مانيه أيضًا مع عدد من أصحابه الجدد، مثل: بازيل، وسيلسي، ورينوار. وبقي هؤلاء على صلة مستمرة بأصدقائهم الآخرين في الأكاديمية السويسرية بفضل مونيه، وبازيل. وفي ربيع عام ١٨٦٤م أغلق معهد «غلير» أبوابه نهائيًا، فانتقل



الطبيعة بمنظور الفنان سيزان

مونيه ورفقاؤه إلى غابة «فونتنبلو» حيث شرعوا يرسمون في الهواء الطلق، ومن الطبيعة مباشرة.

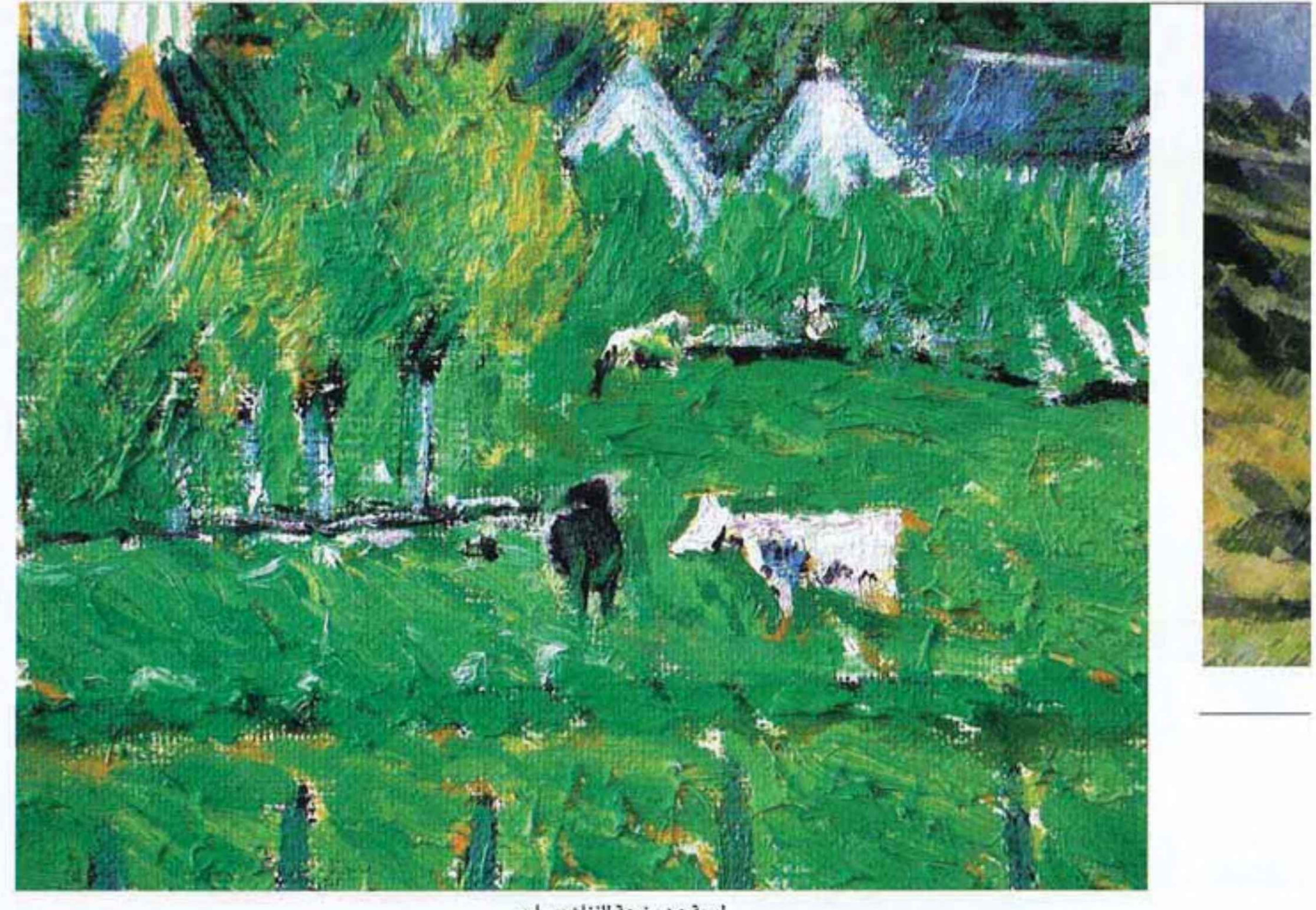
وهنا ولدت الانطباعية، والفضل في ذلك يعود إلى يوجين بودان، الذي استضاف مونيه، وكوربيه، وبودلير، وجونكند، وعددًا آخر من الشباب الذين فتحوا عيونهم على اللون السحري للضوء والماء (٣).

وبقيت غابة فونتنبلو هي الخلفية المفضلة للتجارب الانطباعية الأولى التي كان رائدها المتحمس «مونيه» الذي أضحى الموجِّه الأول للانطباعيين. وبتعاظم حركة الرسم في الهواء الطلق، بَدَتْ الموضوعات وكأنها قد أمسَت طَوْع بنان الانطباعيين.

كانت الانطباعية غزوًا تدريجيًا للضوء، الذي أصبح يؤلف قاعدة أساسية في الرسم. وكان ميدان فعل الانطباعية وازدهارها هو المناظر الطبيعية، حيث تتلاشى الحدود في تقلبات الجوّ الحادة والمتعاقبة. ولكن التجربة مع الضوء واللون لم تكن هي كل القصة مع الحركة الانطباعية لأن الدراسات المفصلة للقوام البشري والتكوين قد نتجت منها عدة مشكلات متعلقة بالشكل والفضاء والتكوين، وهي مشكلات كان هناك سعي إلى إيجاد حلول لها. وكانت ثمرة ذلك نشوء طريقة جديدة لرؤية العالم عززت من جراتها الموجة التي صاحبتها وقتئذ، والمتمثلة في شيوع المطبوعات اليابانية، وتطور التصوير الفوتوغرافي. وبالنسبة إلى الانطباعيين كان سحر الفن الياباني يتجلى في عفويته الزخرفية وحيويته وطريقته الباهرة في تجزئة العالم المرئي وفق التناغم اللوني والخطي، وكذلك في تحولاته المفاجئة بشكل تناقضات في درجات الضوء والعتمة (٤).

وكان الدور الذي أداه التصوير الفوتوغرافي عاملاً موازيًا كذلك في الأهمية، وعلى الرغم من أنه لم يُعْطَ الأهمية التي يستحقها، وكان تأثيره غير مقصود في الواقع. وظهرت أولى اللقطات الفوتوغرافية في عام ١٨٦٣م، وظهر كذلك التصوير الجوي، والمناظر شبه المجسمة في عام ١٨٦٥م، وقد عززت الكاميرا، وعجَّلت في النمو الطبيعي للأسلوب الانطباعي، ومن ثمّ هي رسَّخَت النظرة التحليلية والنفسية للعالم المرئي.

وُلد جيل الانطباعيين في الفترة ما بين عام ١٨٣٠م وعام ١٨٤١م. وعلى الرغم من أنهم كانوا يتباينون أفرادًا في خلفياتهم. وفي تدريبهم وأمزجتهم. تباينًا واسعًا. غير أنهم كانوا مجموعة يمتلكون الاندفاع الكبير ذاته في الرغبة في التفرد. وفي الإخلاص



لوحة عن مزرعة للفنان بيسارو

وتفجرت الشعرية في عالم الرسم في عام (١٨٦٠ - ١٨٦١م) في لوحة مانييه المعنونة «حفلة موسيقية في قصر اللتويلري». ولم تكن جرأة تلك اللوحة تكمنُ في اختيار الموضوع - على الرغم من أنه كان موضوعًا ينطوي على جـــرأة في ذلك الوقت - وإنما في الانسيابية الحية والموجزة لضربات الفرشاة المتناغمة تناغمًا كليًا، وفي الطريقة الحديثة في الرؤية المتصفة بالتلقائية في الاستجابة.

وفي الأعـوام ١٨٦٥ - ١٨٦٨م، وتحت التـأثيـر الطاغي للفنان كوبيه والفنان مانييه، حققوا في البدء موضوعاتهم الأولى كرسامين رومانسيين، ثم ضمن مدرسة «الباربيزون» المستقلة.

مارس مونيه، ورينوار، وبازيل، أول ما مارسوا رسم القوام البشري في الهواء الطلق.

وقبل حرب عام ١٨٧٠م بين فرنسا وألمانيا، كان انطباعيو المستقبل لا يزالون يقتدون بالمجموعة المؤلفة من بودان، وجونكند، وكورو، ودوبيني وفي مقدمتهم كوربيه.

ومنذ عـام ١٨٦٥م ومـا بعـده كـانوا على صلة



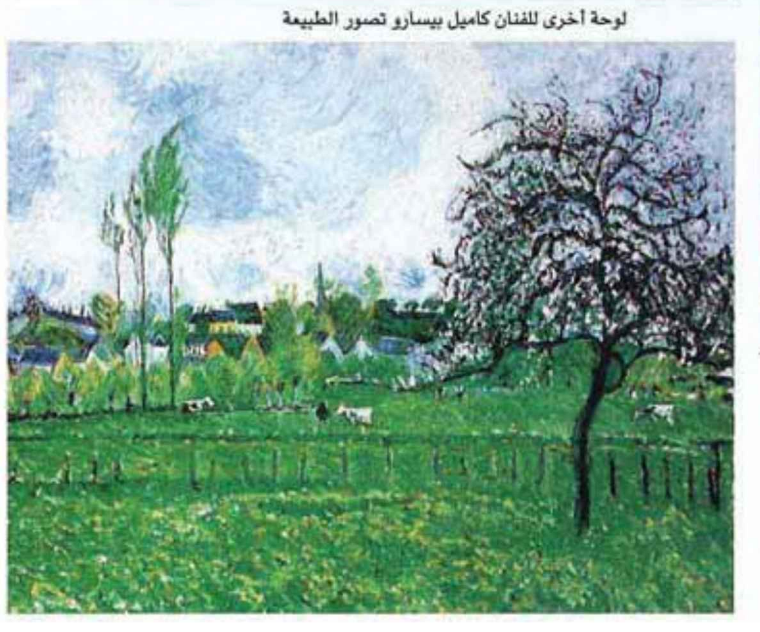
رينوار وفتاة تلعب بالحبل

مباشرة بمن سبقوهم، وأثروا فيهم تأثيرًا كبيرًا ولا سيما بعد أن عمل بعضهم مع بعض في باريس، وفي غابة فونتنبلو، وعلى ساحل المانش.

ويمثل عام ١٨٦٣م علامة مميزة في تاريخ الرسم، إذ لاحظ كاستنياري، الذي كتب عن اللوحات المعروضة على الجمهور في الصالون الرسمي في باريس،التحول من الواقعية الدرامية التي تتلاعب بالعواطف إلى الطبيعية المتحررة، وعدّ ذلك دليلاً كافيًا على الموقع التاريخي، الذي احتلّه مانييه، وانطباعيو المستقبل بالقياس إلى كوربيه، وفي العام ذاته توفي ديلاكروا تاركًا وراءه أصولاً ثمينة للاستقلالية والحرية الخلاقة، وكان تأثيره في الانطباعية كبيرًا، حتى إنّ «سيزان» وصفه بأنه «أجمل لوحة ألوان في فرنسا.

وتنقل مونيه وزملاؤه، قبل أن يستقر بهم المقام على

لوحة أخرى للفنان كاميل بيسارو تصور الطبيعة



نُذُر الخلاف بدأت منذ عام ١٨٨٠م. فقد أضحى الانقسام حقيقة واقعة بوفاة مانيه في الثلاثين من نيسان عام ١٨٨٣م. ولم يقتصر الأمر على تشتت الانطباعيين هنا وهناك. ولكنْ، ومن الناحية الجمالية أيضًا، سلك كلّ واحد منهم طريقًا خاصًا واضحًا

ضفاف نهر السين، وقد اتخذ أسلوبهم شكله النهائي، من «إيل دي فرانس» إلى ساحل البحر، ومن غابة فونتبلو - التي رسموا مشاهدها - إلى شواطئ بحر المانش، فاكتسبت ألوانهم بريقها بسرعة، ثم ما لبثوا أن هجروا هذا المكان، وأصبح نهر السين والساحل النورماندي مركزهم المفضل للرسم في الهواء الطلق في الأعوام ما بين عامي ١٨٥٨م و١٨٧٠م.

ويقول وليام فيمنغ في موسوعته المعنونة «فنون وأفكار» عن الانطباعية إن الفنانين الذين ساروا على نهج كوبيه سعوا إلى تحقيق المزيد من الاقتران بالطبيعة من أجل إيجاد فن قائم على أساس الآنية في التعبير، وكان أولئك الفنانون يحملون مِسْنَد لوح الرسم، ويتركون

كان مونيه يعمل دائمًا خارج المنزل. ولم يكن يهتم إلا بالتأثيرات السريعة الزوال لظواهر الطبيعية، ولأهواء الحس البصري. ولم يكن يعطي قيمة للأفكار أو المضامين أو المعاني. وإنّما كان يعطي الأهمية كلها للمباهج الطبيعية، واللحظة القائمة

منازلهم، ويحاولون القيام بالكثير من الرسم في المكان الواحد، بدلاً من قيامهم بالعمل في ستوديوهاتهم، وباعتمادهم على مخططات. وكانوا يعارضون طريقة رسم صور تحمل معاني أخلاقية أو ادبية، أو تعبر عن رسالة، وكانوا لا يهتمون بالمضمون التصويري.

كان الانطباعيون يراعون الواقعية البصرية إلى حد فصل الخبرة (الرؤيوية) عن الذاكرة، مع تفادي أي تداعيات قد يولدها العقل. وفي عام ١٨٧٤م عرض كلود مونيه لوحة عنوانها «انطباع: شروق الشمس»؛ مما أكسب الحركة اسمها، وفي البداية، أُستخدمت كلمة «الانطباعية» بشكل كلمة ساخرة من قبل النقاد، غير أن الكلمة قد استمر استخدامها؛ لأنها تتصف بدرجة من الملاءمة، وتتضمن الحدث الآني غير الكامل، وغير المصقول؛ أي: الحدث، حسب الرؤية الآنية، والأهمية هنا للحسّ، وليس للإدراك.

ويرى الانطباعيون أنه يجب أن يتضمن الرسم تحليل ضوء الشمس إلى أجزائه المكونة، وأنه يجب الوصول إلى التألق بواسطة استخدام الألوان الأساسية التي يتألف منها الطيف. وبدلاً من قيام الرسام بمزج درجات من اللون الأخضر مثلاً بعضها مع بعض على لوحة الألوان، يستطيع الرسام وضع لمسات وضربات مستقلة من الأصفر والأزرق بعضها إلى جانب بعض، ثم يترك الأمر لعين المشاهد. وما يبدو مشوشًا في حالة قرب المسافة، سيبدو واضحًا عندما تكون المسافة مناسبة. وبهذه الطريقة حاول الانطباعيون زيادة التألق في رسومهم، حتى تكون رسومهم قادرة على نقل خداع ضوء الشمس، الذي يتحلل بواسطة المنشور.

وهكذا حقق الانطباعيون مهرجانًا حقيقيًا من الألوان التي تبدو عيْن الإنسان فيها كأنها تشترك في



الفنان مانيه يبدع بريشته في تصوير عائلة في حديقة

رقصة لكثافات ضوئية مذبذبة ومتباينة.

وقد اكتشف الانطباعيون طريقة جديدة في التمثيل البصري نتيجة لقيامهم بإعادة فحص وسائلهم التقنية (٥).

ويقول سام هنتر، وجون جاكوبوس في موسوعتهما «الفن الحديث»: إنه قد حصل تغير فعلي في الأساليب والأشكال الفنية عند وصول الانطباعيين؛ أولئك الرسامين الفرنسيين الشباب، الذين كان يقودهم مونيه ورينوار وبيسارو، وديغا، الذين كانوا يعدون مانييه هو المرشد الرئيس لهم، ولو أنهم ذهبوا إلى أبعد ممّا ذهب إليه بصفتهم مصوِّرين للحياة العصرية. ولأجيال متعددة، عدّ «مونيه ١٨٤٠ ـ ١٩٢٦م) أنه يجسد التقويم الذي أبداه سيزان عندما قال: «ليس مونيه سوى عيْن ولكن يا لها من عيْن!!»، وهذا الرأي يتضمن أن مونيه كان قد أوجد مجموعة رسمية من الألوان المتطورة، ونظامًا معينًا في عمل الفرشاة، وتكوينات دينامية من أجل الإفصاح عن الخاصية الآنية للرؤية، ولأشكال الجمال في الطبيعة، والإمكانات التعبيرية للألوان. وكان مونيه يعمل دائمًا خارج المنزل، ولم يكن يهتم إلا بالتأثيرات السريعة الزوال للظواهر الطبيعية، ولأهواء الحس البصري، ولم يكن يعطي قيمة للأفكار أو المضامين أو المعاني، وإنّما كان يعطي الأهمية كلها للمباهج الطبيعية، واللحظة القائمة. وفي نهاية الأمر، كان «مونيه» هو الفنان الانطباعي الذي بقي أكثر إخلاصًا لمبدأ الخبرة البصرية، ولو أنه قد دفع هذا المبدأ إلى حدّ يقترب من التجريد (٦).

"مانييه" وجيل عام ١٨٦٠م

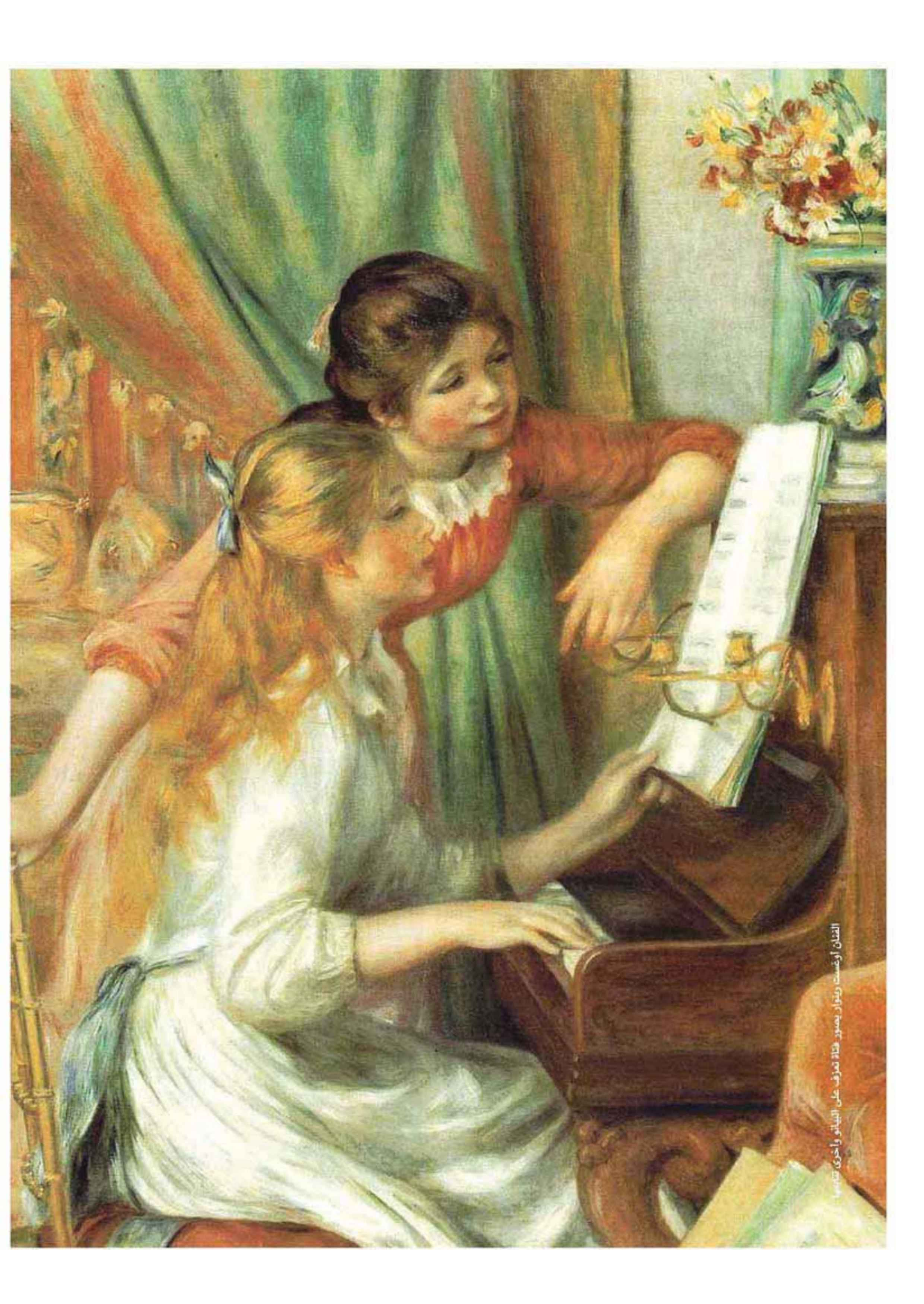
يقول «جان ليماري» في كتابه المعنون «الانطباعية»: إن جيل الانطباعيين جاء إلى الوجود بين الأعوام (١٨٣٠ ـ ١٨٤١م) فقد وُلد بيسارو عام

١٨٣٠م، ومانيه عام ١٨٣٢م، وديغا عام ١٨٣٤م، وسيزان وسيسلي عام ١٨٣٩م، ومونيه عام١٨٤٠م، ورينوار، وبازيل، وغويومان، وبيرتا موريسو عام ١٨٤١م. وكانوا كلهم قد جاؤوا إلى باريس في عام ١٨٦٠م ونشأت بينهم جميعًا زمالة صادقة في وقت واحد. وتميزت مجموعتان في تكوينهم: إحداهما في الأكاديمية السويسرية، وتركزت حول بيسارو، والأخرى في ستوديو «غلير»، وتركزت حول مونيه، بينما برز مانيه إلى المقدمة في عالم الفن الباريسي؛ لأنه قام في الفترة من ١٨٦٠ ـ ١٨٧٠م بالدور الرائد نفسه الذي قام به كوربيه في الفترة من (١٨٥٠ ـ ١٨٦٠م)، بل بزَّه، وبصورة أعمق في تخطي الأقاليم والأفكار المستنفدة التي كانت سائدة حتى ذلك الحين.


طفلة مع قطتها للفنان اوغست رينوار

وكان بيسارو قد جاء إلى باريس من جزر الهند الغربية في عام (١٨٥٥م) ليشهد في اللحظة المناسبة، الصدام الكبير في القواعد الفنية بين أنكر وديلاكروا في المعرض الفني العالمي في باريس، وكذلك في المعرض الشخصي الفني الذي أقامه كوربيه في جناح «الواقعية». وعندما لمحَ بيسارو أعمال كوروا أدرك أن هذا الفن هو مبتغاه، فالتحق بالأكاديمية السويسرية، فقد كان باستطاعة الفنانين لقاء أجور زهيدة، القيام بالتخطيط من نماذج حية متى شاؤوا. وكان كوربيه ومانيه يزوران هذا المكان أحيانًا. وهنا التقى بيسارو عام ١٨٥٩م الفنان مونيه الذي كان قادمًا الآن من «الهافر»، وفي عام ١٨٦١م انضم اثنان آخران إليهم هما أرماند غويومان، وبول سيزان القادم من بروفانس، وصديق إميل زولا الكاتب الفرنسي المعروف. وبعد أن أمضى مونيه ثمانية عشر شهرًا في الخدمة العسكرية في الجزائر. حيث وقف على المعاني الكامنة في الضوء واللون. عاد إلى «الهافر» في صيف عام ١٨٦٢م، ولقي ترحيبًا حارًا من قبل بودان وجونكند، ثم ما لبثَ أن عاد إلى باريس في نهاية ذلك العام.

وأما مانيه فقد نشأ في أسرة باريسية عريقة، فاكتسب قيم الأُسر الرفيعة وعاداتها من ثقافة عالية، وذوق أصيل، وخلفية اجتماعية حسنة. وبذلك كان يختلف عن أقرانه من الشباب المتحمسين القادمين من المقاطعات الأخرى، فلا غرو إن وجدوا فيه مثلهم في تزعم حركتهم، وحينما كان مانيه يرسم ما كان يراه من الموروث في المتاحف، دون التزام ما تفرضه المدارس الفنية القائمة من قواعد متزمتة، فإنه كان في الواقع يخطو الخطوات الأولى نحو الفن الحديث. وفي أشد الفترات الحالكة للتأثير الأكاديمي، كان



الفنان أوغست رينوار يصور فتاة تعزف على البيانو وأخرى تتابعها

مانيه يقف مناهضًا لكلّ ما هو تقليدي. وهكذا جاء بفكرة جديدة في فن الرسم. وخلال سنوات التجربة المحمومة، قبل حرب عام ١٨٧٠م بين فرنسا وألمانيا، كان انطباعيو المستقبل لا يزالون يقتدون بالمجموعة المؤلفة من بودان، وجونكند، وكوروا، ودوبيني، وعلى رأسهم كوربيه. ومنذ عام ١٨٦٥م فصاعدًا صاروا على صلة مباشرة بمن سبقوهم، وأثروا فيهم تأثيرًا، ولا سيما بعد أن عمل بعضهم مع بعض في باريس، وفي غابة فونتنبلو، وعلى ساحل المانش.

وفي ما يتعلق بالتكنيك، ارتأى مانيه أن يدعهم أحرارًا، بعد أن وفّر لهم المضمون للقاعدة العريضة، التي جمعت في ما بينهم، وتركت كلاً منهم لإلهامه الخاص، يستوحي منه الموضوعات المستمدة من المشاهد المعاصرة في المدينة، والريف، ويعالجها بأسلوب طبيعي متحرر. وبعفوية صريحة وأمينة.

وفي الثالث عشر من آب عام ١٨٦٣م توفي ديلاكروا تاركًا وراءه أصولاً ثمينة في الاستقلالية والحرية الخلاّقة.

على شواطئ المانش

هنا وُلِدت الانطباعية، ويعود الفضل في ذلك إلى يوجين بودان المواطن في تلك المنطقة، الذي قضى معظم أوقاته وهو يرسم على ساحل المانش. وكان بودان مرشدًا للفنان مونيه، واستضاف كوربيه، وبودلير، وجونكند، وعددًا من الشباب الذين فتحوا عيونهم على اللون السحري للضوء والماء، وعلى الرغم من أن مونيه كان قد ترعرع في «الهافر» الساحلية، وكان ذا إلفة مع البحر والشواطئ والمرافئ، لكنه كان لا يزال يمارس رسم الكاريكاتير حتى أسعفه الحظ في عام ١٨٥٨م، فالتقى الفنان بودان الذي انتبه إلى مواهب مونيه على الفور، وأخذ يصحبه معه في جولاته في الريف والعراء، وصارا يرسمان معًا، ومن الطبيعة مباشرة. ويقول مونيه متذكرًا في ما بعد: «كان غشاوة قد أُزيحت عن عيني. وفي ومضة أدركت ما الذي يعنيه فن الرسم حقًا».

وكان الاستحمام في البحر التسلية المفضلة لقضاء أوقات الفراغ بعد أن جعلت السكة الحديدية شواطئ النورماندي على صلة مباشرة بباريس، وكانت المدينتان «دوفيل»، و«تروفيل» تشهدان إقبالاً واسعًا في أوقات الاستحمام، وجاء كوربيه إلى «تروفيل» في عام ١٨٦٥م، وكان غالبًا ما يُشاهد وهو يذرع الساحل جيئة وذهابًا متأملاً ومتذوقًا طعم هذا العالم السحري، وفي ركبه أقبل تلميذه الرسام الأمريكي وسلر، بينما كان دوبيني، وبودان، ومونيه يقطنون على مقربة منه وليصبحوا تحت تأثيره كان «كوربيه» مشغوفًا بالبحر والسماء، وصارت ألوانه أكثر إشراقًا وثراءً وغزارة، على الرغم من أنه لم يتخلَّ عن طريقته في إعطاء القماشة أولاً طبقة رقيقة من الصبغ البنّي، ثم الرسم عليها، بينما كان مونيه يتعامل مع سطح القماش الأبيض مباشرة بعد أن استهواه الضرب عليها بألوان نقية.

وقد دأب كوربيه على العودة إلى سواحل المانش كل صيف في الأعوام من (١٨٦٦ ـ ١٨٦٩م)، وكانت صوره البحرية من أروع ما خلّفه لنا القرن التاسع عشر بعد رسوم ديلاكروا.

وأحبَّ مونيه أيضًا البحر، وكان يزور ساحل المانش في كل عام ليمكث بـ«الهافر» أو «فيكامب» أو «تروفيل» أو «أترتا». وعلى الرغم من بؤسه المادي الشديد ـ حتى إنه حاول الانتحار ذات مرة ـ كان يستمر في العكوف على الرسم.

وكانت الفنانة بيرتا موريسو تمارس الرسم في

«لوريانت» في عام ١٨٦٩م. وعمل مانيه في بولونيا في عامي ١٨٦٨م، و١٨٦٩م، فرسم مناظر للبحر كانت من الحرية والاتساع بحيث دلَّت على ولعه المتنامي بتأثيرات الضوء، وممارسة الرسم في الهواء الطلق. وبقي سيلسي بعض الوقت في «مونفلير» في عام ١٨٦٧م مع أنه لم يمارس رسم المناظر البحرية، وأمضى ديغا - الذي كان يسخر دائمًا من رسامي المناظر الطبيعية - معظم صيف عام ١٨٦٩م في بولونيا، و«تروفيل»، و«سانت - فاليري»، وبقيت المشاهد البحرية التي يرسمها بالباشتيل حبيسة في الأستوديو، بعد عودته إلى باريس، حتى وفاته. وكان رينوار من عشاق الحياة الباريسية مع بيسارو الذي كان هو أيضًا كذلك، وهما الاستثناءان الوحيدان اللذان لم يُولعا بالبحر أو بشواطئ المانش.

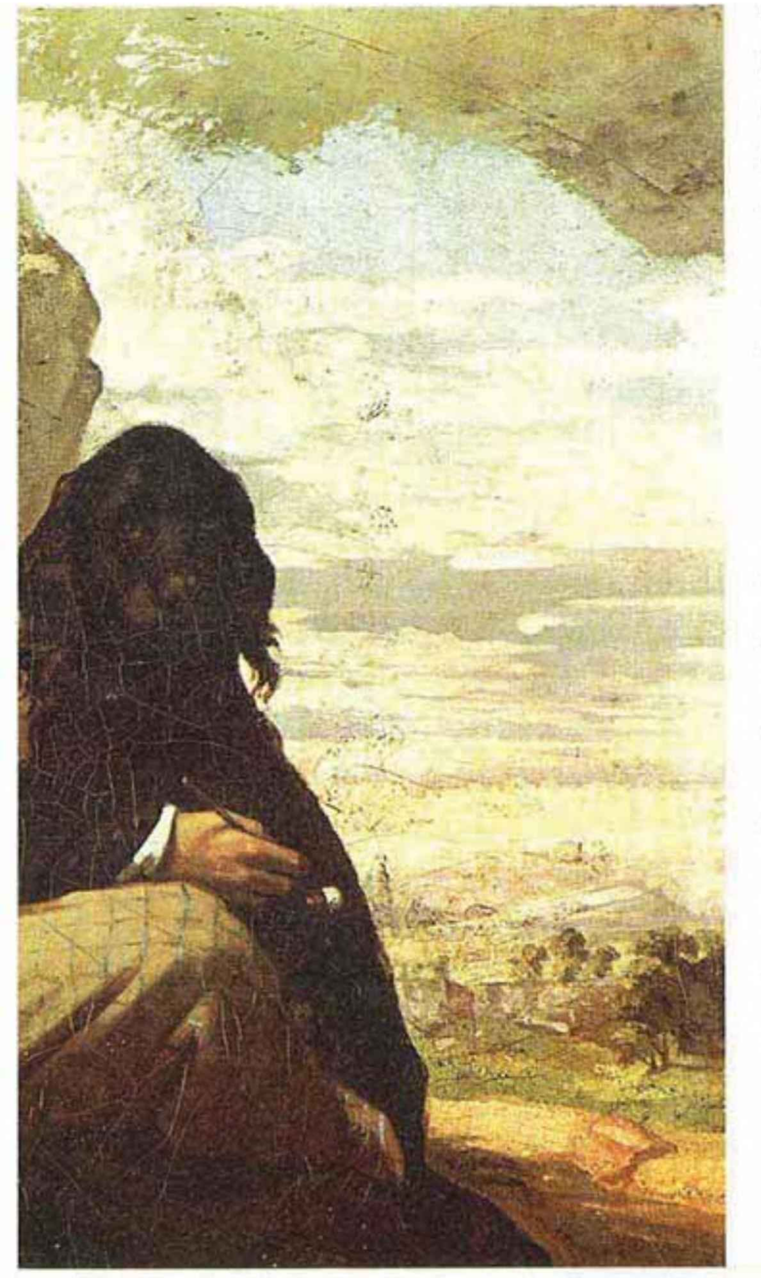
ومن بين رسامي القرن العشرين، نشأ فريز، وبوفي، وبراك في «الهافر»، بينما وجد ماركيه، وبونار فيها الألوان القزحية لرؤيتهم الانطباعية الجديدة (٧).

اللّون عند الانطباعيين

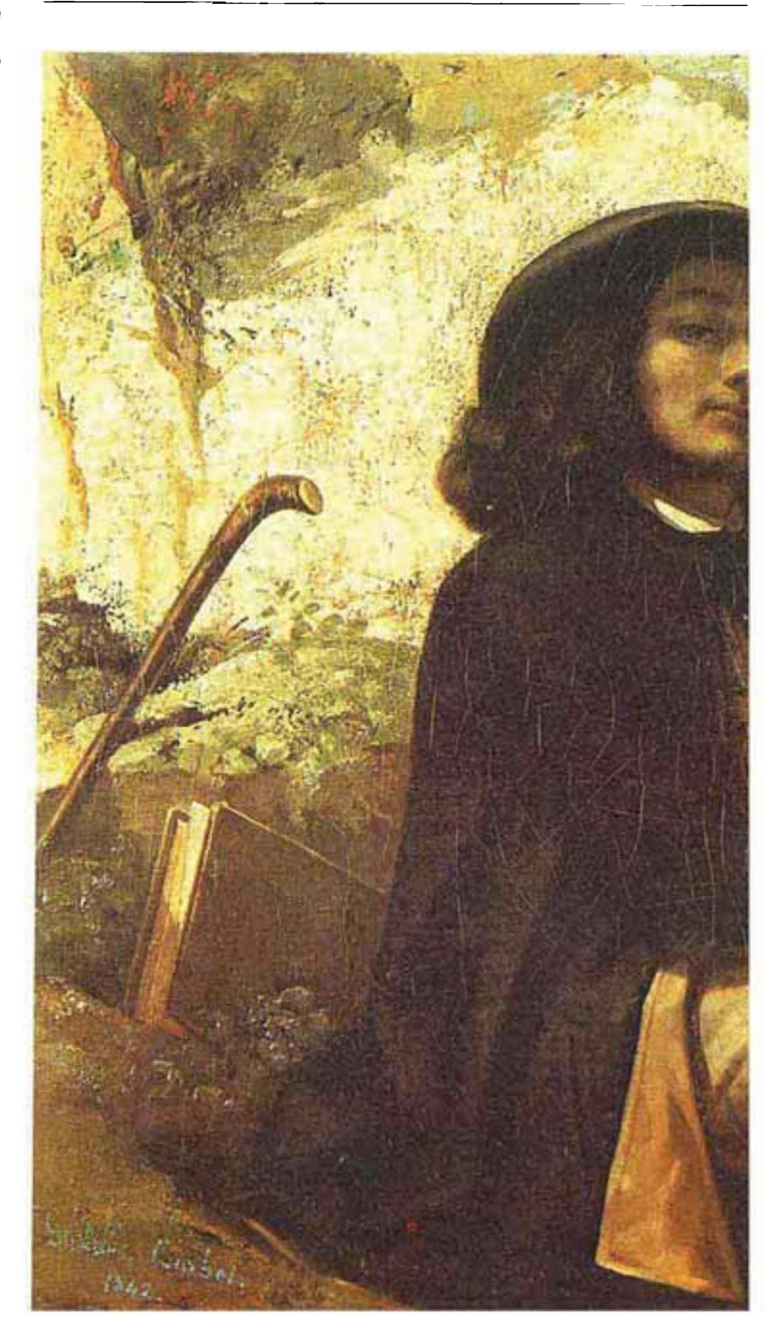
منذ عام ١٨٧٣م وما بعده، شرَعَ مانيه، وديغا، وسيزان في استعمال ألوان براقة حقًا. ومنذ ذلك الحين، نبَذَ مونيه، ورينوار، وبيسارو، وسيسلي استخدام درجات لونية باهتة من الرصاص والبُنّي؛ من أجل تحقيق الحيوية النابضة التي تستطيع الألوان الخالصة فقط تحقيقها.

وقبل عام ١٨٧٠م كان فن مانيه قائمًا، وبصورة أساسية، على التضاد في الألوان السوداء والبيضاء المتجاورة بظل تام أو بضوء لامع لا يُداني أناقة وحرية. والرسوم الظلية (الشجية) الحية الكثيرة للفنانة بيرتا موريسو، التي واظبت على الوقوف أمام مانيه قبل أن يقترن بشقيقتها في عام ١٨٧٤م - بلغت حد الكمال في تألقها النابع من تناقضات بديعة، وألوان بيضاء، ورمادية رفيعة، ومشوبة بالوردي والأزرق، أمام لون أسود لا يضاهى؛ ممّا جعل بودلير، ومالارميه، وفاليري يتغنون بها.

لوحة للفنان كوربيه



وعلى الرغم من أن سيزان كان على صلة جيدة بزملائه، وعلى بينة ببحوث كل واحد منهم، غير أنه كان يعمل باستقلالية، ولم يكن له نصيب في ظاهرة ما قبل الانطباعية، وفي عام ١٨٦٦م كتب سيزان إلى صديقه الكاتب إميل زولا قائلاً: «كل الصور التي رسمتها في الداخل، وفي الأستوديو، لنْ توازي الأشياء التي قمت بها في الهواء الطلق، عليَّ بعد الآن ألاّ أرسم إلا في العراء».



وقد أدى طبْعُ سيزان العاطفي، وانهماكه بالموضوعات الرومانسية، التي ورثها عن ديلاكروا، ونزواته التي لا تقاوم، أدّت إلى أن يجد ضالته في المشاهد الخيالية المفعمة بالانفعال الحسّي الشديد، والمعالجة بضربات كثيفة من الأصباغ المشحونة بالتوترات في التعبير.

وفي عام ١٨٦٩م، وبفضل استقرار حياته العاطفية بعد علاقته بانموذجه هورتنس فيكيه، التي أصبحت زوجته في ما بعد، وقع سيزان تحت تأثير مانيه الذي أفاده كثيرًا، وكانت ثمرة ذلك رائعة لا تُجارى «الساعة السوداء»، التي هي صورة لحياة صامتة، أضحى فيها الموضوع أخيرًا غير ذي شأن، وصار التناغم الطاغي للألوان هو كلّ شيء، وكأنه لا يزال هناك انفعال عاطفي خفيٌ يسري في صورته، لكنّه عرف كيف يسيطر عليه، في إيقاع متزن للأشكال والألوان، وفي الانسياب الهادئ للألوان البيضاء والسوداء التي تتخللها مسحات من الأزرق والأخضر والأصفر.

وفي الفترة نفسها أُغرمَ مونيه، وبيسارو، وسيلسي بالمناظر الشتوية المغطاة بالثلج، لا لكونها تمد الرسام بأحسن ما في الطبيعة من تناغم للأبيض والأسود تجاه السماء الرصاصية الرمادية، وليس لأن الثلج يوفر خلفية مثالية لحركة اللون المرهفة، ويؤدي البُعْد نفسه بالنسبة إلى المشهد الطبيعي، مثلما يؤدي غطاءُ المائدة الأبيض دورًا إزاء الحياة الصامتة، وإنما لأن أشعة الشمس الساقطة على رقعة فسيحة من الثلج أعطت الرسامين فرصة فريدة لملاحظة الظلال الملونة وتحليلها التي تمثل، في رأيهم، ظاهرة طبيعية صادقة، فاتخذوا



غرفة نوم للفنان فان جوخ

بالنسبة إلى الانطباعيين كان سحر الفن الياباني يتجلى بعفويته الزخرفية وحيويته وطريقته الباهرة في تجزئة العالم المرئي وفق التناغم اللوني والخطي، وكذلك بتحولاته المفاجئة بشكل تناقضات في درجات الضوء والعتمة

منها واحدة من المسلَّمات بالنسبة إلى أساليبهم. وبذلك حرَّروا أنفسهم تمامًا من الأساليب التي كانت تعدّ شبه مقدسة، والتي اقتصرت على الطريقة المألوفة في توزيع الظلّ والضوء والألوان المعروفة.

وفي سعيهم لاستخلاص الكثافة الطبيعية لضوء الشمس المتسرب إلى الثلج، أدركوا فجأة أن الألوان النقية - ومع أنها أقل بريقًا من الأبيض - تعطي فكرة صادقة عن الضوء المشعّ أكثر ممّا يفعل ذلك اللون الأبيض.

وفي ما بعد، أدركوا أيضًا عدم وجود شيء في الطبيعة يُلقي ظلالاً سوداء مطلقة، وأن أي ظل من الظلال يحمل لونًا خاصًا به، ويحترم قانون الألوان المتكاملة.

وكانت دراستهم للثلج، قد قادتهم حينذاك إلى التخلي عن التضاد بين الأبيض والأسود، وحتى بالنسبة إلى الدرجات المتوسطة من الرمادي

يرى الانطباعيون أنه يجب أن يتضمن الرسم تحليل ضوء الشمس إلى أجزائه المكونة، والوصول إلى التألق بواسطة استخدام الألوان الأساسية التي يتألف منها الطيف

والرصاصي، التي كانت تقنياتهم تعتمد عليها قبل عام ١٨٧٠م. ومنذ ذلك الحين ازداد اعتمادهم على الألوان النقية للمنشور (٨).

الانشقاقات وعاقبة الانطباعية

تزامنت فترة «أرجنتوي» تمام التزامن مع الاتزان والتماسك المؤقتين في الانطباعية. وبعد ذلك، توقفت مجموعة الانطباعيين عن كونها قوة موحدة، إذ إنّ كل فنان شرَعَ يختط لنفسه طريقًا خاصًا. وبقيت حلقة الوصل الوحيدة التي تربط بينهم هي شغفهم بالطبيعة، والحرية المطلقة في التعبير.

وفي عام ١٨٧٨م، عرضَ رينوار في الصالون الرسمي، بينما اعتكف مونيه في فيتوس، وبدأ سلوكه يزداد اندفاعًا وعصفًا وتميزًا من ذي قبل.

وحاول بيسارو، وسيسلي جهدهما إبقاء العلم مرفوعًا ومرفرفًا، ولكن في السنة التالية وفي المعرض الرابع لجماعة الانطباعيين أدَّت الاهتمامات المتضاربة إلى شق الحركة الانطباعية شقًا كبيرًا؛ لأن رينوار، وسيزان، وسيسلي، وبيرتا، موريسو تخلَّوا عن المتصلبين، وقرروا العودة إلى عملهم في الصالون.

وقُوبل سيزان، وسيسلي بالرفض، وفضَّلَ سيسلي العزلة الرهبانية في «موريه» حيث لم يفلح تمامًا في استعادة أسلوبه.

وكان نجم رينوار لا يزال ساطعًا، ومهَّد له ذلك سبيل الانتقال إلى صفوف الحلقة اللامعة من الكتاب والممثلين والسياسيين، الذين كانوا يلتقون في بيت الناشر شاربونتييه. وهناك حصل رينوار على عروض لرسم صور شخصية بأسعار مجزية. ثم تصاعدت الأزمة في عام ١٨٨٠م عندما أقدم مونيه، بعد انسحاب رينوار، وسيسلي، على إقامة معرض شخصي لصوره المتأخرة،



لوحة تصور عناصر من الطبيعة للفنان مونيه

الانطباعية قد وصلت إلى طريق مسدود بسبب غياب «الأستاذ» القادر على تجسيد النظرة الجديدة بقوة، وهي لا تزال نظرة مبهمة في أعمال كلّ واحد منهم.

ونظم الانطباعيون معرضهم السادس في عام ١٨٨١م في ستوديو «نادار» القديم في شارع «كابوسين»، حيث أقاموا معرضهم الأول في عام ١٨٧٤م. ومن بين المجموعة الأصلية كان ديغاش، وغويمان، وبيرتا موريسو، وبيسارو فقط هم العارضون. فقد أمضى سيسلي الصيف في جزيرة روايت، وانتقل مونيه إلى بواسي. وجمَعَ بيسارو حوله،

كانت الانطباعية إحدى الحركات الفنية التي ارتبطت بمجموعة فنانين واعية بذاتها. ونظمت عددًا من المعارض. ومارست نشاطًا موحدًا. غير أن أولئك الفنانين كانوا شديدي التباين في ما بينهم في شخصياتهم وفنهم

في يونتواز، شخصيّات متناقضة مثل سيزان، وغوغان، وشرع رينوار يكثر من الأسفار.

وفي عام ١٨٨٢م، بذل دوران رويل جهده لتنظيم معرض جديد لمجموعة الانطباعيين في معرضه في شارع سانت . أُونوري في باريس، وكتب إليهم يحثهم على توحيد صفوفهم من جديد، غير أنَّ الإجابات التي تلقاها كشفت عن الاختلافات والضغائن الناشبة بينهم، التي أدت في النهاية إلى تمزيق شمل المجموعة.

ولكن دوران . رويل لم ييأس بلْ واصل سعيه بتأن وصبر ولباقة إلى أن استطاع أن يعيد شملهم جميعًا، ومؤقتًا باستثناء سيزان، الذي وافق الصالون الرسمي

التي رسمها في «فيتوس»، ولم يتوان عن التصريح حاقدًا للصحفي توبورو قائلاً: «أنا انطباعي لكنني قلّما أرى زملائي الانطباعيين.. لقد أمسى الحَرَم مدرسة عامة تفتح أبوابها لكل مطرطِش بالأصباغ يطرقها».

وقد قصد بهذه الملاحظة غوغان، الذي رعاه بيسارو، وأقام له معرضًا في عام ١٨٨٠م للمرة الأولى ضمن المجموعة، وقبل ذلك بسنة كان ديغا قد ضمَّ إلى المجموعة تلميذته الأمريكية ماري كاسات.

وأدرك الكاتب والناقد إميل زولا الواقع، الذي يعيشه الانطباعيون، فقال: «إن مجموعة الانطباعيين تبدو وكأنها قد بلغت يومها الأخير»، وأشار زولا إلى أن الحركة

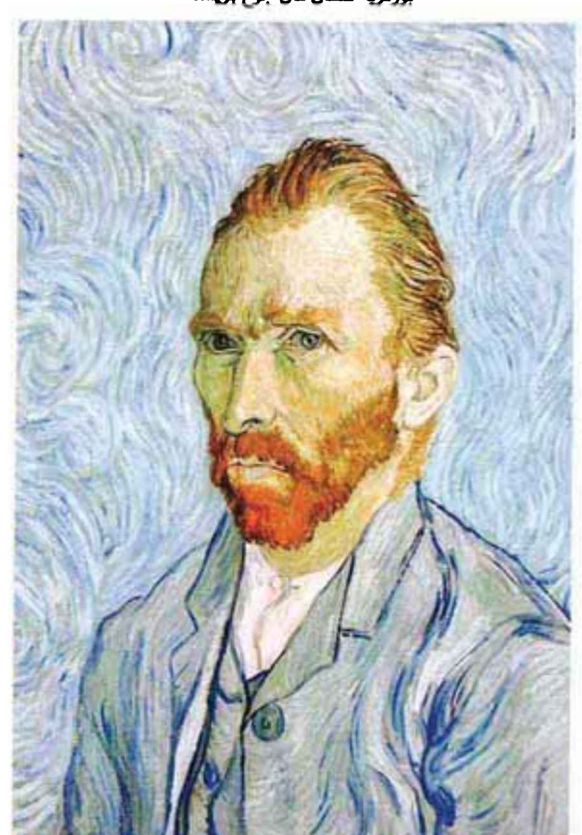
على قبوله، وباستثناء ديغا الذي انسلخ عنهم بإصرار، وبلغ عدد المعروضات ٢٥٢ لوحة، شارك فيها مونيه، ورينوار، وبيسارو، وسيلسي، وبيرتا موريسو، وغويومان، وكيليبوت، وفنيون، وغوغان.

ولما كانت نُذُر الخلاف قد بدأت منذ عام ١٨٨٠م، أضحى الانقسام حقيقة واقعة بوفاة مانييه في الثلاثين من نيسان ١٨٨٣م، ولم يقتصر الأمر على تشتت الانطباعيين هنا وهناك، ولكنّ، ومن الناحية الجمالية أيضًا، سلك كلّ واحد منهم طريقًا خاصًا واضحًا، وكان الأمر كما ذكر ليونيلو فينتوري الذي قال: «اتجه مونيه إلى الرمزية في الضوء واللون، وحلق بيسارو نحو التنقيطية، وسعى رينوار إلى استيعاب عناصر الشكل الأكاديمي، وأوقف سيزان نفسه على مشكلات البناء الفني، وانحدر سيسلي إلى الأسلوبية»، وبقي وضع ديغا فريدًا، وكان هو وسيزان» الوحيدين اللذيْن واصلا من دون كلل أو ملل سعيهما المتنامي في المعقّد الذي كان من المتعذر التنبؤ بنتائجه.

وبعد عودة رينوار من إيطاليا، مرّ بمرحلة حرجة من الكلاسيكية الجديدة (التي هي على غرار أسلوب أنكر) التي وصفها هو نفسه بفترة «الأسلوب الفظّ».

وفي عام ١٨٨٦م، أخذت الفنانة بيرتا موريسو على عاتقها تنظيم المعرض الثامن والأخير لمجموعة الانطباعيين. والحق يقال: إنها كانت هي الوحيدة التي بقيت مخلصة للاتجاهات الأولى للانطباعية، وكان أبرز شخوص المعرض هو الفنان سورا الذي كان قد رعاه بيسارو سابقًا بحماسة بالغة (٩).

بورتريه للفنان فان جوخ بريشته



المراجع

١. برنارد دنفير. كتاب «الانطباعية»، الناشرون شركة «تيمس» و«هدسون» في لندن، عام ١٩٧٤م، ص ص (٣، ٤).
٢. برنارد دنفير. كتاب «الانطباعيون في متناول يدك»، الناشرون شركة «تيمس» و«هدسون» في لندن، عام ١٩٨٧م، ص١٠.
٣. جه. تي. مولر. فرانك ألفر. كتاب «مئة عام من الرسم الحديث»، ترجمة فخري خليل، ومراجعة جبرا إبراهيم جبرا، الناشرون «دار المأمون للترجمة والنشر» في بغداد، عام ١٩٨٨م، ص ص١٧، ١٨.
٤. المرجع نفسه، ص١٩.
٥. ويليام فليمنغ، موسوعة «فنون وأفكار»، الطبعة السادسة، الناشرون شركة «هولت/راينهارت/ونستون» في أوهايو، عام ١٩٨٠م، ص ص ٣٨٤، ٣٨٥.
٦. سام هنتر/ جون جاكو بوس، موسوعة «الفنّ الحديث»، الطبعة الثانية عام ١٩٨٥م، الناشرون شركة «هاري أن. أبرامز» في نيويورك، ص١٩، ٢٠، ٢١.
٧. جان ليماري، كتاب «الانطباعية»، ترجمة فخري خليل ومراجعة جبرا إبراهيم جبرا، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد عام ١٩٨٧م، الصفحات ١٥، ١٦، ٣٣، ٣٥، ٣٨.
٨. المرجع نفسه، ص ص ٦٩، ٧٠.
٩. المرجع نفسه، الصفحات (١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤).





أنا والشعر

مبارك بن عبدالله الحميد

الرياض – السعودية

(١)

ويسألني..

صديق بارد الإحساس:

ما الشعر؟

أراه يهيم فيه خلائق كثر!!

فما السر؟

وهل في حبهم عذر؟

فيصفعني بأسئلة..

ويرميني بمعضلة..

ويتركني

شريدًا

بين أبيات..

مضاربها

هنا سطر..

وذا شطر

هنا بيت به قيس

وذا بيت به عمرو

هنا الخنساء تبكي

لم يعد في بيتها صخر!

هنا مدح..

هنا ذم..

هنا فخر

هنا البسمات تفترّ

هنا الآمال والآلام

هنا الأيام والأحلامُ..

والعمر

حياة

أمرها أمر!

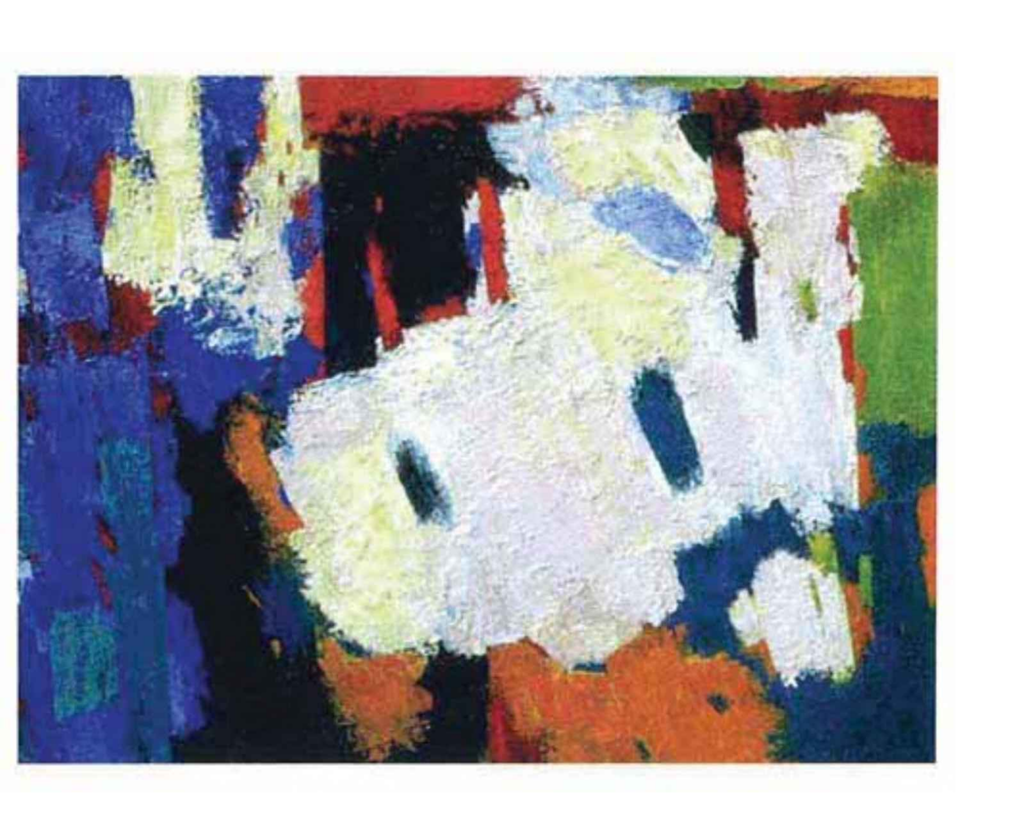
(٢)

ألا يا صاح..

والأفهام لو وزنت
بأوزان (الفراهيديّ)
ما سالت!!
أكان الشعر في التشبيه والوصف
كباقي الوشم في الكفّ؟
أم الإيقاع والأوزان
أم التزويق بالكلمات والعنوان
تُرى..
هل كان همهمة
تنفسها الفتى الولهان؟
أكان خياله أحلى
بتقبيح.. وتحسين؟
وألوانٍ
من اللا شيء
ترسم صورة فيها
رؤوسًا للشياطين؟
أنا يا صاح لا أدري
لأن تمنع الأشياء من حولي
له طعم هلامي
كطعم الشمر!
فاعذرني

(٣)

وأبياتي..
كشفت بهن أسراري
وسرت بهن قافلةً
لأغواري
مضيت بهن مجتهدًا
وأحمل فوق رأسي
خبز أفكاري
أجوب بهن في الأسواق
من دارٍ..
إلى دار
وتأكلها
طيور أقبلت نحوي
وتحملها
لأعشاش وأوكار
لتصبح نهب أنياب..
وأظفار
تمزقها
وتنقدها
وتبلو صدق أخباري



شكاة الصخور

جلال قضيماتي

حلب ـ سورية

لمسالك الموج المهاجرِ
من طيوف الماءِ
صوب رهافة الصخر المهادنِ
ظلمة القاع البعيدْ
كانت شفاه الرملِ
ترسم بالغثاءِ
معارجَ المرساةِ
إذ أسْرَتْ إلى عمق المحيطِ
واطلقتْ
للريح صافرةَ الوعيدْ
هي بسمة القمر الخجولِ
وقد سباه الليلُ
منزله الرغيدْ
يا بحرُ..!
هل أنت الغداةَ مسافرٌ
أم أنت في نهر النجوم مضيَّعٌ
تدري
ولكنّ الدروب على مدار الريح



جانحةٌ
إلى عمق يباعد بينهُ
رَفتُ الحؤولِ
وبين أرض مقاصدِ
كانت تصدّ الريحَ
عن صخر الخليجْ
من ذا يباعدُ
بين حلم النار إن تذك
وبين حفاوة النيران
إن أذرتْ حرائقَها الرياحُ
فأزهرتْ
حيرى على مَرْج الحصادِ
وأخلدتْ
للصّمت خافيةَ الأريجْ
قَدَرٌ
تحكّمه المفاوزُ
حين تشرع أفقَها
لضراعة الزبد المولّه بانتظار الموجِ

لا يلوي على سِمَةِ التضرّعِ
ليس تعنيه المسافةُ
غير أن ضلوعَهُ
تحنو على وجع الصخورِ
إذا شكت للرملِ
داميةَ النشيجْ
أبدا..
على أقدامها
تتكسّر الأمواجُ
لا تدري
هل الشطآن حانيةٌ
أم القيعان صامدةٌ
ويبقى دونَها
أبدٌ من الأمواجِ
تهدرُ
حين تهدر إثْرَها
ريحُ البقاءِ
وتستريحُ
إلى محطات الهزيجْ
يا أرضَ ميعاد الرجوع.!
تمهّلي
لا تنهكي فَتَرَ الرؤى
واستعطفي
دِمَنَ الخطيئةِ
عبر أجنحة الجنوح إلى حقيقة أن تَرَيْ
في الماء طهرَ النارِ
أو في النار طهرَ الماءِ
فالسَّفَرُ الرَّجيم إلى المفاوزِ
ليس يدركه السُّوى
إلا إذا
بالنور أرهَقَهُ الظلامُ

بظلّ ثانيةٍ
تُرَوِّعُ إن بدا
إثمُ الوصول فريضة
وتوسّلتْ لبلوغها
سُدُومَ النزولِ
على هدى الإذعان
في عَنَتِ الهطولْ
لا الأرضُ نازفةٌ
بغير مراتب العرفانِ
لا الأمواجُ هادرةٌ
بغير شفاعة الخلجان
لا صخرُ الشواطئ قادرٌ
أن يمنع الأمواجَ
لكنّ التكسّرَ
عند سفح الشطّ
يدركُ
أن صخر البحرِ
لا يشكو الرياحَ
وإنَّما
يشكو الزمانَ
إلى الزمانِ
وليس يدري
أنّ من يشكو إليهِ
هو الذي
ما عاد يدري
هل شكاة الصخرِ
تأذَنُ للمحيطِ
بأن يردّ الموجَ عنهُ
أم تُراهُ
هُوَ الذي
دفعَ المياهَ إلى ضراوتها

فلم تدر الرياحُ
من المقصّرُ
عن مواكبة الفصولْ
وتظل أرياح المساءِ
كما تخوم الموج
تعبث بالصخورِ
كما تشاء
وليس للصخر العنيدِ
سوى الشكاة إلى الرياحِ
وما الرياح وعَصْفُها
إلا المسارُ
إلى منارات الوصولِ
وما الوصولُ
سوى انتظار الموجِ
إثرَ الموج
لكنَّ الصخورَ تردُّهُ
نحو المحيطِ
لعلهُ إن تاه
تتهاه السّراخسُ
أن يضلَّ
على مدارات القفولْ
.. وتظل حبّاتُ الرمال
على هزيم العصفِ
ترصدُ
كلَّ ما يملي الخليجُ
على المياهِ
وليس في وسْع الصخورِ
سوى التشبّث بالبقاءِ
وقد طغى
صَخَبُ الهدير
على أناشيد الرّحيلْ





السادس

علوي شملان

الطائف ـ السعودية

فرضت عليه أخلاقه الرفيعة، ورهافة حسه أن يجامل . على مضض . ثرثرة السائق، ويرضي غروره بالإصغاء إليه، وامتداح شجاعته وحنكته، وهز رأسه بين حين وآخر.

.. وكان (سائق الأجرة) قد أسرف في الحديث والثرثرة عن نفسه، وعن سيادته، وراح يسرد على الراكب الوحيد الجالس على يمينه حكايات وقصصًا كثيرة عن الطريق ومخاطرها، وعن قدرته على الإفلات من اللصوص والمتقطعين، وعن عدم خضوعه لابتزاز عساكر النقاط العسكرية المنتشرة على طول الطريق ما بين العاصمة (صنعاء) و (.....).

كان (هزاع حسين) مشتاقًا، ونفسه تواقة إلى سماع أخبار وتفاصيل عن مشروع الدفاعات الصخرية التي أشيع منذ سنوات أنها ستقام على طرف الوادي لحماية القرية من خطر السيول، وعن أخبار مشروع السفلتة، الذي توقف العمل فيه، وعن أسعار العملة وتقلباتها، وعن أجرة العامل، وعن أجرة المعلم، وعن هطل الأمطار وعن.... وعن.... غير أنه أحجم عن التحدث مع السائق في هذه الأمور. ذلك لأن السائق من أهل المنطقة و(هزاع حسين) يخشى أن يجرجر الحديث بعضه بعضًا، ويصل إلى أخبار الثأر في المنطقة، وآخر أخبار المتناحرين والمتصالحين من العشائر والقبائل وأخبار السلاح وأنواعه وأسعاره، وهذه الأخبار هي بالضبط ما يمقتها (هزاع)، ويكره سماعها إلى حد أنه صمم حين فكر في العودة من المهجر أن يكسر العرف، ويحطم العادة برفضه لحمل السلاح رغم الازدراء الذي سيقابله به أبناء عشيرته.

كانت قمم الجبال ورؤوسها تودع ما تبقى من خيوط الشمس، وتستعد لبدء هجوم الليل والظلام، وفي اللحظة نفسها كانت السيارة تودع المتر الأخير



في خط الأسفلت حيث ينتهي عند منعطف (....) حينها أدرك (هزاع) أنه سيستريح من ثرثرة السائق ومبالغاته المتواصلة، إذ إنه يعلم أنه ما تبقى من الطريق مسافة مطبات وحفر ومنحدرات، وكان لزامًا على السائق أن يركز كل قدراته الذهنية والبدنية لتجاوز هذه المخاطر.

تجاوزت السيارة منعطف (....) نحو الجنوب.. أخذت تتمايل مثل هودج على ظهر راحلة.. كانت تزأر أحيانًا حتى يسمع زئيرها أهل القرى القريبة والبعيدة عن الطريق.. كان انشغال السائق بالسيارة فرصة ثمينة . بدت (لهزاع) . كي ينشغل مع نفسه في ترتيب أفكاره، وإعداد مشاعره للحظة الوصول إلى القرية ولقاء أفراد أسرته.

◆◆◆

انقضى من وقت السير في الطريق الوعرة أكثر من نصف ساعة.. وقطعت السيارة أكثر من نصف الطريق، وكان هجوم الليل الكاسح قد قضى على ما تبقى من ضوء النهار.

ومع أن اليوم كان يصادف العاشر من شهر (.....) والقمر يمر بمنزلة (....) إلا أن ندف السحاب الصاعدة من جهة الغرب كانت تحجب نوره من حين إلى آخر.

كانت المزارع والقرى قد تراءت (لهزاع حسين) متناثرة على أطراف جانبي الوادي، واستحالت في عينيه تحت أشعة القمر إلى لوحة خرافية السحر والجمال.

هطل الشجن على مشاعره وأحاسيسه المشحونة بالشوق والحنين.. والمعبأة بحزين ذكرياته في كل قرية من هذه القرى.

هذه قرية (....) كان هزاع يتردد إليها حين يكلفه

والده بتوصيل رأس من الماعز أو كيس من الذرة لصديق له.. وهذه قرية (....) له قصة ليلية لا تنسى مع كلب ضخم من كلابها.. وهذه (....) إن نسي شيئًا فلن ينسى ليلة حجزه فيها السيل، ولم يتمكن من العودة إلى أهله إلا بعد مرور يومين.. وهذه (...) قرية كبيرة يعرف معظم أهلها ويعرف مزارعها جريه جريه وسوم وسوم.

❖❖❖

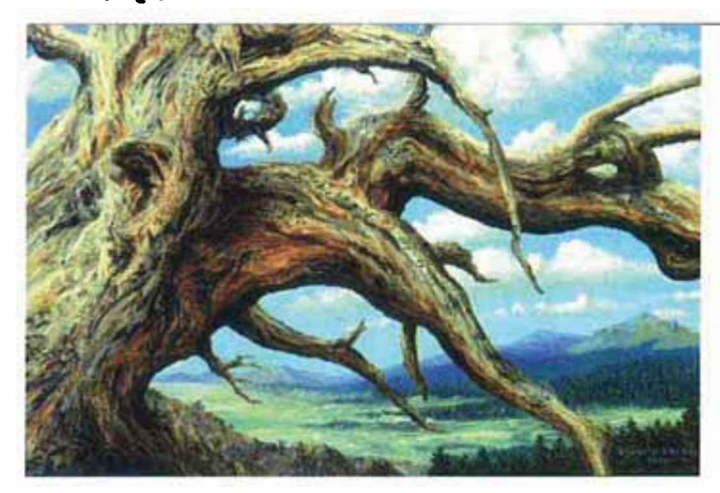
انعطفت السيارة مع انعطاف الوادي نحو الغرب.. كانت الرياح قد عجلت بكشط السحاب وصعدته إلى وسط السماء، بينما تثبتت أشعة القمر كاشفة ما تحتها من القرى والجبال، وأشجار الوادي ونباتاته.

أخرج (هزاع حسين) رأسه من قمرة السيارة.. حدق بنظره إلى الأمام.. لاح له (...) جبل شهير ومعروف في المنطقة.. ابتسمت أعماقه، وارتسمت بسمة أخرى على خريطة وجهه.. تزايدت ضربات قلبه.. أحس بخليط من مشاعر الفرح والذكريات.. ففي سفح هذا الجبل الوقور له حب، وفي قمته له ذكريات.. كان يصعد إلى قمته هو ورفقته بعد هطل أمطار الصيف، وكانوا يحملون ما يلزمهم لقضاء يومين أو ثلاثة.. وهذا الجبل الذي حركت رؤيته أشجان (هزاع) أيضًا يحتضن قرية (أخواله) وفي هذه القرية تقيم خطيبته التي يعرفها منذ الطفولة حين كان يقضي أيامًا وأسابيع لدى أخواله.

كانت خطيبته تنتظر قدومه على أحر من الجمر، وتتمنى عودته كل يوم.. وهذا (السر الخطير) حصلت عليه والدته في أثناء زيارتها لقرية أهلها، وانفرادها بخطيبة ابنها، وقد أسرت إليه بهذا السر في آخر رسالة صوتية مسجلة على شريط كاسيت أرسلتها إليه، وحلفته بالله ألا يبوح به لأي مخلوق. كما أسرت إليه - أيضًا - خبر تجهيز غرفته الخاصة في المنزل، وأخبرته أنها هي التي زينتها بالرخام الأبيض، وخططتها بالدهانات الملونة.. كما أخبرته أن قطيعًا من الخرفان السمان التي تعبت كثيرًا على علفها وتسمينها تنتظر عودته ليتم ذبحها ليلة وصوله ويوم زواجه.

تذكر (هزاع حسين) تضحيات والدته وعطفها عليه رغم وجود الوالد وإخوان آخرين.. هزته ذكريات مواقفها معه.. سقطت من عينيه دمعتان، وكادت





(العبرة) تخنقه لولا أن سائق السيارة تنبه للأمر فتوقف عن السير، وناوله قنينة الماء، وأقنعه بالشرب وبغسل وجهه حتى تنزل (عبرته)، ويزول شجنه، خصوصًا أنهم اقتربوا من دخول القرية.

◆◆◆

قال السائق لـ (هزاع حسين): إن عليه أن يمحو أثر الدمع، ويظهر القوة والتماسك بدل اللوعة والشجن.. وذكره أن مجموعة من رجال عشيرته سيستقبلونه عند مدخل القرية، ويطلقون زخات من الرصاص في الهواء تعبيرًا عن فرحهم بوصوله.

اف اف اف قالت أعماق (هزاع).. ليتهم لا يطلقون رصاصة واحدة؛ لأنه بطبيعته يكره السلاح، ويكره الرصاص، والوعي الذي اكتسبه في أثناء سنوات غربته عمق عنده هذا الكره.

تمنى من أعماقه أن تكون والدته هي أول من يرى وصوله، وأول من يحتضنه.. وتذكر أنها آخر من ودعه، وقبل أن تودعه احتضنته طويلاً، وبكت كثيرًا.. وتذكر أنها باعت ما تملك من (الحلي) وبعض أغنامها لكي تساعده على تدبير نفقات السفر إلى المهجر.

كانت فكرة الزواج فور وصوله حتى لا تضيع أيام إجازته آخر هواجس (هزاع) مع نفسه في الحياة.. إذ إنه، وقبل أن تتوقف السيار، وينزل منها، كان الرصاص يلعلع، وكانت لعلعته قد أزعجت القرية، وجرحت الليل، وأفزعت النخيل، وأرعبت الطيور المشمشة أعلاه.

لم يكن الرصاص كله ترحيبًا بوصول (هزاع)؛ لأن الأمور اختلطت، وأخذت منحى آخر: ذلك لأن مجموعة من رجال (عشيرة) مجاورة لها ثار عند عشيرة (هزاع) تسللت، واغتنمت فرصة تجمع الخصوم على مشارف القرية فاختلط الرصاص بالرصاص، واختلط الحزن بالفرح، واختلطت دماء (هزاع حسين) بتراب قريته التي أحبها كثيرًا قبل أن تراه، وتحتضنه والدته التي كان هذا الأمر بالنسبة إليها نهاية الحياة؛ لأنها لم تحتمل رؤية ابنها قتيلاً غارقًا في الدماء، فتوقف قلبها عن الحركة والنبض، ولحقت به على الفور.. بينما كان الأمر بالنسبة إلى الآخرين اعتبار (هزاع حسين) القتيل رقم (٦) في هذه الوقيعة رغم حزنهم الشديد عليه.

ديار الهنود

إيرنست همنجواي

ترجمة: مدى الفاغ

باريس - فرنسا

القارب بدأ يقترب أكثر من الشاطئ، وفي هدأة الليل وسكونه تردد صوت التجديف في انتظام عبر المكان الخالي إلا من قارب مماثل قربنا.

أبي - الطبيب الشهير - كان يحيطني بذراعيه ليقيني بعض البرد، وحينما رأيت الهمة التي يعمل بها الجميع، ونظرات الاهتمام على وجوههم لم أستطع منع نفسي من التساؤل:

«إلى أين نمضي يا أبي»؟.

لم تكن تلك هي أول مرة يأخذني فيها أبي معه إلى بيت مريض، لكنها كانت الأكثر إزعاجًا، إذ أيقظني في منتصف الليل طالبًا مني التأهب لمرافقته..

قمت باستسلام من لا حول له.. كل ما رأيته كان مجموعة من الهنود اليائسين ومعهم صديق أبي العم (جورج).. ذهبنا تجاه البحر..

احتفظت بالصمت لوقت طويل في حين كان القارب يتابع مسيرهُ إلى أن غلبني فضولي فتساءلت: إلى أين نحن نمضي يا أبي؟

- هناك.. إلى ديار الهنود.. قال أبي وهو يشير إلى شاطئ بعيد متابعًا:

- هناك سيدة هندية مريضة..

- مسكينة..! علّقت ببراءة..

واحتفظنا مرة أخرى بالصمت إلى أن صاح أحدهم قائلاً بابتهاج:

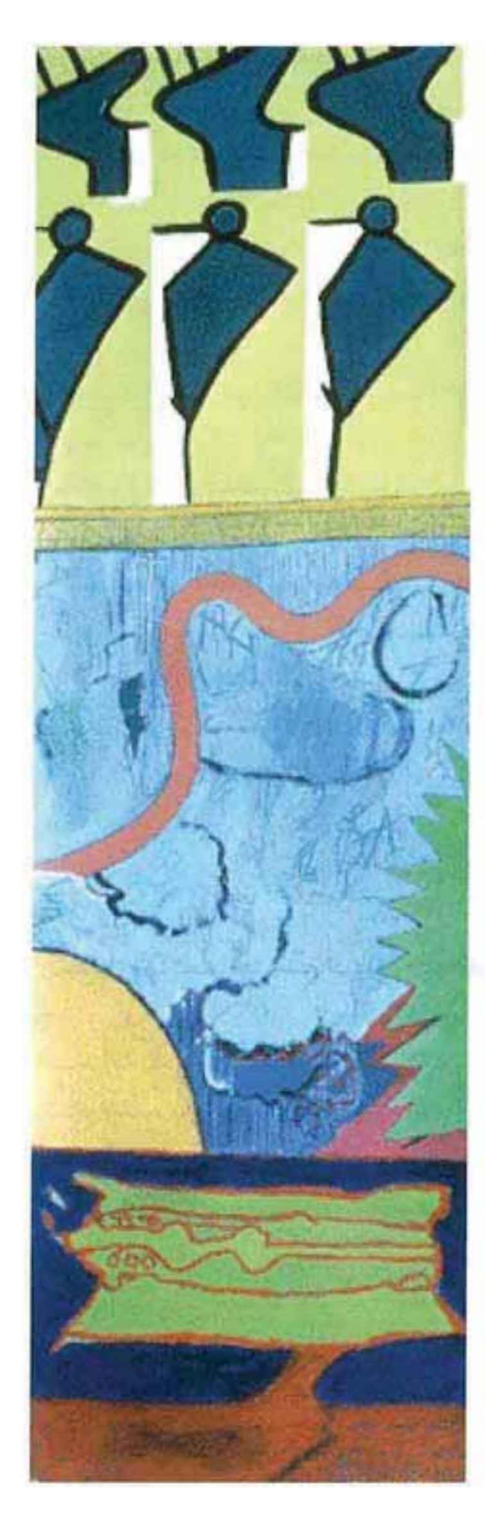
- ها قد وصلنا..!

◆◆◆

نزلنا عن القوارب عند الشاطئ لنسير خلف هندي شاب كان يحمل فانوسًا كبيرًا. المكان كان بائسًا بشكل كافٍ لجعلي أحس بالقلق، فبالإضافة إلى الرطوبة والظلام والأشجار الكثيفة كانت الكلاب بنباحها العالي تتناثر عند كل المنعطفات.. أما الدليل الذي كان يتقدمنا فقد كان عليه أن ينظرهم، وأن يستكشف طريقنا في الوقت ذاته.. وأخيرًا وصلنا إلى معبرٍ خالٍ - إلى حد ما - من جذوع الأشجار لتتوضّح الرؤية أكثر، ولنصبح بلا احتياج إلى استخدام فانوس الإضاءة.. لم يمض وقت طويل حتى ظهرت أضواء من الأكواخ المتواضعة حيث يعيش الهنود الفقراء.. اقتربنا أكثر لنلمح نورًا مميزًا في أحد الأكواخ..

امرأة عجوز وقفت أمام الباب حاملة سراجًا.. كان هذا - كما توقعت - هو المنزل المقصود، وحينما دخلنا واجهتنا المريضة البائسة التي استقبلتنا بصرخة ألم قوية جعلت شعوري بالرهبة يتزايد أكثر.. وقفت في مكاني بينما كان أبي يقترب ليرى المريضة.

◆◆◆



لقد بدأت القصة منذ يومين..

السيدة الشابة كانت تحاول منذ أول أمس ولادة مولودها الجديد، لكنها لم تفلح، وفشلت كل محاولات السيدات المحنكات في مساعدتها، وبانتظار الطبيب كانت تتمدد ـ في ضعف ـ على مرقدها البسيط وهي تطلق بين الحين والآخر صرخة ألم، أما في الطبقة الأعلى من مرقدها فقد رقد زوجها.. هو الآخر كان في حالة يرثى لها؛ فقبل ثلاثة أيام قام بقطع قدمه اليسرى بالفأس..

هذا ما كان يردده الكبار من حولي.. نظرت إلى الزوج الذي كان يدخن غليونًا عتيقًا ـ المكان كانت تنبعث منه رائحة كريهة..

أبي طلب وضع ماء ليغلي على الموقد، وفي أثناء ذلك كان يقترب مني ليمنحني درسًا جديدًا.

ـ هذه السيدة سوف تضع مولودًا.. قال لي..

ـ أعرف.. أجبت.

ـ لا تعرف.. أجاب بحدة مردفًا: ما تمر به السيدة الآن يسمى «طلق ولادة» يريد الطفل الخروج، والأم أيضًا تريد له ذلك، وهو ما تعمل عضلاتها على تحقيقه.. كنت أستمع باهتمام إلى ما كان يتابع شرحه:

هذا ما يحدث عندما تصرخ..

ـ فهمت.. كنت أقول بينما السيدة تصرخ بصوت أعلى.. ورد على بالي سؤال:

ـ ولكن يا أبي.. ألا يمكنك إعطاؤها شيئًا يجعلها تكف عن الصراخ..؟

أبي كان يجيب ببرود استغربته:

ـ كلا.. أنا لا أملك أي مسكنات.. لكن صراخها عادي.. أنا لا أسمعه لأنه غير مهم..

الزوج في الطبقة الأعلى استدار ناحية الحائط..

السيدة في المطبخ كانت تشير إلى أبي أن الماء قد غلى بما فيه الكفاية..

اقترب أبي.. أخذ جزءًا من الماء ووضعه في حوض صغير، أما في الجزء المتبقي فقد وضع معداته الطبية التي كان يلفها في قطعة قماشية مغمغمًا:

. هذه يجب أن تعقم..

بعد ذلك كان يخرج صابونة صغيرة، ويغسل يديه في الحوض الذي ملأه آنفًا بالمياه الساخنة.. كان يغسل يديه بإتقان وعناية حينما قال لي:

. تعلم يا «نك» يفترض بالجنين أن يولد بالرأس أولاً.. لكن أحيانًا لا يحدث ذلك.. في هذه الحالة يسبب المولود متاعب للجميع.. أخشى أن يكون هذا هو الحال مع هذه السيدة.. سنعلم بعد قليل..

بعد الفراغ من غسل يديه كان يستعد للعمل.. اقترب من السيدة قائلاً:

. (جورج).. جرّ هذا الغطاء.. يستحسن الا المسه..

بدأ أبي عمله بشكل واثق، أما العم (جورج) وثلاثة من الهنود فقد كانوا يمسكون جسد السيدة بإحكام.. الأخيرة عضت العم (جورج) عضة مؤلمة مما جعله يصرخ متفوهًا بعبارة سوقية وسط سخرية الرجال..

أنا كنت امسك بالحوض من أجل أبي، والأمر برّمته استغرق وقتًا طويلاً..

ولد الطفل أخيرًا.. أخرجه أبي، وقام يصنع حركات ليساعده على التنفس قبل أن يمدّه للسيدة..

. أترى يا «نك»..؟ .. إنه ولد.. ما رأيك الآن بوظيفة المساعد..؟

قال أبي بفرح حين كنت أجيب باقتضاب وبلا حماس: حسنًا..

كنت أتجنب النظر تجاهه، وإن كنت أحس به وهو يضع شيئًا ما في الحوض الذي أمسكه..

العملية لم تكن قد انتهت بعد، فقد كان على أبي أن يضع غرزًا ويخيط مكان الجرح..

. يمكنك أن ترى ذلك أولاً.. الخيار لك..

(بالطبع لن أرى.. لقد غادرني فضولي منذ أمد..)

حينما فرغ أبي ابتعد الرجال وتمت بوضع الحوض في المطبخ.

العم (جورج) نظر إلى ذراعه مما جعل الرجال يبسمون وهم يذكرون ما جرى..

. سأضع لك عليها مطهرًا.. قال أبي للعم (جورج):

السيدة كانت هادئة الآن بعينين مغمضتين ووجه شاحب.. كان يبدو أنها لم تستعد وعيها بشكل كاف لتدرك ما جرى لابنها أو أي شيء آخر مما كان يدور حولها..

. سأرجع في صباح الغد.. مرة أخرى قال أبي واقفًا قبل أن يردف:

. الممرضة ستأتي غدًا ظهرًا، وستحضر كل ما نحتاج إليه.. كان وجهه مليئًا بالكبرياء والفخر، ولسانه لا يكف عن الكلام كلاعبي الكرة في غرفة ارتداء الملابس.. ولأن لا احد غيره كان يتحدث تابع:

. والآن يا جورج.. ها هو ذا موضوع مثير للمجلة الطبية: إجراء عملية قيصرية بمدية صغيرة، وأدوات شديدة البدائية..

العم (جورج) كان متجهًا نحو الحائط متحسسًا لا تزال ذراعه المعضوضة تؤلمه لكن ذلك لم يمنعه من التعليق:

. أوه..!.. أنت فعلاً رجل عظيم..!

أبي الذي بدا راضيًا، كان يقول مشيرًا إلى الزوج الراقد:

. لنلق نظرة على هذا الوالد الشجاع.. الآباء هم أكثر من يعاني في مثل هذه الظروف.. لنعترف أنه كان صبورًا بما فيه الكفاية.. جرّ الغطاء عن وجه الرجل.. يده التي لامست شيئًا رطبًا، تراجعت ببطء.. طلع على حافة المرقد الأسفل حاملاً فانوسًا بإحدى يديه وهو ينظر باهتمام.. الرجل الهندي الذي كان وجهه تلقاء الحائط كانت رقبته النازفة قد قطعت من الأذن إلى الأذن بينما وجهه يتكئ على ذراعه اليسرى وشفرة حلاقة ترقد مفتوحة . براس أعلى . على الغطاء..

. أخرج «نك» يا جورج.. صاح أبي..

لكن ما لم يعلمه هو أنه لم يكن هناك داع لذلك؛ فموقعي قرب باب المطبخ كان يتيح لي فرصة جيدة لمراقبة المرقد الأعلى الذي كان الضوء مسلطًا عليه..

كان شيء لم يحسب حسابه..

◆◆◆

رجعنا مع تباشير الصباح نحو البحيرة.. أبي زال عنه كل ابتهاجه وفخره وهو يقول:

. أنا فعلاً آسف يا «نك»... لقد جعلتك تشاهد منظرًا مريعًا..

أنا كنت أتساءل:

. هل تمر كل الحوامل بهذه التجربة القاسية..؟

. كلا.. كان ذلك خاصًا.. خاصًا جدًا..

راودني سؤال آخر:

. لماذا قتل نفسه يا أبي..؟

. لا أعلم.. أجاب أبي ربما لم يحتمل الأشياء..

. هل يقتل الكثير من الرجال أنفسهم..؟

. ليس كثير..

. كثير من النساء..؟

. كلا.. بل قليل.

. لا يقتلون أنفسهم أبدًا..؟

. حسنًا إنهم يفعلون أحيانًا..

. أبي..

. نعم..

. أين ذهب العم (جورج)..؟

. لا تقلق عليه.. إنه سيستعيد صحته على الفور.

. هل الموت مؤلم..؟

. لا أعتقد ذلك.. بل.. أعني إنه يعتمد..

على القارب جلسنا.. أسئلتي لم تنفد لكنني انشغلت بمراقبة قرص الشمس خلت التلال وأسماك «الباض» التي كانت تصنع دوائر كبيرة على سطح الماء، وبينما كان الصبح ينبلج أكثر ونحن نتوسط البحيرة ونقترب أكثر من هدفنا.. كنت أحس بثقة أنني لن أموت..

لن أموت أبدًا..





مؤرخ البيت الحرام ابن علان الصديقي المكي

محمد علي فهيم بيومي

القاهرة ـ مصر

في محاولة للرد على المشككين الذين يتهمون حضارتنا الإسلامية بالضعف والركود العلمي، نتناول أحد أعلامها في العصور المتأخرة. القرن الحادي عشر الهجري/ القرن السابع عشر الميلادي، الذي تبعث جهوده كواحد من أبناء الحضارة الإسلامية والعربية على الفخر والاعتزاز بما قدمت في شتى المجالات الحضارية المتنوعة، وهو المؤرخ والمحدث والفقيه والأديب محمد علي بن علان إبراهيم بن محمد بن علان بن عبدالملك الذي ينتهي نسبه إلى آل الصديق، ولد في مكة المكرمة في ٢٠صفر سنة ٩٩٦هـ (٢١ يناير ١٥٨٨م)(١)، مركز الإشعاع الحضاري والثقافي في عصره، والتي شهدت مبدأ الإسلام، ومولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ومبعثه.

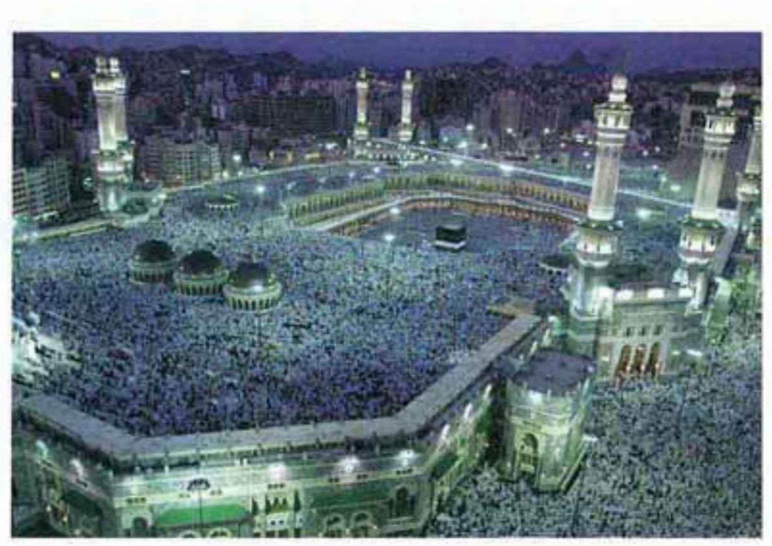
نشأته وتعليمه

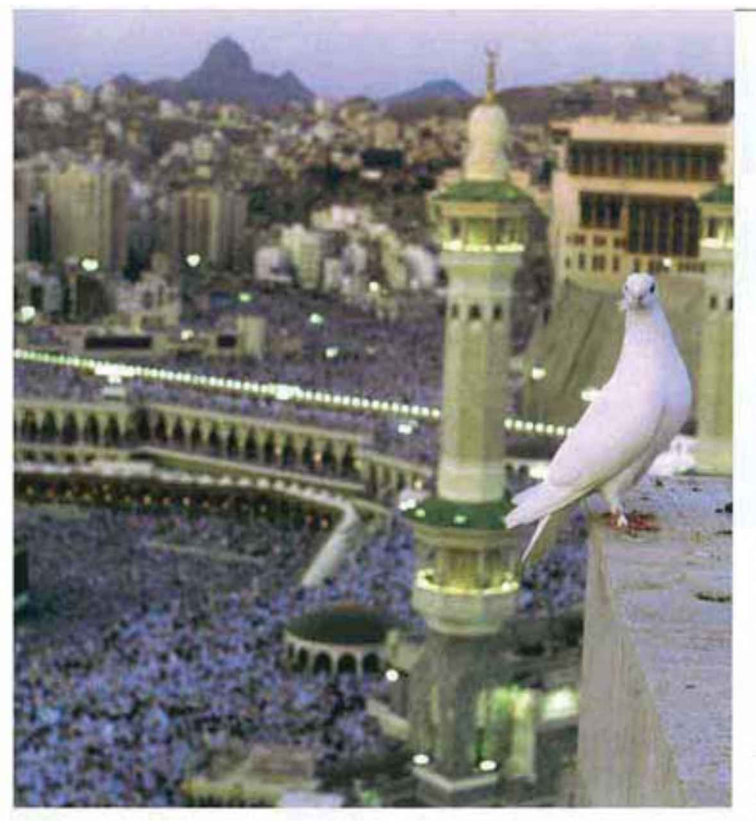
نشأ على الدين والتقوى والعلم فحفظ القرآن الكريم، وحفظ عدة متون على عادة أهل عصره في كثير من الفنون، وكان شابًا فقيرًا، فعمل في مهنة نسخ

الكتب من أجل الرزق، حتى صار له شأن كبير، إذ قرأ العلوم الإسلامية والعربية والعقلية والاجتماعية (٢)، فأخذ الحديث عن محمد بن جار الله المكي (٣) من الأسرة العلمية الشهيرة (بابن فهد) (٤)، والفقه عن الشيخ عمر البصري (٥)، وقرأ النحو على الشيخ عبدالرحيم بن حسان (٦) قرأ عليه «شرح الآجرّومية» للأزهري، و«شرح القواعد» له، و«شرح ألفية ابن مالك» للسيوطي، وغير هؤلاء الأجلاء (٧).

ولم يكتف شيخنا بالتلقي على علماء مكة، بل تلقى العلوم على أيدي علماء من المجاورين، وأخذ عنهم الإجازة في مختلف الفنون، ومن أهمهم الشيخ الخطيب الشربيني الشافعي (٨) والشيخ الحسن البوريني الدمشقي (٩) والشيخ عبدالله النحراوي (١٠) . شيخ الحنفية في مصر . ، كذا أجازه محدث مصر وعالمها الكبير الشيخ شمس الدين محمد حجازي الواعظ (١١) حين جوده في مكة سنة ١٠٢٠هـ/١٦١١م (١٢).

ولقد تولى عددًا من الوظائف، وهو صغير السن، فقد تصدر للتدريس في المسجد الحرام للإقراء وهو





ابن ثماني عشرة سنة، ووصل إلى منصب الإفتاء الشافعي في مكة، ولم يتجاوز عمره أربعًا وعشرين سنة (١٣).

صفاته وثناء العلماء عليه

وكان شيخنا عالمًا محدثًا أثريًا، مفسرًا مؤرخًا حسن الخط متواضعًا مترفعًا عن الدنايا والعيوب، ومن تواضعه أنه كان يحمل النورة مع البنائين في عمارة البيت الحرام والكعبة دون أدنى كلل مع الرضا والسرور (١٤).

وقد أثنى عليه عدد من علماء عصره من رجال التاريخ، فقال عنه صاحب عقد الجواهر والدرر (١٥): «كان إمامًا ثقة من أوحد أهل زمانه معرفة وحفظًا وإتقانًا وضبطًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلمًا بصحيحه وعلله وأسانيده» (١٦) كما قال عنه الشيخ عبدالرحمن الخياري (١٧): «إنه سيوطي زمانه في معرفة الحديث وضبطه، وكثرة مؤلفاته ورسائله» أما المحبي (١٨) صاحب «خلاصة الأثر» فكتب عنه أنه «واحد الدهر في الفضائل، مفسر كتاب الله تعالى، ومحيي السنة بالديار الحجازية، أحد العلماء المفسرين، والأئمة المحدثين، عالم الربع المشهور، صاحب التصانيف الشهير، كان مرجعًا لأهل عصره

على الرغم من الوفرة الزاخرة التي قدمها شيخنا الجليل في تلك العلوم الإسلامية والعربية إلا أن علم التاريخ كان صاحب الحظ الأوفر من جهوده. وبفضله زخرت مكتبتنا التاريخية العربية الإسلامية بعدد من المصنفات في مختلف مجالاته

في المسائل المشكلة في جميع الفنون» (١٩).

وعن عطائه الحضاري، وجهوده العلمية، فلا شك أنه كان عالمًا موسوعيًا متعددًا في تخصصاته العلمية، فألف في كثير منها، كالتفسير، والعقيدة، والحديث، والنحو، والمنطق، والتصوف، بالإضافة إلى التاريخ، وهو العلم الذي نال به شهرته الواسعة، ووصل من خلاله إلى مصاف المؤرخين العظام.

ومن رفيع بيانه، وروائع نظمه بين مختلف مجالات الشعر وأغراضه المتنوعة، ظهرت بعض نسماته الرقيقة، فأنشد واصفًا زمزم:

وزمزم قالوا فيه بعض ملوحة
ومنه مياه العين أحلى وأملح
فقلت لهم قلبي يراها ملاحة
فلا رحت تحلو لقلبي وتملح (٢٠)

وظهرت رقة شاعرنا في الغزل الذي كان يصل إلى النفس البشرية، فيسكن أعماقها فور سماعه، فمن ذلك:

يارب أنت حبست الحسن في قمر
حلو الشمائل لا يرثي لمن عشقه
أكاد أدعو عليه حين يهجرني
لكن لفرط غرامي تمنع الشفقه

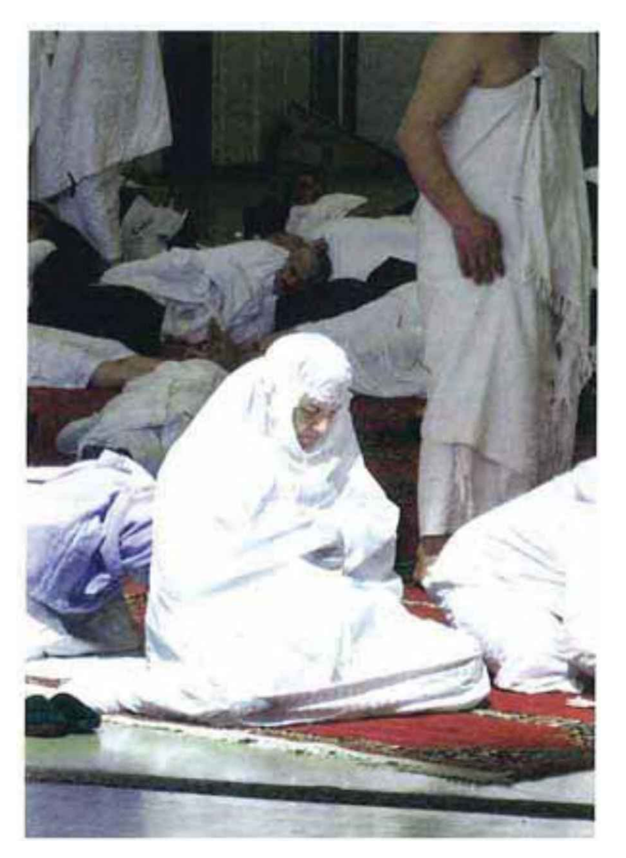
ومنه كذا:

كتبته ولهيب الشوق في كبدي
والدمع منسكب والبال مشغول
وقلت قد غاب من أهواه والسفى
بانت سعاد فقلبي اليوم مقبول (٢١)

عطاؤه الحضاري

كان مؤرخنا صاحب جهود رائدة في مختلف مجالات الحضارة الإسلامية، وترك مؤلفات رائدة في أكثر ميادين العلم، وصنوف الفنون، فمن مؤلفاته الدينية «بدائع المعاني في بيان عقيدة الشيباني» (٢٢)، في العقيدة وأصول الدين، و«دليل الفالحين بطرق رياض الصالحين» في ٨ مجلدات في الحديث والمصطلح و«الفتوحات الربانية على الأذكار النووية» في(٧) مجلدات، و«إتحاف الثقات في الموافقات»، و«التلطف في الوصول إلى التعرف»، وهو شرح كتاب ابن حجر الهيثمي (٢٣) «التعرف في الأصول والتصوف»، وكتاب في «سكرات الموت» في المواعظ والحكم، و«المواهب الفتحية على الطريقة المحمدية»، و«مفتاح البلاد في فضائل الغزو والجهاد» في فقه الجهاد (٢٤).

كما برزت له مصنفات مهمة في علم العربية، ولعل من أشهرها «إفادة الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل»، و«حدائق الألباب في علم قواعد الإعراب»،







ورفع الاشتباه في إعراب قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾، «وشرح قلائد الجمان في نظم عوامل عالم جرجان في النحو»، و«فتح الكريم الوهاب في شرح نظم قواعد الإعراب»، و«قلائد الجمان في نظم عوامل عالم جرجان» غير شرحه السابق، و«المعرب في معرفة ما في القرآن من المعرب»، في النحو واللغة (٢٥).

أجاد عالمنا الجليل التأليف في مصنفات بارزة في البلاغة والأدب. من أهمها "حسن العبارة في نظم رسالة الاستعارة". و"لطيف الرموز والإشارة إلى خبايا زوايا حسن العبارة" في البلاغة. وأما الأدب فله "تخميس قصيدة أبي مدين" و"فتح رب البرية بتخميس القصيدة الهمزية"

وأجاد عالمنا الجليل التأليف في مصنفات بارزة في البلاغة والأدب، من أهمها «حسن العبارة في نظم رسالة الاستعارة»، و«لطيف الرموز والإشارة إلى خبايا زوايا حسن العبارة» في البلاغة، وأما الأدب فله «تخميس قصيدة أبي مدين» و«فتح رب البرية بتخميس القصيدة الهمزية» (٢٦).

جهوده التاريخية

وعلى الرغم من الوفرة الزاخرة التي قدمها شيخنا الجليل في تلك العلوم الإسلامية والعربية إلا أن علم التاريخ كان صاحب الحظ الأوفر من جهوده، وبفضله زخرت مكتبتنا التاريخية العربية الإسلامية بعدد من المصنفات في مختلف مجالاته، وكانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه من أهم ما ركز فيه مؤرخنا، فسرد الأحداث التي مرت بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن هذه المصنفات «رفع الخصائص عن طلاب الخصائص»، وموضوعه الخصائص النبوية، صنفه حاشية على كتاب «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب» للسيوطي، و«شمس الآفاق فيما للمصطفى صلى الله عليه وسلم من الأخلاق»، و«فتح القريب المجيب في نظم خصائص الحبيب» منظومة في الخصائص، و«المنح الأحمدية بتقريب معاني الهمزية»، و«مورد الصفا في مولد المصطفى»، و«النفحات المنبرية في مولد خير البرية» صلى الله عليه وسلم.

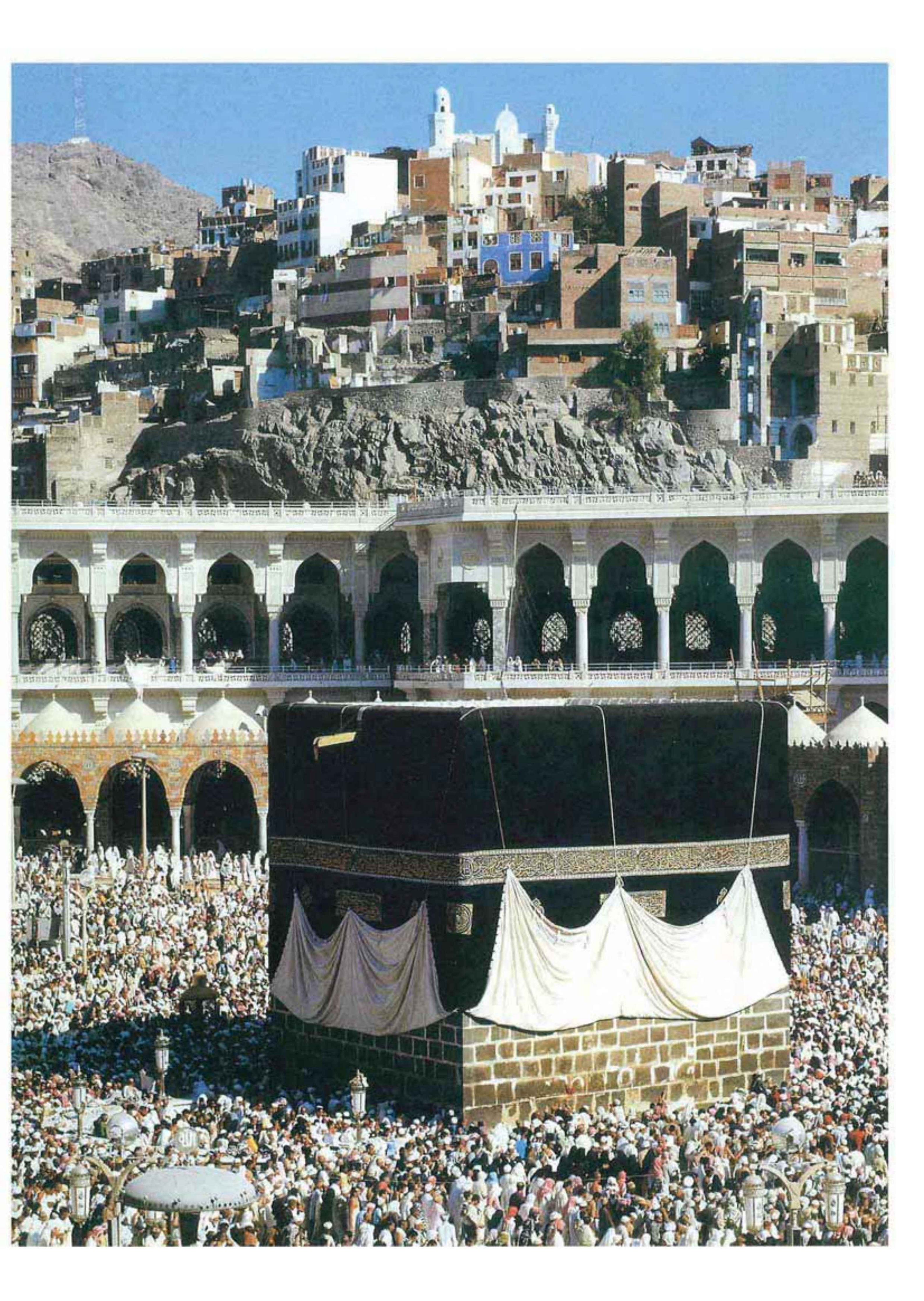
كذلك تناول تاريخ مدن الحجاز، فألف عن الطائف «اللطائف في فضل الطائف»، كما صنف كتابًا آخر عن مسجد قباء المشهور، تحت عنوان «زهر الربا في مسجد قبا». وذلك فضلاً عن تصنيفه كتاب روضة الصفا في آداب زيارة المصطفى» (٢٧).

وأما مكة المكرمة فقد اجتهد مؤرخنا في سرد أحداثها القديمة والمعاصرة، فتحدث عن عمارة الكعبة بعد السيل الذي أصابها سنة ١٠٣٩هـ/١٦٢٩م. وتحدث عن كثير من التفصيلات التي جعلته بحق أهم مؤرخي مكة المكرمة خلال القرن الحادي عشر على الإطلاق، ومن مصنفاته التاريخية عن أم القرى «رسالة في حجر إسماعيل»، و«العلم المفرد في فضل الحجر الأسود» و«درر القلائد فيما يتعلق بزمزم وسقاية العباس من الفوائد»، و«أسنى المواهب والفتوح بعمارة المقام الإبراهيمي وباب الكعبة وسقفها والسطوح» (٢٨).

ومن أهم مصنفاته التاريخية عن الكعبة المشرفة كتاب أسماه: «إعلام سائر الأنام بقصة السيل الذي سقط منه بيت الله الحرام»، واستوفى فيه كل عمارات الكعبة السابقة، وهي إحدى عشرة عمارة وأسماه «التاريخ الكبير» يقول عنه المحبي: «لخص منه مجرد ما وقع في عمارة البيت، وأعرض عما في أصله مما زاد عن بيان أعمال تلك الكرة من أحوال عماراته».

ومنها أيضًا: «نشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف بمن له ولاية عمارة ما سقط من البيت الشريف» سبب تأليفه أن البيت العتيق لما سقط أفتى

محمد علي بن علان إبراهيم يفتي. ويدرس وينفع الطلاب المكيين والواردين بمزيد من العلم والتواضع حتى توفي في ٢٠ صفر سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م ودفن بالمعلاة بالقرب من شيخ الإسلام مفتي مكة الشافعي أحمد بن حجر الهيثمي





العلماء بجواز إصلاح ذلك للشريف، فظهر لمؤرخنا رأي آخر دونه في هذا الكتاب مخالفًا بذلك العلماء، وشارحًا الأحداث التاريخية بدقة متناهية (٢٨).

كما أرخ كذلك لحُصُر البيت وأعواده والواحه، وعنوانه: «فتح الكريم الفتاح في حكم ما سد به البيت من حصر وأعواد وألواح»، قال عنه: ألفته صبيحة يوم الإثنين سلخ رمضان إلى ضحوة نهار، وكنت في عصر ذلك اليوم نسخته لرئيس المعلمين علي بن شمس الدين، وبيّن فيه علمهم أتم بيان».

وألف أيضًا رسالة في سائر الأعمال التي يحتاج إليها النائب في العمارة، أسماها: «فتح القدير في الأعمال التي يحتاج إليها من حصل له بالملك على البيت ولاية التعمير» وكان هدفه من تاليفها أن تخرج العمارة على أحسن ما يكون.

ومن الفروع التاريخية المهمة التي صنف فيها أيضًا تاليفه في التراجم، ومنها تاريخ من باب الترف العلمي والطرافة لأربعين صحابيًا أردفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مركوبة وأسماه: «بغية الظرفاء في معرفة الردفاء»، وكتابًا عن «أخلاق



البخاري»، و«ترجمة أخرى للإمام البخاري»، وكذلك عمل مؤرخنا تاريخًا حافلاً لأجداده حتى وصل إلى الصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجعله تحت عنوان «تراجم الأجداد إلى الصديق»، وآخر في «من اسمه زيد» ومؤلف في «رجال الأربعين النووية» (٢٩).

ولم يتوقف عند هذه الجهود وإنما ألف في تاريخ الدولة العثمانية «البيان ونهاية التبيان في تاريخ آل عثمان»، وألف في تاريخ مصر أيضًا كتابًا، وهو كتاب «المنهل العذب المفرد في الفتح العثماني لمصر ومن ولي نيابه ذلك البلد»، وأخيرًا كتابًا عن بغداد، وهو «الفتح المستجاد لبغداد»، وهو تاريخ لجهود السلطان محمد الرابع في بلاد فارس والعراق حتى سنة ١٠٤٨هـ/١٦٢٨م (٣٠).

تلاميذه

ولم تتساو جهوده الكبيرة في التصنيف إلا مع ما ترك من التلاميذ وطلاب العلم البارزين، الذين تلقوا على يديه من أقاليم العالم الإسلامي بوجه عام ويكفي

هنا أن نذكر بعض تلاميذه البارزين في مجال واحد في مكة فقط للدلالة على جهوده الوافرة ألا وهو الكتابة التاريخية، ومن أبرز الذين أخذوا عنه في مكة الشيخ أحمد بن محمد النخلي (٣١) أخذ عنه كتاب البخاري (٣٢)، وفضل بن عبدالله الطبري (٣٣)، والشيخ أحمد الأسدي المكي (٣٤)، وحسن العجيمي (٣٥).

وفاته

ظل يفتي، ويدرس، وينفع الطلاب المكيين والواردين بمزيد من العلم والتواضع حتى توفي في ٢٠ صفر سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م ودفن بالمعلاة بالقرب من شيخ الإسلام مفتي مكة الشافعي أحمد بن حجر الهيثمي (٣٦).

ولعل تناولنا لشخصية المؤرخ والأديب ابن علان

الهوامش والمراجع

١. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر بيروت، د ت ج٤ ص ١٨٤، والشيخ حسن العجيمي: خبايا الزوايا، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤١٠ تاريخ ورقة ١٠٦.
٢. محمد بن أبي بكر باعلوي: عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، مخطوط بمكتبة الحرم المكي تحت رقم ٤٥٢ من كتب التواريخ، ورقة ١٠٨ ب. صورة بحوزتي من إهداء الأستاذ الدكتور زكريا سليمان بيومي أستاذ التاريخ الحديث بجامعة المنصورة.
٣. محمد بن محمد بن جار الله: من علماء مكة المكرمة من أسرة ابن فهد الحنفية وفاته في القرن الحادي عشر.
المحبي: خلاصة الأثر، جـ٤، ص١٨٤.
٤. ابن فهد أو بنو فهد: أسرة علمية كبيرة كانت واحدة من ثلاث أسر مشهورة في مكة، وهي الطبرية والنويرية وبنو فهد، وظهر من هذه الأسرة علماء كثيرون منهم.
إسماعيل بغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين في الذيل على كشف الظنون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م وهي بيانات كشف الظنون نفسها لحاجي خليفة التالي الذكر، جـ٢، ص١٩٩، ٢٠٥.
٥. عمر البصري: الشيخ عمر سراج الدين عمر بن عبدالرحيم البصري والمكي الشافعي نزيل مكة، برع في الفقه الشافعي والنحو وعلوم اللغة، وكانت وفاته سنة ١٠٣٧هـ/١٦٢٧م، ودفن بالمعلاة. المحبي: خلاصة الأثر جـ٣ ص ص ٢١٠ ـ ٢١٢.
٦. عبدالرحيم بن حسان: الشيخ عبدالرحيم بن أبي بكر بن حسان المكي الحنفي، مولده في مكة، ووفاته بها كان نحويًا بارعًا، وأحد المدرسين في المسجد الحرام، وكانت وفاته سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م المصدر السابق جـ٢، ص ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧.
٧. محمد باعلوي: عقد الجواهر، ورقة ١٠٨ب، المحبي: خلاصة الأثر، جـ٤، ص١٨٥.
٨ الخطيب الشربيني: هو جلال الدين محمد بن محمد الشربيني المصري، مولده في وطنه شربين، وبعد أن تلقى علومه الأولى رحل إلى القاهرة، وأكمل تعليمه في الأزهر، ومنه رحل إلى الحجاز أكثر من عشرين مرة، فأفاد، وعلّم ودرّس، ثم انتهى تطوافه إلى مصر، وتوفي بها سنة ٩٧٧هـ/١٥٦٩م.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، القاهرة، ١٣٥٢هـ، جـ٨، ص٣٨٤.
٩. الحسن البوريني: بدر الدين حسن بن محمد بن الحسن بن عمر الصفوري الدمشقي مولده سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٥م، كان من أشهرالمؤرخين من مؤلفاته «تراجم الأعيان من أبناء الزمان» و«رحلة طرابلسية»، وكانت وفاته سنة ١٠٢٤هـ/١٦١٥م.
إسماعيل بغدادي: هدية العارفين، جـ١ ص ٢٩١.
١٠. عبدالله النحراوي: عبدالله بن محمد بن محيي الدين النحراوي الحنفي المصري رحل إلى الحجاز فحج وزار، ثم عاد إلى مصر، وكان أشهر فقهاء الحنفية، توفي سنة ١٢٠٦هـ/١٦١٧م.
المحبي: خلاصة الأثر، جـ٣، ص٦٦.
١١. حجازي الواعظ: شمس الدين محمد حجازي بن محمد بن عبدالله الشهير بالواعظ القلقشندي بلدًا، مولده سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٠م بها، وحفظ بها المتون المتنوعة في العلوم، ورحل إلى الحجاز، ثم عاد إلى مصر، وتوفي سنة ١٠٣٥هـ/١٦٢٥م.
المحبي: خلاصة الأثر، ج٤، ص١٨٥.
كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي.
١٢. د. محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون في مكة المكرمة من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة، ص ص ٣١٤ ـ ٣١٥.
١٣. المحبي: خلاصة الأثر، جـ٤، ص ص ١٨٥ ـ ١٨٦.
١٤. باعلوي: عقد الجواهر، ورقة ١٠٩أ.
١٥و ١٦. السابق، ورقة ١٠٨ب.
١٧. عبدالرحمن الخياري: هو الشيخ عبدالرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري المصري، من أهم الرحالين المصريين، رحل من مصر

الصديقي للرد على المشككين من المستشرقين والمستغربين الذين يتهمون الحضارة الإسلامية والعربية بالضعف والجمود. فعطاء مؤرخنا يعدّ دليلاً ناصعًا يفخر به كل مسلم، وجهودًا حضارية تؤكد أن تاريخنا الحضاري لم يدرس جيدًا خاصة خلال العصور المتأخرة، ويحتاج إلى جهود الباحثين والمؤرخين المخلصين حتى تظهر جذوة الحضارة الإسلامية بعد أن أهيل عليها التراب، لتخبو عمدًا من المستشرقين، ومن سار في أذيالهم من أبناء المسلمين فتنكبوا الطريق، وتذكوا لحضارتنا الإسلامية الرائدة، وهو ما يجب أن يتنبه له الباحثون في تاريخنا الحضاري.

إلى الحجاز، وقطن المدينة، ومنها رحل إلى الدولة العثمانية، وكان أديبًا بارعًا، عاد من الدولة العثمانية إلى المدينة، وتوفي بها سنة ١٠٥٦هـ/١٦٤٦م، ودفن بالبقيع.
المحبي: خلاصة الأثر، جـ٢، ص ٣٦٧.

١٨. المحبي: محمد أمين بن فضل الله المحبي، من أهم مؤرخي العصر العثماني، حموي الأصل، دمشقي المولد والقرار. ولد سنة١٠٦٠هـ/١٦٥٠م، وتوفي سنة ١١١١هـ/١٦٩٩م، من مؤلفاته التاريخية «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» والأعلام في التراجم، ونفحة الريحانة ورشحه طلاء الحانة.
إسماعيل بغدادي: هدية العارفين، جـ٢، ص٣٠٧.

١٩. المحبي: خلاصة الأثر، جـ٤، ص ١٨٥.

٢٠. المصدر السابق، جـ٤، ص١٨٦.

٢١. المصدر السابق، جـ٤، ص١٨٩.

٢٢. كتاب في العقيدة للإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م.
حاجي خليفة: كشف الظنون جـ١، ص٤٦١.

٢٣. ابن حجر المكي: هو أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي المكي، أصله ومولده في محلة أبي الهيثم من أعمال الغربية بمصر، مولده سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، عاش في مكة أكثر من ثلاثين سنة، وكان المفتي الشافعي في الحرم المكي، وتوفي بمكة سنة ٩٧٨هـ/١٥٧٠م، وله جهود في العلوم الإسلامية كافة وغيرها.
عبدالقادر العيدروسي: النور السافر في أعيان القرن العاشر، القاهرة، د ت، ص ص.

٢٤. إسماعيل البغدادي: هدية العارفين جـ٢، ص ٢٨٣.

٢٥. المحبي: خلاصة الأثر، جـ٤، ص١٨٦.

٢٦. السابق، جـ٤، ص١٨٧.

٢٧. باعلوي: عقد الجواهر، ورقة ١٠٨ب - ١٠٩أ.

٢٨. السابق ورقة ١٠٩أ. در الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون ص ص ٣١٤ـ٣١٨.

٢٩. باعلوي: عقد الجواهر ورقة ١٠٩أ.

٣٠. المحبي: خلاصة الأثر، جـ٤ ص ص ١٨٥ - ١٨٦.

٣١. أحمد النخلي: أحمد بن محمد النخلي المكي، أحد المحدثين الكبار في مكة في القرن الثاني عشر الهجري، وهو أستاذ لمن جاء بعده من المحدثين ومن أهم مصنفاته «بغية الطالبين لبيان المشايخ المحققين» بدار الكتب المصرية دوّن فيه أسماء أساتذته الذين أخذ عنهم، وتوفي سنة ١١٣٠هـ/١٧١٧م.
الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار طبعة دار الجيل، بيروت، د ت جـ١ ص.

٣٢. هو كتاب الإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفي سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م، وهو أهم كتاب في الحديث على الإطلاق بإجماع الأمة.
حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، جـ١ ص ٦٤١.

٣٣. فضل الطبري: هو الشيخ فضل بن عبدالله الطبري المكي، مفتي الشافعية بالبلد الحرام، وإمام المقام، وأحد أهم المؤرخين في مكة خلال القرن الحادي عشر/ السابع الميلادي، كما كان أديبًا توفي في ٢٤ شعبان سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م، ودفن بالمعلاة.
المحبي: خلاصة الأثر، جـ٣ ص ص ٢٧١ - ٢٧٢.

٣٤. أحمد الأسدي: أحمد بن محمد الأسدي العريشي اليمني أحد المؤرخين اليمنيين الذين استقروا في مكة ومن مؤلفاته أخبار الكرام بأخبار البلد الحرام، وكانت وفاته سنة ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م.
باعلوي: عقد الجواهر ورقة ١١٤.

٣٥. حسن العجيمي: هو الشيخ حسن بن علي المكي الحنفي العجيمي، له مؤلفات منها خبايا الزوايا، وإهداء اللطائف من أخبار الطائف، والفرج بعد الشدة، وغيرها، توفي سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م.
الجبرتي: عجائب الآثار جـ١، ص ١٢٣، د. الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص ص ٣٧٠ - ٣٧٦.

٣٦. باعلوي: عقد الجواهر ورقة ١١٦، المحبي: خلاصة من الأثر، جـ٤، ص ١٨٩، ود. الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص ٣٣٠ وإسماعيل بغدادي: هدية العارفين جـ ٢ ص ٢٨٣.





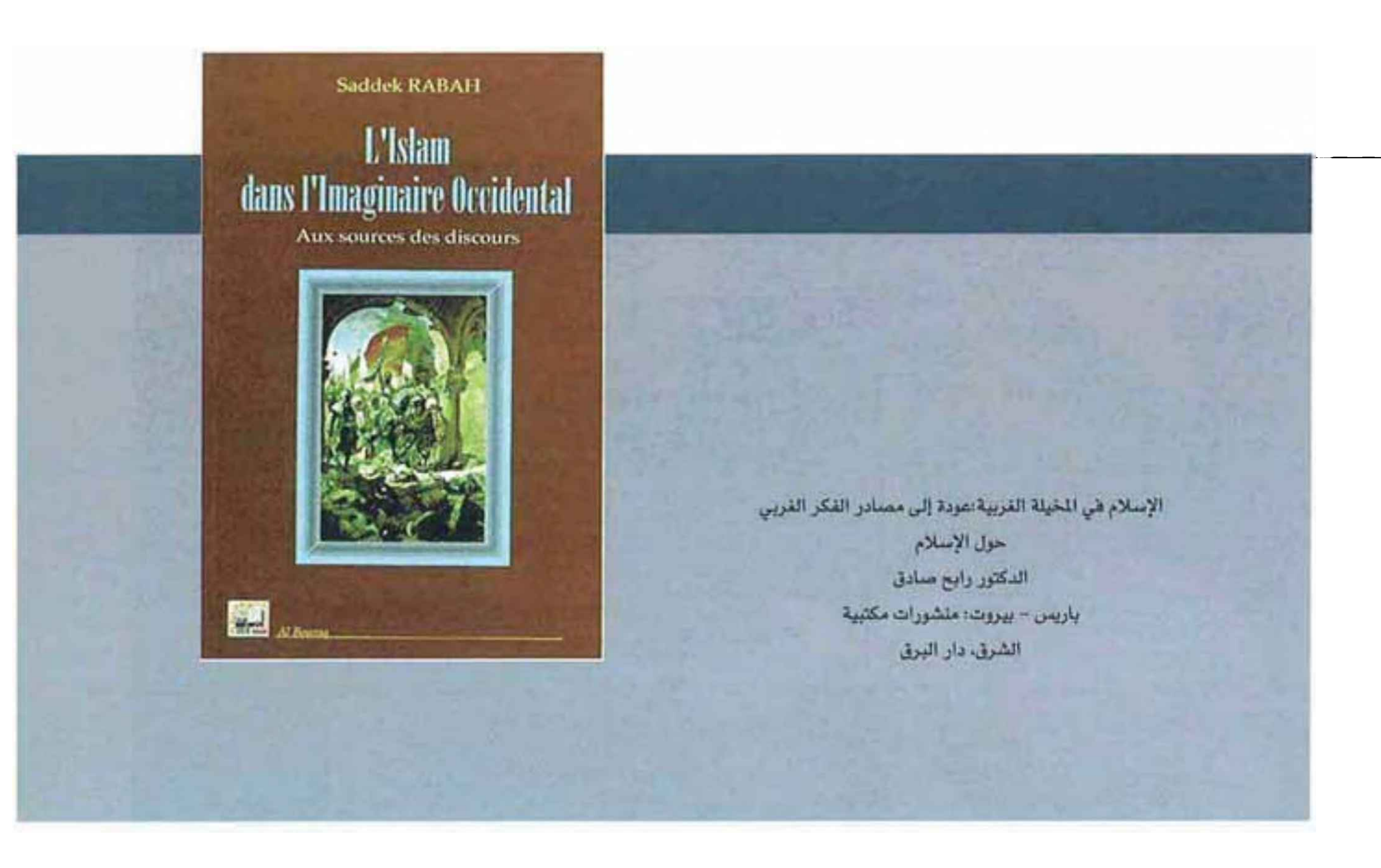
الإسلام في المخيلة الغربية

الطيب ولد العروسي

باريس ـ فرنسا

الإسلام في المخيلة الغربية: عودة إلى مصادر الفكر الغربي حول الإسلام، عنوان كتاب صدر في باريس، وبيروت - في آن واحد - عن منشورات مكتبة الشرق، ودار البراق، للباحث الجزائري الدكتور رابح صادق، يقع في ٢٤١ صفحة من الحجم المتوسط، ويتوزع على بابين: الأول يحتوي على أربعة فصول، أما الثاني فيتكون من فصلين، يتعرض الباب الأول للظروف التاريخية التي كونت الصورة المنبثقة من الكتابات الغربية منذ العصور القديمة مرورًا بعصر الأنوار، وصولاً إلى العصر الحديث، الذي تعرضَ فيه الدين الإسلامي إلى تشويه إعلامي، وتُسْتَقْطب فيه الدعاية المغرضة والمعادية لكل ما هو مسلم وعربي، ويعود ذلك إلى الجهل والأحكام المسبقة، والنيات المبيتة التي تستهدف الإساءة إلى المسلمين. والكتاب عمل أكاديمي استقرأ فيه الباحث المخيلة الغربية، وتراكم الصور التي بنتها عن الإسلام ،وكيفية انتقاله إلى الرأي العام الغربي، ورسوخ مجمل هذه الرؤى المتناقضة والمتداولة منذ القرون الوسطى إلى يومنا هذا، سواء في الكتاب المدرسي أو في ميدان الإعلام، أو حتى في ميدان المعرفة الأكاديمية.

يرى الباحث أن صورة الإسلام السلبية في المخيلة الغربية هي نتيجة التقاء المعرفة المشوهة للفكر والاجتماع الإسلاميين بالممارسات السائدة في الفضاء الإسلامي؛ هذه الممارسات عملت على ترسيخ الصورة المشوهة في المخيلة الغربية؛ لأنها ممارسات يتفق الباحث مع محمد أركون - الباحث الجزائري صاحب المؤلفات المختلفة عن الإسلام - على وصفها بأنها فعل إسلامي لا يمت بصلة إلى الفعل القرآني والإيماني.



الإسلام في المخيلة الغربية:عودة إلى مصادر الفكر الغربي
حول الإسلام
الدكتور رابح صادق
باريس - بيروت: منشورات مكتبية
الشرق، دار البرق

إن الأبحاث الغربية التي تناولت الإسلام، لم تتناوله من ناحية موضوعية، بل استعملت دسائس كثيرة، كونت تراكمات تاريخية، جعلت هذا التفكير يختزل صورة المسلم والإسلام برؤى غريبة وعجيبة، فهذه الأبحاث تهمل الجانب المنطقي الموضوعي في الإسلام، ليصنف أصحابها المسلمون بأنهم بدو، صحراويون وقراصنة، وتمتد الصورة إلى الآن، وإن كان في السابق، الجهل وقلة المعرفة يحولان دون إقامة حوار جاد مبني على محاولة الفهم، والمناقشة، فإن العصر الحديث بما يميزه من تعدد وسائل الاتصال لم يقض على هذه الأحكام المسبقة، لما لها من جذور عميقة في المخيلة الغربية، ودعم الباحث كل هذه المعطيات باعتماده الكتابات القديمة حول الإسلام ليبين الخطاب الحالي حول هذا الدين. إذ يتغذى لا شعوريا أحيانا من هذه الصورة المشوهة والجاهزة التي تراكمت عبر العصور، والتي تدعمها بعض السلوكات الشاذة والتي تسيء إلى الإسلام، ولا علاقة له بها، وهذا على الرغم مما قام به العلماء والباحثون العرب وغيرهم لتوضيح الصورة، ولما أحدثته العلمانية من قطيعة ابستيمولوجية في عالم الأفكار، وجعلت مسألة التدين مسألة شخصية. والأجزاء المكونة للمخيلة الغربية هي ثلاثة: العصور الوسطى، وفلسفة الأنوار، والاستشراق، مما يوضح المعطيات الأيديولوجية والنفسية والتاريخية التي بنيت عليها صورة الإسلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى استمرارية الصورة ومواصلتها عبر الإعلام الذي هيمن على كل المجالات الفكرية والثقافية، والذي يروج للإسلام بأنه إرهابي، ولا يحترم حقوق الإنسان، ويشجع على الزواج بأكثر من امرأة، ويدعو إلى القضاء



الحوار أساس معرفة الآخر وتحقيق التفاهم

على الآخر، وهنا يتداخل العمل العلمي المبني على دراية جيدة برسالة الإسلام وحضارته، وبالواقع الذي يروج للإساءة إليه في الإعلام، والأبحاث ذات الأغراض الهدامة، وحتى في الكتب المدرسية؛ أي: التي توجه الطفل، فهي تعطيه صورة مشوهة عن الإسلام. وهذا ما يكون الباب الثاني الذي يبحث في تثبيت التراكمات والصور السلبية للإسلام ولحضارته وأتباعه، مع أن الحوار الإسلامي في فرنسا يرجع إلى عهود طويلة، وبعض المؤرخين يعيدونه إلى القرن الثامن الميلادي، لكن كثافة هذا الحضور تعود إلى القرن العشرين ومرحلة التوسع الغربي، فقد قدم الكثير من المسلمين في المغرب العربي وإفريقية إلى فرنسا للعمل في مصانعها، كما أن الكثير منهم جندوا في أثناء الحربين العالميتين في الجيش الفرنسي، وسقط منهم الكثير في ساحة المعركة (خمسة وعشرون ألفًا) في أثناء الحرب العالمية الأولى

المؤسسات التي تسعى إلى تمثيل الإسلام هي ليست ذات فاعلية تذكر، وهي تفتقد الشرعية الجماعية للمسلمين في فرنسا. وقد وجدت المؤسسة الفرنسية الرسمية في هذا التغيير والانقسامات وسيلة لعدم إعطاء الإسلام في فرنسا كل حقوقه

حسب التاريخ، ثم بقيت الهجرة تتوسع بعد الحرب العالمية الثانية والاستعمار الفرنسي للمغرب العربي، وحتى بعد الاستقلال فكر هؤلاء المهاجرون، في أنهم سيرجعون لا محالة، لكن الظروف أرادت غير ذلك، واستقروا وأنجبوا، وإن كان الحضور في بدايته مغاربيًا ومرتبطًا بالظروف المذكورة، فقد تعدد ابتداء من السبعينيات حتى توافد المشارقة والمغاربة والمسلمون من القارة الآسيوية وبقية أنحاء العالم، ويقدر أن الجالية الإسلامية في فرنسا تتكون من ١٢٢ جنسية حسب بعض المراجع.

والواقع أن حضور الجالية العربية الإسلامية ككتلة مؤثرة في صنع القرار يكاد يكون معدومًا، ودورها في مجالات الحياة في فرنسا، وإن كان ذا قيمة، فهو لا يحظى بالاعتراف الرسمي والجماعي، على الرغم من الكثافة العددية لهذه الجالية (خمسة ملايين) وبهذا تحتل الديانة الإسلامية المرتبة الثانية في فرنسا، وهي مهمشة وغير معترف بها كبقية الديانات الأخرى، فمع حضورها، وشرعيتها الإحصائية والقانونية، إلاّ أنها تبقى مهمشة. وهناك محاولات لإيجاد هيئة تمثل الإسلام، بدأت بوادرها تظهر مع مجيء شيراك إلى سدة الحكم في مرحلته الثانية، وتطرح الكثير من

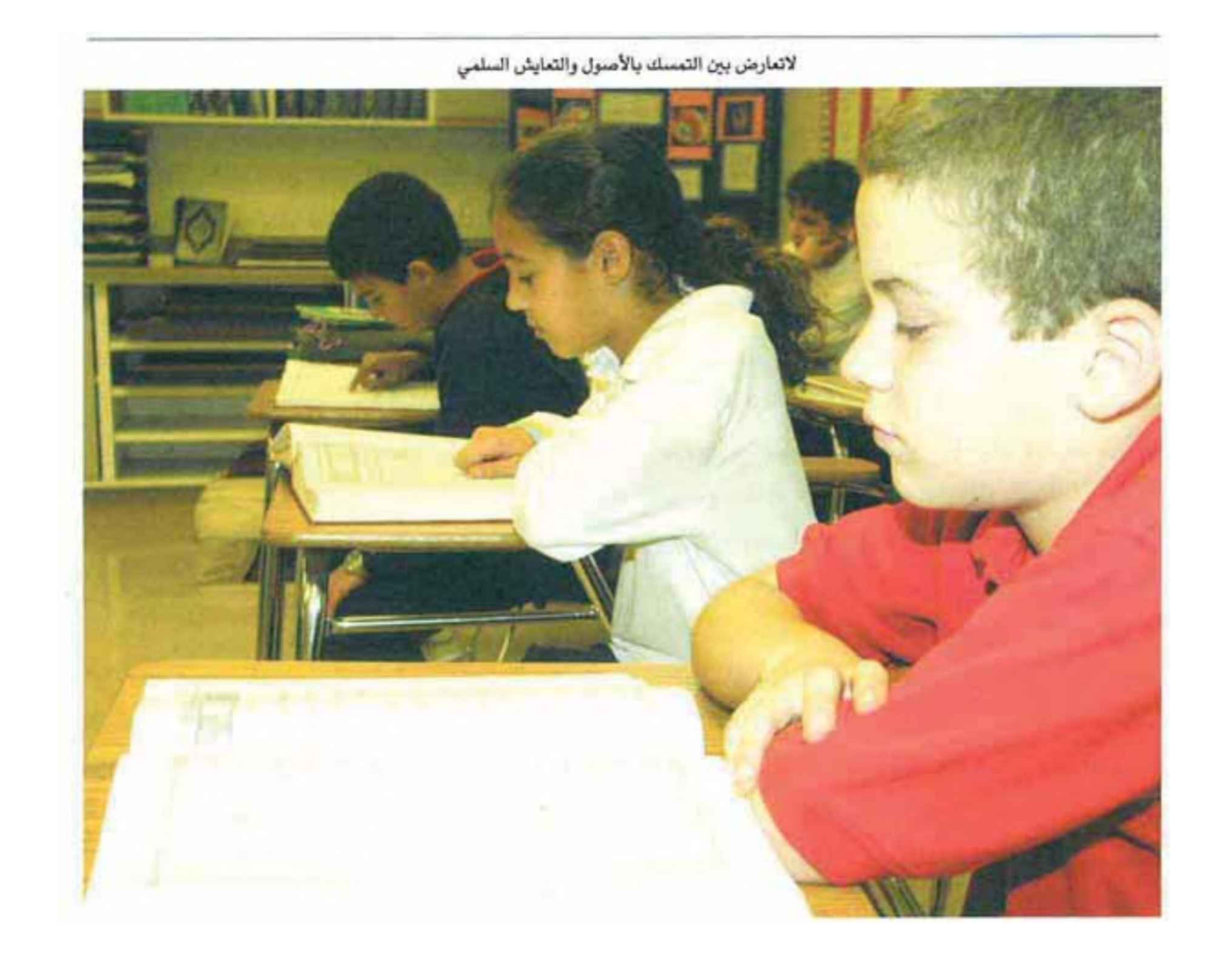
الكتاب عمل أكاديمي استقرأ فيه الباحث المخيلة الغربية، وتراكم الصور التي بنتها عن الإسلام، وكيفية انتقاله إلى الرأي العام الغربي، ورسوخ مجمل هذه الرؤى المتناقضة والمتداولة منذ القرون الوسطى إلى يومنا هذا

التساؤلات حول شرعية هذه الهيئة، والكثير من القلاقل. ويرجع ذلك حسب رأي الباحث إلى عوامل متعلقة بتركيبتها الاجتماعية والثقافية الداخلية، وانقسامات وصراعات حول التمثيل، «ولاءات للوطن الأم، تدخل في شؤونها الداخلية من طرف الأنظمة الحاكمة، العقلية الإثنية والشوفينية إلخ»، التي لا تساعد هذه الجالية على خلق ديناميكية مشاركة في البناء الثقافي والاجتماعي الغربي بصفة عامة، والفرنسي بصفة خاصة، وعوامل أخرى لها علاقة بالمحيط التي تتحرك فيه، هذا المحيط ذو الطابع الإقصائي، الناتج من الصور السلبية للإسلام والمسلمين والعرب بصفة خاصة، ولا يتعامل معها إلا بريبة كبيرة ويحملها أغلبهم جميع مشكلاته، ولا بد من الإشارة هنا إلى نقطة مهمة، إذ يقول الباحث: تتمثل في ثنائية الخطاب السياسي الفرنسي، كلما تعلق الأمر بالهجرة، فعلى الرغم من العلمانية التي تدعيها فرنسا، إذ إن عناصر الانتماء ليست الدين والانتماء الجغرافي، ولكن الفرد من حيث هو فرد ينتمي إلى مجتمع قائم على حقوق وواجبات، غير أن ثنائية الخطاب هذه تكمن في مدحه وتمجيده لنموذج الانتماء، بينما واقع المواطنين الفرنسيين من أصول عربية إسلامية كله معاناة وإقصاء، فما معنى أن يكون هؤلاء مواطنين قانونيًا، وأجانب سياسيًا واجتماعيًا، هذه هي التناقضات التي نعيشها ونلاحظها من خلال الخطاب والممارسات اليومية.

أما المؤسسات التي تسعى إلى تمثيل الإسلام فهي ليست ذات فاعلية تذكر، وهي تفتقد الشرعية الجماعية للمسلمين في فرنسا. وقد وجدت المؤسسة الفرنسية الرسمية في هذا التغيير والانقسامات وسيلة لعدم إعطاء الإسلام في فرنسا كل حقوقه على عكس باقي الديانات، إلى درجة أن الحضور البوذي مثلاً،

الذي يعدّ حديثًا في فرنسا، يتمتع، ويحظى باعتراف رسمي واجتماعي، وأهم ما يميز الرؤية الفرنسية والغربية، بصفة عامة، هو طابعها التواصلي الخطي، وهذه الرؤية تراكمية، كما يقول الدكتور رابح صادق؛ لأنها تأسست في العصور الكنسية الوسطوية، وتواصلت مع باقي العصور، وهي تجد شرعيتها في كل ما كتب حتى الآن حول الإسلام، فمعظم الكتابات مطبوعة بطابع الاختصارية والاختزالية، إلى درجة أن المشروعات الأكاديمية العلمية التي ظنناها ستعيد بناء رؤيتها إلى الإسلام على أسس جديدة لم تسلم من هذه المعضلة، وإذا عرفنا، كما بينت ذلك جيدًا، المصادر التي يستقي منها الغربي معرفته للإسلام، وتتبعنا سيرورة الخطاب حول الإسلام، فهمنا لماذا هذه الصورة السيئة جدًا لديه عن الإسلام، وقضية الخلط بين العربي والمسلم تندرج ضمن السياق العام، فكل ما هو مسلم بالنسبة إلى الغربي العادي هو عربي، وينطبق على اختصار العربي في المغاربي، والمغاربي في الجزائري، واختصار المهاجر في المسلم، إلى درجة أن الكثير من الفرنسيين يرون إيران

لاتعارض بين التمسك بالأصول والتعايش السلمي



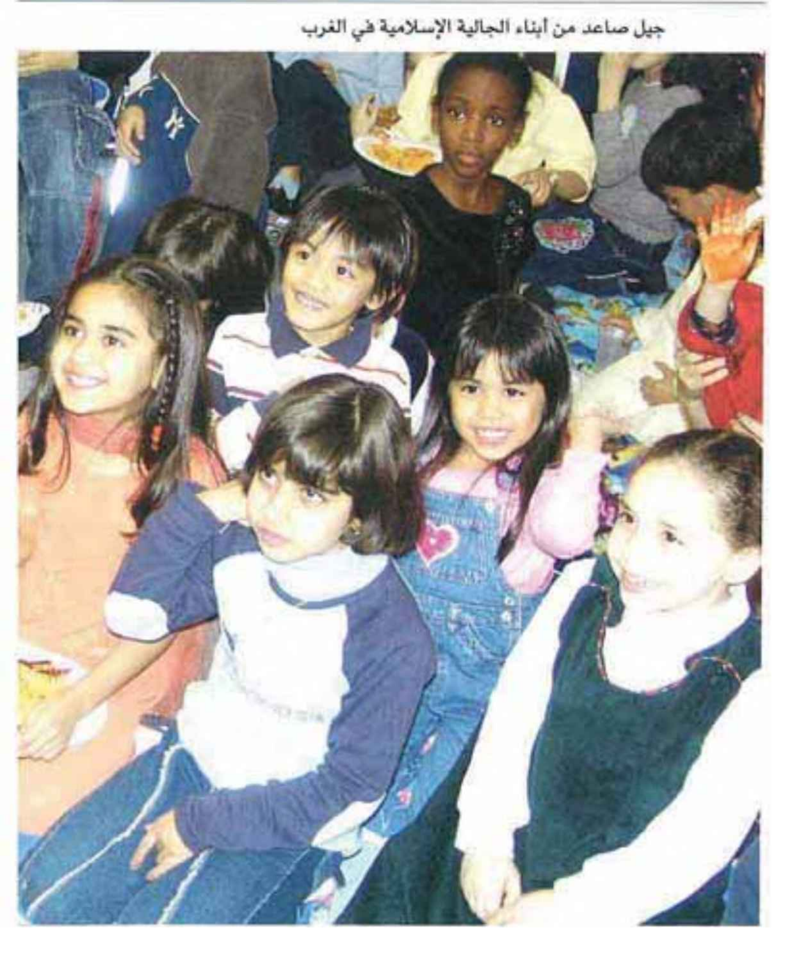
الأبحاث الغربية التي تناولت الإسلام، لم تتناوله من ناحية موضوعية، بل استعملت دسائس كثيرة، كونت تراكمات تاريخية، جعلت هذا التفكير يختزل صورة المسلم والإسلام برؤى غريبة وعجيبة

دولة عربية . كشف عن ذلك أحد استطلاعات الرأي . إن هذا الجهل الكبير، كما يقول الباحث، بحقيقة التباين الثقافي والإثني داخل الفضاء الإسلامي يولد علاقة انعكاسية بين ظاهرة الخلط والصورة السيئة، فكلاهما مرآة للآخر، وهناك، بالإضافة إلى دور الإعلام السلبي والتراكمات والإقصاء، ما يسمى بخبراء الإسلام الذين يصيحون صباح مساء بأن الإسلام سيكون عدو الغرب بعد سقوط المعسكر الشرقي، ولا ننسى، كما قلنا آنفًا، الممارسات الجانحة داخل الإسلام، كما يتحدث الكاتب عن دور المستشرقين الذي يكشف لنا عن عقلية أصحابه أكثر من كونه تعبيرًا عن حقيقة موضوعية، وخضعت كتابات المستشرقين للدراسة والنقد من بعض المفكرين العرب والمسلمين وبعض الغربيين أنفسهم، وأشهر كتاب في هذا المجال، كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد الذي

الحوار الإسلامي في فرنسا يرجع إلى عهود طويلة، وبعض المؤرخين يعيدونه إلى القرن الثامن الميلادي، لكن كثافة هذا الحضور تعود إلى القرن العشرين ومرحلة التوسع الغربي

ينفي عن المشروع الاستشراقي أي صيغة علمية، ويراه مؤسسا لنظام رؤياتي إيديولوجي وهو في مقاربته للإسلام عنصري إمبريالي، ويطبعه التعالي الإثني، والكتابات الاستشراقية في مجملها، كما يؤكد المفكر الفلسطيني، ترى الشرقي، إشارة إلى العرب والإسلام، متخلفين ذهنيًا، غير متحضرين، خاملين، وتتحكم بهم عيوب قطرية تمنعهم من التطلع، وتجعل من حركيتهم مراوحة في المكان نفسه، ويخلص الكاتب إلى أن الاستشراق هو ليس إخفاقًا علميًا فحسب، ولكنه أيضًا إخفاق إنساني.

جيل صاعد من أبناء الجالية الإسلامية في الغرب

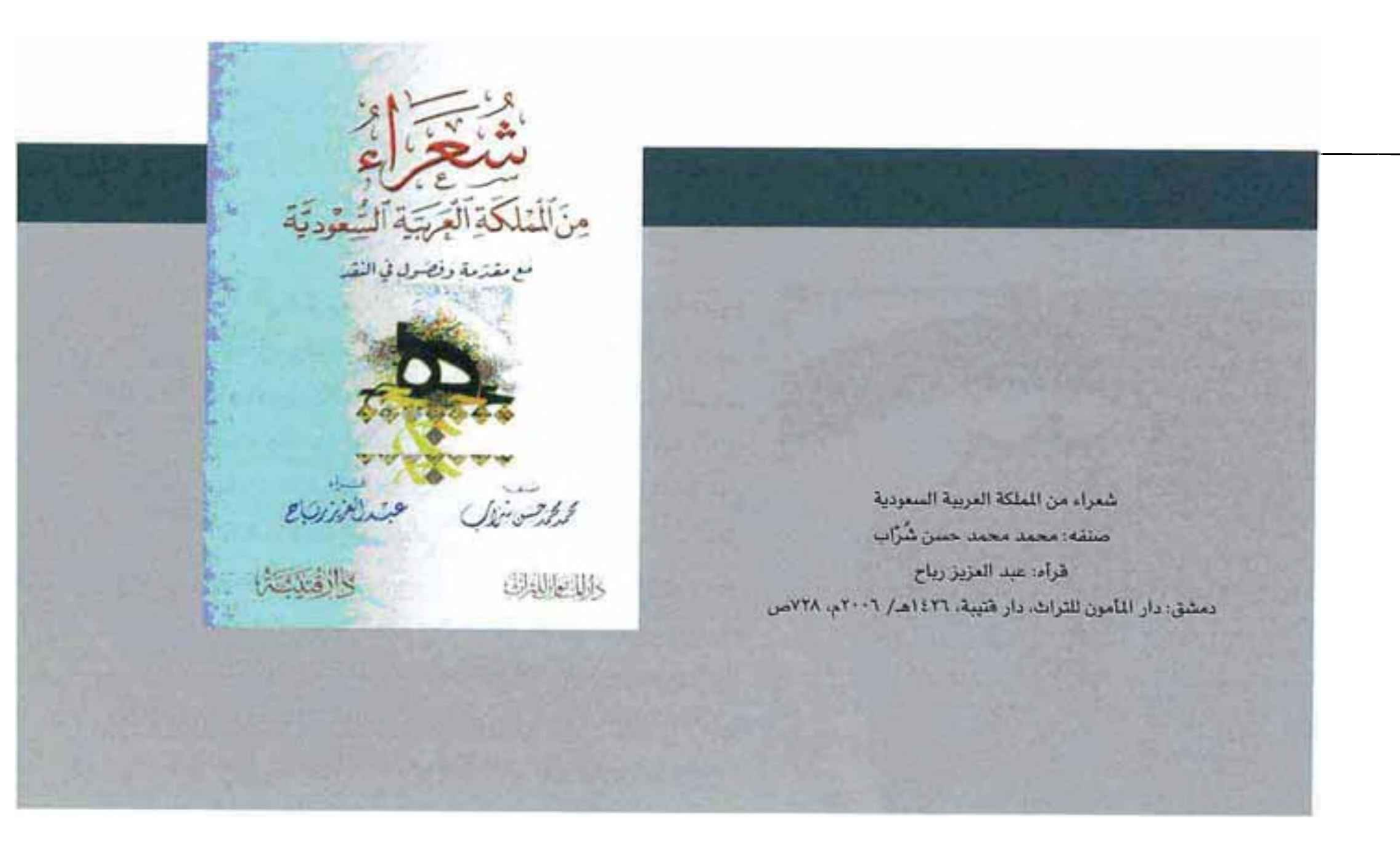


شعراء من المملكة العربية السعودية

خليل محمود الصمادي

الرياض - السعودية

اشتهر الأستاذ محمد بن محمد حسن شُرَّاب بدراساته المعمقة، فقد صدر له أكثر من ثلاثين كتابًا خلال مسيرته الأدبية حتى عام ٢٠٠٥م، وجلّها في تراجم المدن والأسماء والرجال واللغة والنحو والتاريخ، وغيرها، ومن هذه الكتب: «المدينة في العصر الأموي»، و«المعالم الأثيرة في السنة والسيرة»، و«في أصول التاريخ العربي الإسلامي»، و«تميم الداري: راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين، والمدينة النبوية في فجر الإسلام وعصر الراشدين»، و«الإمام محمد بن شهاب الزهري: عالم الحجاز والشام»، و«أبو عبيدة بن الجراح»، و«عز الدين القسام: شيخ المجاهدين في فلسطين»، و«معجم بلدان فلسطين»، وكتب أخرى كثيرة. أما كتابه الأخير: «شعراء من المملكة العربية السعودية» فيختلف عن الكتب السابقة التي كان معظمها عن فلسطين وتاريخها وبلدانها؛ وذلك بسبب انتمائه الوطني، فهذا الكتاب يعبر عن مدى ارتباط الكاتب بالمملكة العربية السعودية وثقافتها؛ فقد عمل في المملكة مدة ثلاثين عامًا مدرسًا للفنون العربية من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٩٤م كما جاء في مقدمة الكتاب، كما شارك خلال وجوده بالمدينة المنورة في الأنشطة الثقافية والأدبية، فقد نشر عددًا من مقالاته في الصحف والمجلات؛ كالفيصل، والحرس الوطني، والمنهل، وعكاظ، وغيرها، وكما كان عضوا نشيطًا في كثير من النوادي الأدبية. ولاهتمام الأستاذ شراب باللغة والأدب فقد استرعت انتباهه كثرة الشعراء السعوديين، فقام بتقصي أخبارهم، وجمع تراجم عنهم، حتى تكدس في ملفه تراجم وأشعار لـ (٢٦١) شاعرًا ممن تركوا آثارا



مطبوعة، فقام بدراسة أشعارهم، واستخلص آراء قيمة في نهضة الشعر في السعودية، ولم يأت بما لم يسبقه الأوائل، فهناك من كتب عن الشعر في المملكة، وقام بتراجم لشعرائها، ولكن يبدو أن كتابه حوى أسماء جديدة لم يتطرق إليها السابقون، فالدكتور بكري شيخ أمين لم يذكر إلا أسماء مئة شاعر، جاء بعضها دون ترجمة، وقد يترجم للشاعر ترجمة مختصرة، ولا يذكر شيئا من شعره «مقدمة الكتاب» ص ٦ أما عمل الأستاذ شرّاب فإنه يذكر من ترجمة الشاعر ما يدل على بيئته الجغرافية، ومستواه العلمي، وعمله الوظيفي، وآثاره الأدبية، ومختارات من شعره، وتعليقات أدبية أو نقدية منقولة ومرتبة على حروف المعجم، ليسهل العثور على اسم الشاعر. وبما أنّ الأستاذ شراب ناقد من الدرجة الممتازة فلم يكتف بجمع التراجم والأخبار للشعراء، بل قدم دراسة عميقة في ١٨٣ صفحة في بداية الكتاب تضمنت فصولاً وأبوابًا مهمة، لا غنى لدارسي الحركة الأدبية في المملكة عنها. فمن التعريف الإداري والجغرافي للمملكة انتقل إلى دراسة ظاهرة كثرة الشعراء في المملكة العربية السعودية، التي يعزوها محللاً وناقدًا إلى النهضة التعليمية، وإلى الصحافة، والنوادي الأدبية التي يخصها بدراسة مطولة، ولاسيما نوادي المدينة المنورة؛ إذ يعقد لها بابًا تحت عنوان «أدب الندوات في المدينة المنورة تحدث كشاهد عما رآه خلال سني عمله هناك، ثم يعود إلى ظاهرة كثرة شعراء، المملكة وأسبابها، ولا ينسى أن وفرة المال عند الناظمين ساهمت في كثرة الشعراء وكذلك اهتمام القائمين على الاحتفالات العامة والمناسبات بالشعراء،

وإدراج فقرات الحفل لقصائد مناسبة لموضوع الحفل. وفي مكان آخر من الدراسة يذكر المؤلف عن اتجاهات الشعر السعودي، فيرى أن الشعر القومي هو مضمون الشعر السعودي وأما مضمونه الذي تناولته أقلام الشعراء والسنتهم حسب استنتاج الكاتب فهو «أن الشاعر السعودي عندما ينفعل بقضية في إقليم من أقاليم العرب والمسلمين يعبر عنها بوصفه فردًا من أهلها، فابن المدينة النبوية عندما يدعو إلى نصرة أهل فلسطين، أو أهل سرايفو، كأنه يدعو إلى مساعدة أهل قرية في نجد، أو في الجنوب.. فالعالم الإسلامي في مفهوم الشاعر السعودي وحدة كالجسد الواحد.. ومفهوم القوم عنده يشمل الأمة كلها.. عربها وعجمها.. فالوطني قومي، والقومي وطني، والإسلامي قومي.. ذلك أن القومية أو القوم في المفهوم العربي الإسلامي لا تدل على العرق أو النسب العرقي، وإنما تدل على اجتماع فئة من الناس حول مفهوم...» ص ٥٦ . وفي هذا الباب تحدث عما أسماه أدب المقاومة في الشعر السعودي، وتناول الموضوعات التي تطرق إليها الشعراء وكان أبرزها القضية الفلسطينية، والثورة الجزائرية، والجامعة العربية، وغيرها. وفي ص ٩٨ تحدث عن الغزل في الشعر السعودي، وبعد أن عرف الغزل وتاريخه في أدبنا العربي استنتج أن الغزل في الشعر السعودي يقاس على الشعر العربي بعامة. والشعراء في السعودية قالوا الشعر الغزلي، وأكثروا منه، ولكن منهم منْ قاله في شبابه، ثم أعرض عنه، ورأى أن الغزل لا يليق بمقام مكانته الاجتماعية، أو منصبه الديني، ومنهم من أوقف أكثر شعره على الغزل. أما من كان الغزل جزءًا من شعره فهم الغالبية العظمى، وأكثرهم كان يعبر عن هواه فقط،



محمد حسن فقي

وعما يكابد من الحب، وما يلقى من تباريحه، وقليل منهم التفت إلى عواطف المحبوبة وما تعانيه. وفي فصل جديد تحت عنوان «التقويم العام للشعر السعودي» فبعد مقدمة عن كيفية تقويم الشعر بالنسبة إلى راي الأستاذ شُرّاب قسم الشعراء - حسب رأيه - إلى طبقات: الطبقة الأولى وهي طبقة عقود إحياء اللغة العربية والأدب العربي، ويمثلها


حسن عبد الله القرشي

(أحمد إبراهيم الغزاوي، وأحمد قنديل، وحسين سرحان، ومحمد حسن عواد، وعبد الله عمر بالخير، وحسين عرب، ومحمد حسن فقي، والقرشي، وعزيز ضياء، وحمزة شحاته..... ولم أستقض.... فهذه الطبقة قالت أجود ما قاله السعوديون من الشعر.......) ص١١٦. أما الطبقة الثانية بحسب رأي الكاتب «فهم الذين نشؤوا، وشبّوا بعد توحيد نجد والحجاز تحت اسم المملكة العربية السعودية، وعاشوا عصر التعليم الحكومي، وتخرج أكثرهم في المدارس والجامعات السعودية أو الجامعات العربية..... وغلبت الصنعة التعليمية على الطبع الشعري، وبدأت تتسرب إلى الشعراء الأشكال الشعرية الجديدة والتراكيب الجديدة الغريبة عن الوطن» ص١١٨. أما الطبقة الثالثة من الشعراء فهم الشباب، وعلى رأي الكاتب؛ فالشعراء منهم قلة والشويعرون كثيرون، والسبب في ذلك أن جيل الطفرة الاقتصادية نأى عن اللغة العربية وآدابها، فنشأ ضعيفًا إلا من رحم الله. بعد ذلك يتناول المؤلف أسباب ضعف اللغة وطرائق علاجها، ثم يناقش الشعر الحر أو المرسل أو شعر التفعيلة ويعدّه من البدع الشعرية التي طرأت في القرن العشرين، ثم يبدي رأيه في قضية الحداثة ص ١٤٣ ويعدّها آخر دعوات الهدم، ويناقش دعاوى أصحابها، وينبري للرد عليهم رافضا مذهبهم على الإطلاق في أكثر من ثلاثين صفحة. أما الفصل الأخير من الدراسة فكان تحت عنوان «الوحدة في القصيدة العربية» ص١٧٨ إذ يناقش في هذا الباب قول القائلين إن القصيدة العربية قد تفككت، وانعدمت الوحدة بين أجزائها، وهو قول المستشرقين، ويبين أن هذا الكلام جائر، وينقصه الدليل، ويرى أن هناك الكثير من القصائد العربية في تراثنا العربي لا تربطها الوحدة الموضوعية، ويبين أن هذه الأحكام النقدية، الجائرة دخلت مناهجنا التعليمية دون تمحيص وتدقيق، فعلينا إعادة النظر في الأحكام النقدية التي نعلمها للدارسين حتى لا تلتبس الأمور على شبابنا المتعلم. وفي ص ١٨٣ ينتهي الأستاذ شُرَّاب من دراسته النقدية ليقدم لنا بباقي سفره تراجم وأشعارًا لـ

٢٦١ شاعرًا، مرتبًا أسماءهم على الترتيب الألفبائي، بادئا بإبراهيم بن حسن بن حسين الأسكوبي ومنتهيًا بيوسف عبد اللطيف أبو أسعد، وطريقة المؤلف انه يذكر بضعة أسطر عن حياة كل شاعر، ثم يذكر بعض أشعاره، وجل التراجم بين صفحة وصفحتين، وهناك بعض التراجم أسهب فيها كترجمة علي أحمد النعمي، ويحيى توفيق حسن، ومفرج السيد، ومحمد العيد الخطراوي، ومحمد علي السنوسي، والأمير عبد الله الفيصل، ومحمد عبد الله فقيه، وعبد الرحمن صالح العشماوي، وغازي القصيبي، وغيرهم.

وخلاصة القول: أن الأستاذ محمد محمد حسن شُرّاب استفاد من الفترة التي عمل بها في المملكة العربية السعودية، كما أنه أفاد، فقد افادنا بمؤلفات كثيرة منها هذا الكتاب الذي يعد معجمًا للشعراء السعوديين حوى على هذه التراجم الكثيرة، وقد أسهب في بعضها، واختصر في أكثرها. وقد صنف كتابه هذا بعيدًا عن المؤثرات التي تحمل على المجاملة والمحاباة، طامعًا فيه أن يسجل كلمة مؤرخ، يقال: إنه صادق، أو اجتهد أن يكون صادقًا، كما قال الناشر على الغلاف الأخير.

أقول: كم من مغترب قضى عشرات السنين مغتربًا، وربما كان من أهل الأدب واللغة وغيرهما من الفنون الإنسانية، واهتم بجمع المال دون غيره، فجمع المال، ونسي أن ينمي مواهبه، ويطورها، وقلة من المغتربين من استغل وقته في الفائدة والفنون الأدبية، وطوّر اختصاصه أو هواياته، التي عادت بالنفع عليه وعلى منْ حوله، وأجزم أن أبا أحمد منهم، فبالإضافة إلى عمله في التدريس كان مراقبًا وناقدًا جيدًا للحركة الأدبية في المملكة، التي أثمرت مئات المقالات وعشرات الكتب التي ستبقى. إن شاء الله.

الشعراء في المملكة قالوا الشعر الغزلي، وأكثروا منه، ولكن منهم منْ قاله في شبابه، ثم أعرض عنه، ورأى أن الغزل لا يليق بمقام مكانته الاجتماعية، أو منصبه الديني، ومنهم من أوقف أكثر شعره على الغزل

أثرًا طيبًا نافعًا. وهذه سنة علمائنا وأدبائنا الذين لم يتوانوا عن التصنيف والتأليف خلال رحلاتهم المتنوعة.ومن ملاحظاتي على مترجمي شعراء اي بلد الاّ تكون مصادرهم على الدواوين المطبوعة للشعراء، أو على ما ينشر في المجلات الأدبية، فكم من شاعر مبدع ليس له ديوان مطبوع بسبب قلة الوفرة المادية، وكم من قصيدة رائعة لا تجد لها حظًا في المجلات المرموقة كالتي يتابعها المؤلف، وربما تجد مكانا في جريدة يومية يصعب على أي مصنف ان يتابعها، وهناك عشرات الشعراء المطبوعين في المملكة وغيرهم وجدوا في شبكة الإنترنت ملاذًا لهم فارفدوها بقصائدهم الكثيرة، وكتبوا تراجمهم فيها، والمراقب للساحات الأدبية يجد كل يوم مواقع أدبية

الشاعر السعودي عندما ينفعل بقضية في إقليم من أقاليم العرب والمسلمين يعبر عنها بوصفه فردًا من أهلها، فابن المدينة النبوية عندما يدعو إلى نصرة أهل فلسطين، أو أهل سراييفو، كأنه يدعو إلى مساعدة أهل قرية في نجد، أو في الجنوب



حسين سرحان في شبابه

يعزو الباحث ظاهرة كثرة الشعراء في المملكة العربية السعودية، إلى النهضة التعليمية، وإلى الصحافة، والنوادي الأدبية التي يخصها بدراسة مطولة، واهتمام القائمين على الاحتفالات العامة والمناسبات بالشعراء

جديدة تبشر بأعمال جيدة لأدباء لم يطبعوا ديوانًا، ولم ينشروا قصيدة في مجلة أو صحيفة ويبدو أن هناك عداء بين أساتذتنا الكبار والإنترنت. والأستاذ شُرّاب واحد من أساتذتنا الكبار. وأرى أن هذا العداء سيتحول مع مرور الأيام إلى صداقة دائمة لا بسبب تنازل الأساتذة عن آرائهم في كل ما هو جديد، ولكن بسبب مرونة الصديق الجديد.

ومن الجدير بالذكر في نهاية المقال أن نذكر بعض إصدارات الأستاذ محمد محمد حسن شُرّاب إذ منها:

- المدينة في العصر الأموي، دار التراث بالمدينة المنورة.
- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم بدمشق.
- المدينة المنورة في فجر الإسلام وعصر الراشدين، دار القلم بدمشق.
- الإمام محمد بن شهاب الزهري: عالم الحجاز والشام، دار القلم بدمشق.
- أبو عبيدة بن الجراح، دار القلم بدمشق.
- عز الدين القسام: شيخ المجاهدين في فلسطين، دار القلم بدمشق.
- معجم بلدان فلسطين. دار المأمون للتراث بدمشق.
- معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية وتفسير معانيها، الدار الأهلية، عمان.
- معجم العشائر الفلسطينية ورجالات الأدب والجهاد، عمان المكتبة الأهلية ٢٠٠٢م.
- بيت المقدس والمسجد الأقصى. دار القلم بدمشق.
- القول المبين في تاريخ القدس وفلسطين، دار السقا في داريا.
- العرب واليهود في التاريخ. دار السقا في داريا.
- قضية ولا صلاح الدين لها، دار السقا في داريا.
- الحديث النبوي مصدر للتشريع، دار السقا في داريا.
- الشوارد النحوية. دار المأمون بدمشق.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٥٤) ذو الحجة ١٤٢٦هـ / يناير ٢٠٠٦م

الفائز الأول: فكرية عبدالكريم حسن . القاهرة . مصر.
الفائز الثاني: ناديا عبدالله محمود . دمشق . سورية.
الفائز الثالث: نهيل حسني سلام الرومي . أبو ظبي . الإمارات.
الفائز الرابع: أمينة عمر الخراط . المدينة المنورة . السعودية.
الفائز الخامس: هيلة محمد أحمد محسن . صنعاء . اليمن.
الفائز السادس: زهية محمود القطامي . عمان . الأردن.
الفائز السابع: سامية أحمد محمد الأمين . الخرطوم بحري . السودان.
الفائز الثامن: خاتون أحمد علي المنامة . البحرين.

حل مسابقة العدد (٣٥٤)

١- البراهمانية أو البراهمية هي العقائد التي يعتنقها الكهنة الهنود، وظهرت بين عامي ٨٠٠ و ٦٠٠ ق.م، ومصادرها كتاب الفيدا والبرهماناس والأوبانيشار.

٢- الأموريون هم شعب سامي من منطقة أمور في الغرب من بلاد ما بين النهرين، تضم وسط الفرات وجانبًا من صحراء سورية.

٣- نيرفانه مصطلح سنسكريتي يعني غاية ما ينتهي إليه الفكر البوذي، توصف في الكتب البوذية بأنها المرفأ أو الميناء أو الشاطئ البعيد.

أسئلة مسابقة العدد (٣٥٧)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) من هو صقر قريش؟

(٢) ما اسم المعماري الذي صمم مجمع السليمانية بتركيا؟

(٣) من هم المجوس؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

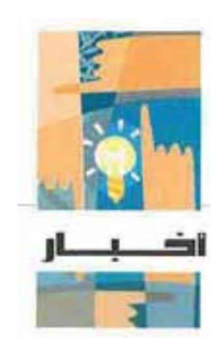
ص.ب (٣) . الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- المؤتمر الخليجي المغاربي الثاني
- تشكيل هيئة بيت الشعر اليمني
- راشيل كوري تثير جدلاً
- وفاة هشام علي حافظ وعبد الحليم رضوي وتكريم عبد الله عبد الجبار

•• خاتمة المطاف: الديمقراطية بين أنصارها وخصومها



المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثاني

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان ابن عبدالعزيز - أمير منطقة الرياض، رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز، افتتح معالي الدكتور خالد بن محمد العنقري - وزير التعليم العالي - المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثاني، الذي نظمته دارة الملك عبدالعزيز - ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بتونس في الفترة من ٢٦ إلى ٢٨ من المحرم سنة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٥ إلى ٢٧ فبراير/شباط عام ٢٠٠٦م، وكانت الحلقة الأولى من هذا الحوار قد انعقدت في تونس خلال الفترة من ٢٦ إلى ٣٠ صفر الموافق ٢٧ أبريل/نيسان إلى ١ مايو/أيار عام ٢٠٠٣م.

ورمي هذا المؤتمر إلى وضع التصورات والرؤى المستقبلية لما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الخليجية المغاربية في الكثير من التخصصات ذات الاهتمام المشترك، انطلاقًا من تجاربهما وإنجازاتهما البحثية الكثيرة، وتفعيلاً للحوار بين باحثي الخليج والمغرب العربيين.

واستهدفت محاور المؤتمر توطيد العلاقات الخليجية المغاربية على مستوى المؤسسات والأفراد بشتى الطرائق والوسائل، تحقيقًا للتكامل المنشود معرفيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، آخذين في الحسبان التحولات الدولية التي أصبحت لا تعترف إلا بالتجمعات والتكتلات البحثية الموسعة، التي استقطبت أهم الكفاءات والخبرات في عدد من الاختصاصات.

وارتكزت محاور المؤتمر على المجالات الآتية:

- التواصل والتعاون العلميان بين الباحثين المغاربيين والخليجيين في ضوء التخصصات المشتركة.
- التواصل بين الخليج والمغرب العربيين في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- دور التجمعات السياسية بين دول مجلس التعاون الخليجي ودول المغرب العربي في تفعيل التقارب والتعاون.
- الشراكة بين المراكز العلمية في الخليج والمغرب العربيين في مجالات الاهتمام المشترك.

وقدم في المؤتمر عدد من البحوث خلال جلساته التي رأس أولاها الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيّع، وقدم فيها الدكتور فوزي محمد عبده ساعاتي بحثًا بعنوان «العلاقات الثقافية والاجتماعية في موسم الحج من خلال علماء بلاد المغرب العربي عبر القرون»، والدكتور عبدالعزيز بن صالح الغامدي «دور الحج في التواصل بين العلماء في الحرمين والبلاد المغاربية»، والدكتور محمد بن عبدالعظيم بنعزوز «دور الحج في التواصل والتكامل بين دول المغرب والخليج العربيين»، واختتمت بحوث هذه الجلسة الدكتورة عائشة غطاس ببحث عنوانه «قراءة في ثلاث رحلات جزائرية إلى بلاد الحجاز في أواخر العهد العثماني».

وترأس الجلسة الثانية الدكتور عبدالجليل التميمي، وكانت بحوثها كالآتي: «الرحلات الحجازية والسفارية المغربية، كصلة وصل حضارية بين المغرب والجزيرة العربية» للدكتورمحمد بوكيوط، و«دور رحلات الحاج في توحيد الفضاء الثقافي الإسلامي: الرحلات الحجازية الموريتانية نموذجًا» للدكتور حماه الله ولد سالم، و«مساهمات الشعب القطري في تحرير الجزائر» للدكتور مصطفى عقيل إسحاق، و«العلاقات السياسية والثقافية بين المملكة العربية

السعودية والمملكة المغربية» للدكتورة عزة بنت عبدالرحيم شاهين.

وكانت الجلسة الثالثة برئاسة الدكتور عبدالعزيز ابن صالح بن سلمة، وجاء فيها: «دور الجامعات في تفعيل التواصل العلمي بين دول الخليج العربي ودول المغرب العربي» للدكتور صالح بن علي أبو عراد، و«أية إستراتيجية للشراكة العلمية المغاربية الخليجية مستقبلاً؟» للدكتور عبدالجليل التميمي، و«التواصل الخليجي المغاربي حقيقة حضارية تاريخية وإستراتيجية راهنة» للدكتور كمال فيلالي، و«الدراسات العثمانية في الجامعة الجزائرية» للدكتورة فاطمة الزهراء قشي.

وترأس الجلسة الرابعة الدكتور فيصل بن عبدالله الكندري، وجاء فيها: «النص الحاضر الغائب بين الخليج والمغرب نحو مؤاخاة بين الأدبي والإعلامي» للدكتور عبدالله بن أحمد آل حمادي، و«دور الجامعة الإسلامية في التواصل العلمي بين الخليج والمغرب العربيين» للدكتور عوض بن أحمد الشهري، و«دعم المملكة العربية السعودية للثورة الجزائرية» للدكتور عبدالحكيم عامر الطحاوي، و«علاقة عُمان بشمال إفريقية» للدكتور سعيد بن محمد الغيلاني.

وجاءت الجلسة الخامسة برئاسة الدكتور كمال فيلالي، ومن بحوثها: «الزعيم الباروني: زيارته لعُمان وأهميتها» للدكتور سعيد بن محمد الهاشمي، و«العلاقة التونسية السعودية (١٩٢٦ - ١٩٥٦م)» للدكتور التليلي العجيلي، و«التكامل الخليجي المغاربي: رؤية جيوإستراتيجية» للدكتور سامح إبراهيم عبدالوهاب، و«التأثيرات السياسية الحديثة بين الخليج والمغرب العربيين» للدكتورة أمل بنت إبراهيم الزياني.

وترأس الجلسة السادسة الدكتور ناصر بن محمد الجهيمي، وجاء فيها: «إستراتيجية مقترحة لتوظيف شبكة الإنترنت لزيارة التقارب الثقافي والفكري بين دول الخليج والمغرب العربي» للدكتور صالح أحمد شاكر، و«الإنترنت والوصول الحر للمعلومات العلمية: أي رهانات لمجتمع الباحثين العرب» للدكتور وحيد قدورة، و«انتقال الخبرات والأموال بين الخليج والمغرب العربي: مثال تونس» للدكتور محمد ضيف الله، و«الحوار بين طرفي الوطن العربي من خلال الولوج الحر للمعلومات العلمية والتقنية» للدكتورة نزهة الخياط.

وكانت الجلسة السابعة والأخيرة حوارًا مفتوحًا، وقراءة البيان الختامي، برئاسة الدكتور فهد بن عبدالله السماري، ومشاركة الدكتور عبدالجليل التميمي.


الأمير سلمان بن عبد العزيز





وفاة هشام علي حافظ

توفي في الخامس والعشرين من شهر فبراير/شباط الماضي الصحافي والناشر السعودي هشام علي حافظ عن عمر يناهز ٧٥ عامًا، قضى ردحًا كبيرًا منها في ممارسة مهنة البحث عن المتاعب، مخلفًا وراءه عددًا من الإنجازات الصحفية والثقافية، وقد حدثت وفاته في بيروت، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة ليدفن في البقيع في المدينة المنورة حيث ولد.

استطاع هشام وشقيقه محمد علي حافظ تأسيس أكبر إمبراطورية صحفية، نجحا من خلالها في تدويل الصحافة العربية، والوقوف جنبًا إلى جنب مع أكبر الإصدارات في الغرب، والولايات المتحدة الأمريكية، وقد بدأت هذه الإمبراطورية، التي أطلقوا عليها اسم الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، في مدينة جدة في المملكة العربية السعودية بتأسيس «أراب نيوز» الصادرة باللغة الإنجليزية، ثم تلتها من لندن صحيفة «الشرق الأوسط» عام ١٩٧٨م، ثم توالت الإصدارات بعد ذلك: مجلة «سيدتي» الموجهة إلى المرأة العربية، وجريدة «الرياضية» اليومية، ومجلة «الرجل»، ومجلة «هي»، ومجموعة أخرى من الإصدارات.

وينتمي هشام علي حافظ إلى أسرة صحفية، فوالده وعمه هما السيدان علي وعثمان حافظ، اللذان أسسا

هشام علي حافظ



تشكيل هيئة بيت الشعر اليمني

تم في صنعاء في الشهر الماضي تشكيل هيئة بيت الشعر اليمني، وجاء التشكيل على النحو الآتي: عبد العزيز المقالح رئيسًا، ومحمد عبد السلام منصور أمينًا عامًا، وعبدالسلام الكبسي مديرًا ماليًا، وعلي بن علي الحضرمي مسؤولاً عن العلاقات الخارجية، وهمدان دماج مسؤولاً فنيًا، وعلي المقري مسؤولاً ثقافيًا.

وصرح الشاعر المقالح أن بيت الشعر اليمني سيكون مفتوحًا لكل الشعراء اليمنيين والعرب، من مختلف فضاءاتهم الفنية، وأنه سيمثل همزة وصل مع مختلف الحساسيات الشعرية في العالم، وسيعمل على رعاية الحراك الشعري الحديث في اليمن وتشجيعه عبر مختلف الوسائل.

وقد اختيرت مجموعة من الشعراء العرب كأصدقاء لبيت الشعر اليمني، ومنهم: أدونيس

جريدة «المدينة» اليومية، وهي من كبرى الصحف السعودية حاليًا، وقد صدر العدد الأول منها في ١٣٥٦/١/٢٦هـ.

ولد هاشم علي حافظ في المدينة المنورة في ١رجب سنة١٣٥٠هـ الموافق ٢١ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٣١م، ونال درجة البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة القاهرة عام ١٩٥٥م، وبكالوريوس العلوم العسكرية من الكلية الحربية المصرية عام ١٩٥٤م، وتخرج برتبة ملازم أول، وعمل في الجيش السعودي برتبة ملازم أول في الفترة من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٧م، ثم ملحقًا أول في وزارة الخارجية السعودية «١٩٥٧ - ١٩٥٨م»، وسكرتيرًا ثانيًا في السفارة السعودية في طهران «١٩٥٨ - ١٩٦٠م»، وسكرتيرًا ثانيًا في السفارة السعودية في واشنطن «١٩٦٠ - ١٩٦١م»، ورئيس تحرير ومديرًا عامًا لصحيفة المدينة «١٩٦١ - ١٩٦٣م»، وعضو الوفد السعودي الدائم لدى المقر الأوربي للأمم المتحدة في جنيف «١٩٦٥ - ١٩٧١م»، وغير ذلك من المناصب.

وقد ترك الراحل عددًا من المؤلفات باللغتين العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية، منها باللغة العربية: «كلمات لها إيقاع، ٤ أجزاء»، و«أحبك.. أحبك... أحبك.. يا حبيبي يا رسول الله» عام ١٩٩٤م «شعر»، و«أنا وأنتِ وحواء» عام ١٩٩٥م «شعر»، وأخرى بالإنجليزية منها:

- The Desert is my Oasis كتاب بالإنجليزية عام ١٩٩٤م.
- Words With Rhythm Second Beat كتاب بالإنجليزية عام ١٩٩٥م.
- Words With Rhythm Third Beat كتاب بالإنجليزية عام ١٩٩٨م.
- Les Mots Rythmes, anthologie كتاب بالفرنسية عام ١٩٩٨م.

وكتاب باللغة الأوردية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدد كبير من المقالات المنشورة في صحيفة «المدينة المنورة» و«عكاظ» و«الشرق الأوسط» منذ عام ١٩٤٠م.

عبد العزيز المقالح

«سورية»، ومحمود درويش «فلسطين»، وسعدي يوسف «العراق»، ومحمد عفيفي مطر «مصر»، وقاسم حداد «البحرين»، ومحمد جبر الحربي «السعودية»، وسيف الرحبي «عمان»، وأمجد ناصر «الأردن»، ومحمد بنيس «المغرب»، والمنصف الوهايبي «تونس»، وجودت فخر الدين «لبنان»، وميسون صقر «الإمارات» كما اختار مؤسسو البيت أصدقاء للبيت من الشعراء في مختلف اللغات.

تكريم عبد الله عبد الجبار

كرّم المهرجان الوطني للتراث والثقافة في دورته الحادية والعشرين، التي اختتمت تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، الأديب السعودي عبد الله أحمد عبد الجبار، الذي لم يتمكن من الحضور لظروفه الصحية، وقد بدأت فعاليات النشاط الثقافي لهذا العام بإقامة ندوة شارك فيها الدكتور عبدالله مناع، وحسين ابن محمد بافقيه، والدكتور محمد عبد الرحمن الربيّع، وأدارها الدكتور عبدالمحسن فراج القحطاني.

وُلد الأستاذ عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار في منزل أسرته «آل عبد الجبار» المكية المعروفة بحي «سوق الليل» المجاور للمسجد الحرام، وشعب علي «شعب بني هاشم» سنة ١٣٣٦هـ الموافق عام ١٩١٨م، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة وحفظ بعض سور القرآن الكريم، وبعض مبادئ الحساب قبل سنّ المدرسة في كُتّاب الفقيهة «جواهر بنت عبد الهادي الفقيه».

وفي المدرسة الفخرية بدأ الأستاذ عبد الجبار تلقّي أول دروسه المدرسية التحضيرية، ثم التحق بمدرسة الفلاح المكية الشهيرة التي كانت قد تأسّست في سنة ١٣٣٠هـ؛ أي: قبل ميلاد أديبنا بنحو ٦ سنوات هجرية، وفيها أتمّ تعليمه الابتدائي والثانوي، ثم انضم إلى عقد طلاب البعثة السعودية الثانية بمصر دارساً في كلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول «القاهرة حالياً» سنة ١٣٥٥هـ، وحصل منها على شهادة الليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية سنة ١٣٥٩هـ الموافق عام ١٩٤٠م.

وعمل عقب تخرجه مدرساً بالمعهد العلمي السعودي، ومدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة، ثم صار مديراً

وفاة التشكيلي السعودي عبدالحليم رضوي

توفي في الخامس من شهر مارس/ آذار الماضي في مدينة جدة الفنان التشكيلي السعودي عبدالحليم رضوي عن عمر يناهز ٦٧ عامًا، بعد معاناة طويلة مع أوجاع القلب، ويعدّ رضوي واحدًا من أبرز الفنانين في التاريخ العربي المعاصر، ورائدًا للفن التشكيلي بالجزيرة العربية، وأحد أبرز مؤسسيه.

ولد الرضوي عام ١٩٣٩م، ودرس المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية بمكة المكرمة، كما حصل على التوجيهي علمي من المدرسة العزيزية الثانوية عام ١٩٦٠م، وسافر بعدها إلى روما حيث نال ليسانس فنون الديكور الفني من أكاديمية الفنون الجميلة بروما عام ١٩٦٤م، ثم حصل على درجة البروفيسور من الأكاديمية العليا بمدريد عام ١٩٧٩م، وقد شغل الرضوي عددًا من الوظائف، منها: مدرّس تربية فنية بوزارة المعارف، ومدير مركز الفنون الجميلة بإدارة التعليم بجدة، ثم مديرًا لفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة، بالإضافة إلى عدد من الوظائف الشرفية، منها: عضو مجلس التحكيم بمدريد عام ١٩٦٨م، ورئيس لجنة التحكيم للفنون الجميلة بمدريد عام ١٩٧٨م، ورئيس رابطة الفنانين العرب بمدريد.

وحصل الرضوي كذلك على أكثر من ٤٧ جائزة



للمعهد سنة ١٣٦٦هـ، فمديراً للبعثات السعودية بمصر سنة ١٣٦٩هـ، كما عمل أستاذاً بمعهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية بالقاهرة.

ترك عبد الله عبد الجبار العمل الوظيفي بعد ذلك مدة طويلة، واشتغل بالأدب والنقد والبحث والتأليف والكتابة للصحف، حتى توجّه إلى بريطانيا سنة ١٣٨٩هـ وتولى تأسيس أول مدرسة عربية تابعة للسفارة السعودية بلندن وإدارتها، ثم بعد ذلك بفترة «سنة ١٣٩٨هـ» تم تعيينه مستشاراً بجامعة الملك عبد العزيز، فمستشاراً ثقافياً لتهامة، ثم آثر التفرغ للفكر والأدب، وأقام فترة في القاهرة، وكان منزله مقصداً للمثقفين والأدباء السعوديين والمصريين والعرب.

ومن إنتاجه الفكري والأدبي: قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، بالاشتراك مع د. محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٥٨م، والتيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، محاضرات ألقاها على طلاب قسم الدراسات الأدبية واللغوية، بمعهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية عام ١٩٥٩م، وغيرها.

وله عدد من الأبحاث والمقالات المنشورة في عدد من الدوريات منها: مجلة المنهل، ومجلة الحج، ومجلة الرسالة، ومجلة المصور «المصرية»، وصحيفة الرياض، وصحيفة عكاظ، وصحيفة الندوة، وصحيفة اليمامة، وصوت الحجاز، والبلاد السعودية، والمدينة، والندوة. بالإضافة إلى مقدمات كثير من الكتب، والكتابات والمحاضرات المخطوطة، والقصائد والمقطوعات الشعرية «مطوية».

معنوية ومادية، منها: وسام القائد من البرازيل، وله ٣٥٠٠ عمل فني في العالم، و٤٥ مجسمًا معظمها في مدينة جدة، وقد سجل الرضوي رقمًا قياسيًا في عدد المعارض الشخصية، إذ انتقلت معارضه، التي تجاوزت مئة معرض شخصي، عواصم العالم العربية والعالمية، وله مقتنيات كثيرة في أشهر المتاحف العالمية، بالإضافة إلى متحفه الخاص في مدينة جدة.

وألّف كتابين، الأول دراسة تحليلية نفسية وفنية بعنوان «الحياة بين الفكر والخيال»، والآخر بعنوان «قضايا في الفن المعاصر» بالاشتراك مع كل من الدكتورين عباس أكرم طاشكندي وأبو بكر باقادر، كما كتب عنه عدد من الدراسات.

عبد الحليم رضوي



راشيل كوري تثير جدلاً



أعلن في نيويورك عن إرجاء عرض مسرحية «راشيل كوري» وهي ناشطة أميركية مناصرة للفلسطينيين قتلها الجيش الإسرائيلي سحقًا بجرافة قبل ثلاث سنوات في قطاع غزة في مارس/آذار ٢٠٠٣م، بينما كانت تحاول منع هدم منازل فلسطينيين، وكانت في الثالثة والعشرين من العمر آنذاك.

وقد أثار هذا المنع جدلاً واسعًا في نيويورك، وأكد المعدون البريطانيون لهذه المسرحية أن قرار الإرجاء هو عمل من أعمال الرقابة.

وقال الممثل البريطاني آلان ريكمان، الذي قام بإخراج المسرحية للمسرح الملكي في لندن، إن هذه الرقابة ناجمة عن الخوف، وأعرب عن مخاوفه من أن تكون المسرحية قد ألغيت تمامًا، إلا أن المسؤولين

كتاب بلا حدود وحماية الصحفيين

وجهت منظمة كتاب بلا حدود نداء لجميع الحكومات وأطراف النزاع حول العالم للتعاون من أجل التزام معايير تعدّ الصحفيين والإعلاميين فئة محايدة يمنع استهدافها، مهما كانت المسوغات التي يسوقها من يخرق الحقوق الأساسية للصحفي والإعلامي.

ودعت المنظمة، التي تتخذ من ألمانيا مقرًا لها، في بيان لها، جميع الأطراف الدولية، وعلى رأسها الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة كوفي أنان، إلى استصدار قرار دولي ملزم، يصوغ معايير قانونية وأخلاقية، لضمان حماية دولية تضع الصحفيين والمراسلين والكتّاب ضمن فئة يحرم استهدافها بأية طريقة من طرائق الاستهداف المعروفة للجميع.

وقالت المنظمة في بيانها: إن الصحفي محايد، وهمه الوحيد ممارسة دوره المنوط به في تغطية الأحداث، وإيصال الحقيقة المجردة للمتلقي حول العالم، وفق ميثاق شرف الفدرالية الدولية للصحفيين، الذي تم تبنيه من قبل

في مسرح نيويورك، حيث كان من المقرر أن تعرض المسرحية، يرفضون بشدة هذه الاتهامات، وقال المدير الفني للمسرح جيمس نيكولا في بيان نشر بموقع المسرح على شبكة الإنترنت: إن الإرجاء عائد إلى الخوف من رؤية أطراف النزاع في الشرق الأوسط يستخدمون هذه المسرحية للدفاع عن مواقفهم.

والمسرحية حوار من طرف واحد، كتبه الصحفيان في صحيفة الغارديان، آلان ريكمان، وكاترين فاينر، استنادًا إلى مذكرات الناشطة الشابة، والرسائل الإلكترونية التي كانت تبعث بها إلى عائلتها.

وقالت كاترين فاينر في مقالة لها نشرت في صحيفتها، إنه يجب ألا يحرم الأمريكيون من الاستماع إلى كلام راشيل كوري، خصوصًا عندما تكون حرية التعبير في صدارة الاهتمامات الدولية.

الأصالة في معرض للخط العربي

أقيمت في دبي أخيرًا الدورة الثالثة لمعرض دبي الدولي لفن الخط العربي بمشاركة مجموعة من الخطاطين من دولة الإمارات العربية، وبلدان عربية وإسلامية أخرى، من بينها سورية، والجزائر، وإيران، وتركيا. واشتمل المعرض على عروض لوحات للفنانين المشاركين، ولفنانين آخرين، وقد أقيم على هامش المعرض عدد من الندوات، تناولت الخط العربي وأساليبه، والاعتناء بالمخطوطات القديمة وترميمها، وفن العمارة الإسلامية، وبناء الأضرحة في تركيا، وغير ذلك.

المجلس عام ١٩٨٦م، بوصف الصحفي شخصًا يحترم الحقيقة، وحق الجمهور في الوصول إليها من خلال النقل الأمين والصادق، خلال أداء العمل على الوصول مباشرة إلى مصدر الخبر.

وأضاف البيان: إن منظمة كُتّاب بلا حدود تطلق هذا النداء بوصفه مبادرة دولية تأمل من خلالها انضمام كل الأصوات، والمنظمات الدولية ذات الشأن، ليصار إلى استصدار قرار دولي تلتزم من خلاله كل المجتمعات والجماعات تحييد الصحفي، والمراسل، والكاتب، تحييدًا يقيه ما يلاقيه من ممارسات شائنة من التوقيف حتى القتل.

يذكر أن السنوات الأخيرة شهدت الكثير من حوادث انتهاك حرية الصحافة والصحفيين، ومحاولات متعددة لإعاقة الدور المنوط بالإعلام من خلال جملة من الممارسات التي شملت التهديد، والاعتقال القسري، والاعتداء بالضرب، والاختطاف، والاغتيال في كثير من مناطق العالم، كان آخرها اغتيال الصحفية أطوار بهجت مراسلة قناة العربية، وصحفيين اثنين على أيدي مسلحين في مدينة سامراء في العراق.







الدريس، زياد بن عبدالله/حكايات رجال - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٣٧٦ص.

يقع هذا الكتاب في شقين، جاء الأول منه بعنوان «الحصة الأخيرة»، وهو فرز لبعض ما كتبه المؤلف في زاوية ثابتة كانت في مجلة المعرفة بهذا الاسم، لكنها توقفت قبل سنوات، بسبب المشقة التي كان يلاقيها المؤلف من إجراء هذه اللقاءات التي كانت تتم دون استخدام ورقة أو أداة تسجيل حتى لا يشعر الشخص المستضاف أن المؤلف يجري معه حوارًا، ويجيء الحوار عفويًا أريحيًا، وقد أسماها المؤلف «الحصة الأخيرة» لأنه أراد قصرها على الحديث عن التجارب والخبرات، عن الشيوخ.

أما الشق الثاني من الكتاب فهو مقالات متفرقة عن شخصيات متنوعة، استطاعت بعمل ما، أو جهد ما أن تهز المؤلف وتدفعه إلى الكتابة عنها دون أي دافع آخر، بعضها رثاء لأموات، وبعضها رثاء لأحياء!

ومن شخصيات القسم الأول: «في ساحة حمد الجاسر»، و«ناصر (المرأة) الراشد»، و«المفتي الرئيس»، و«رهين الجنادريتين»، و«المربي الأموي»، و«ديك الإنس»، و«أديب الأساطير»، و«هدهد المعارف»، وغيرها.

ومن موضوعات القسم الثاني: «عقوق الأدب.. ولا عقوق الأب»، و«في زورق أبي»، و«الرجل الذي أمرض المرض»، و«الرجل الذي أوصى بموته»، و«حكاية الرجل النحيل»، و«الرجل الذي هز أمريكا.. وهزني!»، وغير ذلك من الموضوعات.

وقد تحدث كثير من الأدباء عن هذا الكتاب، منهم الدكتور غازي القصيبي الذي قال عنه: «ما هو الشيء الذي يجعل الرجال رجالاً؟ أحسب أن هذا هو السؤال الذي أراد زياد الدريس الإجابة عنه في «حكايات رجال»، وجاءت إجابة ذكية، لماحة شائقة، تسر الرجال.. وتسر القارئين»، كما قال عنه محيي الدين اللاذقاني: «والأهم في هذا الكتاب ليس الشخصيات، بل الأسلوب الشائق الذي اتبعه المؤلف لسرد حكاياته، أسلوب يقع بين المقالة والقصة القصيرة، ويشع بالإيحاءات والرموز والتلاعب المتقن بلغة سلسة مطواعة أتاحت لزياد أن يسبح في الرمل والفضاء والجبل، وأن يتعصب للحلم ضد الواقع».



كيرلانسكي، مارك/ تاريخ الملح في العالم. ترجمة: أحمد حسن مغربي - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٥م، ٣٥٨ص «سلسلة عالم المعرفة، ٣٢٠».

منذ بدء التاريخ البشري، حتى القرن التاسع عشر كان الملح هو المادة الأعز، التي

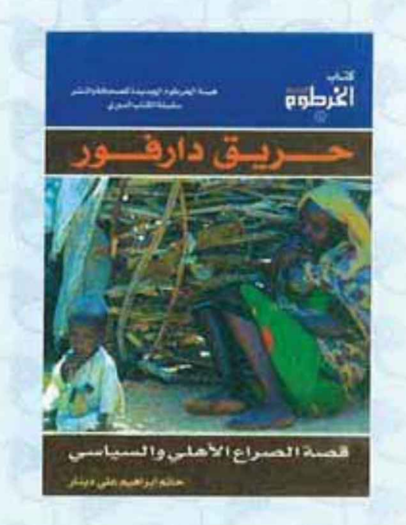


بذل الإنسان جهودًا جبارة للحصول عليها على مر العصور، ومنذ استقرار الجنس البشري عبر الزراعة وتدجين الحيوانات، برز الملح بوصفه مادة أساسية يحتاج إليها الإنسان والحيوان، ولم يكن عبثًا أن المهاتما غاندي اختار الملح ليكون مدخلاً إلى استقلال الهند عن بريطانيا، وقبله قاد جورج واشنطن معركة استقلال أمريكا عن بريطانيا أيضًا، التي تضمنت نضالاً للحصول على الحق في إنتاج الملح والاتجار به.

ونادرًا ما يخلو مكان على الأرض من الملح، ولم تتضح تلك الحقيقة إلا بفضل الجيولوجيا الحديثة، لذا امتلأ التاريخ بجهود البحث عن الملح، والاتجار به، والقتال من أجله، ولآلاف السنين، مثّل الملح الثروة، واحتفظ به التجار في جزر الكاريبي في مخابئ تحت منازلهم. وفرضت الحكومات الصينية والرومانية والفرنسية والفيتنامية؛ إضافة إلى سلالة آل هابسبورغ، الضرائب عليه لتمويل الحروب، وأحيانًا دفعت رواتب الجند ملحًا، وكثيرًا ما استخدمت المادة البيضاء نقودًا.

ويوضح هذا الكتاب كيف تعرّف الأقوام الأوربية القديمة على أن بعض جبال الألب لم يكن أبيض بفعل الثلج، لكن لأنها جبال من الملح، وقد انتشرت مناجم استخراج المادة البيضاء على أقدام تلك الجبال، وظهرت مدن تحمل اسم الملح مثل «سالزبورغ» النمساوية، و«هالشتات» الألمانية، ويعني الاسمان كلاهما شيئًا واحدًا هو «مدينة الملح». وخاضت شعوب أوربية كثيرة في تجارة هذه المادة، وامتدت طرق تجارتها عبر أوربا مرورًا بالشرق الأوسط، لتكمل دربها إلى الصين.

ويقع الكتاب في مقدمة وثلاثة أجزاء تحتوي على ستة وعشرين فصلاً، وجاء الجزء الأول بعنوان «خطاب عن الملح والجثث والصلصلة»، والثاني بعنوان «سطوع الرنّكة ورائحة النصر»، والثالث بعنوان «زواج الصوديوم الكامل».



دينار، حاتم إبراهيم علي/ حريق دارفور: قصة الصراع الأهلي والسياسي- الخرطوم: هيئة الخرطوم الجديدة للصحافة والنشر، ٢٠٠٥م، ٩١ص (سلسلة كتّاب الخرطوم الجديدة؛ ٤).

ما إن وضعت الحرب الأهلية في جنوب السودان أوزارها بالتوقيع النهائي على اتفاقية السلام بين الشمال والجنوب في ضاحية نيفاشا في كينيا في العام الماضي، حتى انفجر الوضع في إقليم دارفور في غرب السودان - الذي تشكل مساحته خمس مساحة السودان - بسيناريو أشد قسوة، اختلفت أسبابه، وتداخلت تداعياته، وتعددت نتائجه، لتكون الحصيلة تشريد نحو مليون شخص من منازلهم وقراهم، وقتل الآلاف، حتى وصف الوضع في الإقليم بأسوأ كارثة إنسانية يشهدها العالم خلال العقدين

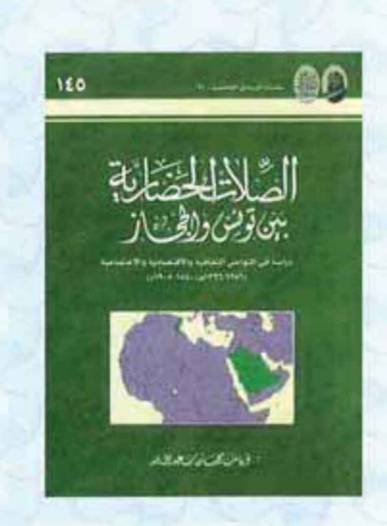
الماضيين. تناول المؤلف في هذا الكتاب قضية الصراع في دارفور، وحرص على تقديم المعلومات والإحصائيات والأسباب والمسببات دون اللجوء إلى صب الزيت على النار، على الرغم من العناوين الحساسة مثل: التركيبة القبلية وتقسيماتها، والأسباب المباشرة للنزاع، والصراعات القبلية، وتهميش دور الإدارة الأهلية، والاتهامات المتبادلة بين أطراف النزاع، ومؤتمرات الصلح، والنهب المسلح، والجنجويد، والتورا بورا، ودور الحكومات المتعاقبة في تفاقم الأزمة، وغيرها من العناوين.

وجاء الكتاب في أربعة أبواب وتسعة فصول: احتوى الباب الأول على نبذة تعريفية متكاملة من الإقليم، وتاريخه، وموقعه، وتضاريسه، وقبائله، ولهجاته...إلخ، كما تناول في الباب نفسه الأسباب غير المباشرة وجذورالأزمة المتمثلة في بداية تهميش الإقليم من قبل الاحتلال البريطاني، والتقسيمات السياسية الحالية لولايات دارفور، وغياب الخدمات فيها، والتركيبة القبلية للإقليم بلهجاتها، وعاداتها، وحرفها، ومواردها، وانتماءاتها، وولاءاتها السياسية والاجتماعية.

في الباب الثاني تناول الأسباب المباشرة لأزمة دارفور، وقسّم هذه الأسباب إلى الصراعات القبلية، وعمليات النهب المسلح، ومساهمة الحكومات المتعاقبة في تفاقم الأزمة، وحركات المعارضة المسلحة، وتكويناتها، وأهدافها، وأسباب تمردها على الحكومة المركزية.

في الباب الثالث تعرض لسيناريو الأحداث وتطوراتها التي أدت إلى وصول أزمة دارفور إلى هذا المنحى، كما تناول في الباب نفسه الطريقة التي تم من خلالها تدويل قضية دارفور، والدول والجماعات والأفراد المشاركين في هذا التدويل.

وفي الباب الرابع والأخير أخذ بالآراء والمقترحات الإيجابية التي يمكنها المساهمة في حل أزمة دارفور، والمطالبة باتخاذها من جميع الجهات المتنازعة مرجعًا لحل نهائي للأزمة.



المحامد، نورة بنت معجب بن سعيد/ الصلات الحضارية بين تونس والحجاز، دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية «١٢٥٦. ١٣٢٦هـ/ ١٨٤٠ - ١٩٠٨م»- الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٤٣٨ص «سلسلة الرسائل الجامعية؛ ١٤٥».

يتناول هذا الكتاب الصلات الحضارية بين تونس والحجاز في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في الفترة الواقعة بين عامي ١٢٥٦و ١٣٢٦هـ/

١٨٤٠و١٩٠٨م»، ويعرض الكتاب للتبادل الثقافي بينهما، وكتابات العلماء التونسيين الذين زاروا الحجاز، كما يدرس التبادل الاقتصادي والتجاري بينهما، ثم يسرد السمات الاجتماعية في تونس والحجاز، موضحًا أثر الحج في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بينهما.

وتأتي أهمية هذا الكتاب من تقصيه الصلات الحضارية في ميدان الثقافة والاقتصاد والنواحي الاجتماعية في ما بين تونس والحجاز خلال تلك المدة التي اقتصرت معظم الدراسات المتعلقة بها على الجوانب السياسية فقط دون الالتفات إلى المناحي الأخرى التي لا تقل أهمية عن الروابط السياسية.

ويقع الكتاب في مقدمة وأربعة فصول، تناولت المؤلفة في المقدمة لمحة تاريخية عن تونس والحجاز، واستعرضت في الفصل الأول الأوضاع العامة في تونس والحجاز منذ دخولهما تحت تبعية الدولة العثمانية حتى تغير نظام الحكم عام ١٣٢٦هـ/ ١٨٤٠م، وتناولت في الفصل الثاني صلات تونس بالحجاز من الناحية الثقافية، ودور الحج في تدعيم هذه الروابط، وخصصت الفصل الثالث للحديث عن الصِّلات الاقتصادية بين تونس والحجاز، ودور الحج وطرقه في عملية التبادل التجاري، بالإضافة إلى موضوع الأوقاف التونسية في الحجاز، والصرة التي كانت ترسل من تونس إلى الحجاز، ودورها في دعم الصلات الاقتصادية بين البلدين. ويحمل الفصل الرابع عنوان «الجوانب الاجتماعية في الصلات بين تونس والحجاز»، ويرد فيه ذكر السمات الاجتماعية في كل من تونس والحجاز، وجماعة الحرمين الشريفين في تونس، وأحوال المجاورين التونسيين في الحجاز، والمصاعب التي تواجه الحجاج التونسيين في الحجاز. وينتهي الكتاب بخاتمة جاءت فيها أهم النتائج التي أمكن رصدها في محاولة لعرض تقويم يتسم بأكبر قدر من الموضوعية العلمية.



النعيم، عبدالله العلي/ العمل الاجتماعي التطوعي مع التركيز على العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٢١٥ص.

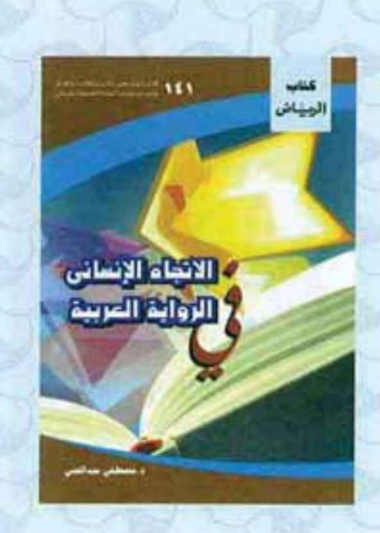
يتناول هذا الكتاب العمل الاجتماعي والتطوعي قديمًا وحديثًا، داخل المملكة وخارجها، ويبرز دور الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية، ودور المؤسسات الفردية الخيرية، وقد بذل المؤلف مجهودًا مقدرًا في سبيل الحصول على معلومات أشمل وأوسع، خاصة عن المؤسسات الخيرية الفردية، ولكن ما حصل عليه كان القليل

القليل - كما يقول - لأن هناك مؤسسات فردية كثيرة لا يريد أصحابها إبرازها، تقربًا إلى الله عز وجل، وتطبيقًا للحديث الشريف «حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه».

وقد قُسّم الكتاب إلى قسمين رئيسين: احتوى القسم الأول على ثلاثة فصول: اشتملت على التعريف بالتطوع لغويًا واصطلاحيًا، والمقصود بالعمل الاجتماعي والتطوعي، والتطوع في الحضارات القديمة، وفي الأديان السماوية الثلاثة، والعمل الاجتماعي التطوعي قديمًا وحديثًا، ومنذ العصر الجاهلي حتى العصر الحالي في العالم العربي.

أما القسم الثاني - وهو أساس الكتاب - فقد جاء في ستة فصول تناولت الجمعيات والمؤسسات الخيرية التطوعية في المملكة العربية السعودية داخليًا وخارجيًا من حيث: نشأتها، ومصادر دعمها، وأنشطة هذه الجمعيات الخيرية التطوعية في المملكة العربية السعودية وبرامجها ومنجزاتها من حيث: الأنظمة واللوائح ومجالات الخدمة بها، وتصنيف الجمعيات والمؤسسات الخيرية في المملكة العربية السعودية، ونبذة من الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ودوره في مجال الرعاية الاجتماعية في مدينة الرياض، ونماذج مختارة من العمل الاجتماعي التطوعي. وألحق المؤلف بالكتاب قائمة بأسماء وعناوين الجمعيات والمؤسسات الخيرية.

عبدالغني، مصطفى/ الاتجاه الإنساني في الرواية العربية - الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، ٢٠٠٦م، ١٤١ص (سلسلة كتاب الرياض الشهري؛ ١٤١).



يتناول هذا الكتاب موضوع الاتجاه الإنساني في الرواية العربية الذي لم ينل اهتمامًا كبيرًا على المستوى السياسي؛ وبالتبعية لم ينل اهتمامًا كبيرًا على المستوى الأدبي، والروائي منه على وجه الخصوص، فقد كان أكثر ما يعيق وعينا أننا لم نكن نعرف أن العقيدة الإسلامية كانت أول المصادر التاريخية التي حثت على الحقوق الإنسانية، وقيم النزعة الإسلامية بشكل عام، ومن هنا، راجت حركة الترجمة أو التعرف إلى الفكر الغربي تتحول بين التطورات التاريخية، وتولي اهتمامًا كبيرًا لعصر النهضة الأوربي، لكن في سياق الفكر الغربي بشكل خاص.

ومن ثم كان وعينا بالنزعة الإنسانية في العقيدة الإسلامية أقل مما يجب التعرف إليه، كما أننا لم نكن عند التعرف إلى العلوم الإنسانية والأدبية، وخاصة في النص الروائي، لنتوقف عند العوامل التي تؤكد هذه النزعة الإنسانية والأدبية، وغاب النقد العربي فترات طويلة في مناهج وتيارات غربية دون اختزال «الخطاب» الروائي في بيئة «دلالية» أو نسق من الدلالات تشير إلى النزعة الفكرية «الإنسانية». وقد قسّم المؤلف كتابه إلى ثمانية أبواب، فبعد تحديد مفهوم «النزعة الإنسانية» وتطورها مرة

عبر المصطلح، ومرة عبر النص، تناول في الباب الأول: الاتجاه والنزعة «ملاحظات أولية»، وفي الباب الثاني: حقوق الإنسان في الرواية، وفي الباب الثالث: قضية المرأة في الرواية، وفي الباب الرابع: الآخر في الرواية العربية، وفي الباب الخامس الاتجاه الإنساني والعولمة، وفي الباب السادس: فضاء القضية الفلسطينية، وفي الباب السابع: بين الذات والواقع، وفي الباب الثامن: نزعة الاغتراب في الرواية العربية.



دليل الناشرين السعوديين/إدارة التسجيل والترقيمات الدولية، ط٤ ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٥٣ص، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م (السلسلة الثالثة؛ ٥٨).

تهدف مكتبة الملك فهد الوطنية من نشر هذا الكتاب، في طبعته الرابعة المزيدة والمنقحة، إلى خدمة العاملين في قطاع المكتبات، وتنمية المقتنيات، إلى جانب تسهيل سبل الاتصال بين المكتبات ودور النشر.

وقد قامت إدارة التسجيل والترقيمات الدولية في المكتبة باستقاء جميع بيانات دور النشر المدونة بهذا الدليل، من خلال الرجوع إلى سجلات الإيداع الرسمية الخاصة بكل دار نشر على حدة، وكذلك الاتصال المباشر بالناشرين، وأخذ البيانات الدقيقة منهم، وقد زاد عدد الناشرين في الطبعة الحالية ووصل ٥٥٢ ناشرًا بزيادة ١٣٥ ناشرًا على الطبعة السابقة.

وقد تميز هذا الدليل بحداثة بياناته، إضافة إلى تميزه بوجود الرقم الدولي المعياري للكتب «ردمك ISBN» الخاص بكل ناشر، وهو ما يُعرف برمز الناشر Publisher's identifier، كما يحوي أيضًا الناشرين التجاريين، والجهات الحكومية والرسمية التي لها نشاط في مجال نشر أوعية المعلومات، وتم سرد بياناتهم الأساسية باللغتين العربية والإنجليزية. وتم تقسيم الدليل إلى قسمين رئيسين، يضم القسم الأول دور النشر التجارية، وجاء في القسم الثاني الوزارات والهيئات والمؤسسات والجامعات، وتم ترتيب أسماء الناشرين هجائيًا باللغة العربية، وتم وضع أمام كل ناشر رقم متسلسل لتسهيل استرجاعه بواسطة الكشاف.

وقد ضم الدليل معلومات عن كل ناشر، حوت اسم الناشر، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف، ورقم الناسوخ، ورمز ردمك للناشر. كذلك احتوى الدليل على كشافين، جاء الكشاف الأول باللغة العربية، ورتبت فيه أسماء المدن ألفبائيًا، كما وضع أمام كل ناشر رقم سجله الكامل، وجاء كشاف آخر باللغة الإنجليزية رتب حسب الهجائية الإنجليزية، مما يساعد على سهولة استرجاع أسماء الناشرين باللغة الإنجليزية التي كانت مفرقة حسب الترتيب باللغة العربية في متن الدليل.







مجلة البحوث الأمنية (مج١٤، ع ٣٢ - ذو الحجة ١٤٢٦هـ/ يناير ٢٠٠٦م)

مجلة دورية - علمية - محكّمة، تصدر من: مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية.

احتوى هذا العدد من الدورية على عدد من البحوث والدراسات العلمية المحكّمة في شتى المجالات ذات العلاقة بالأمن بمفهومه الشامل، إذ تضمن العدد أربعة أبحاث علمية، جاء الأول بعنوان «ظاهرة الغلو على ضوء القرآن الكريم: حقيقته، وأسبابه، وعلاجه» أعدّه الدكتور إبراهيم بن عبدالله الزهراني، وجاء البحث الثاني بعنوان «دور الأنشطة التربوية في تنمية الوعي الأمني لدى الطلاب» للدكتور أحمد بن عبدالفتاح الزكي، وتناول البحث الثالث «حقوق الإنسان في المقررات الشرعية في المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية» للدكتور إبراهيم بن عبدالله السعدان، وجاء آخر بحوث العدد بعنوان «المعالجة الصحافية لجرائم البيئة: الصحافة الجزائرية نموذجًا» للدكتور فضيل دليو.

وتضمن العدد تقريرًا عن ندوة المجتمع والأمن في دورتها الرابعة «الظاهرة الإجرامية المعاصرة: الاتجاهات والسمات» التي نظمتها كلية الملك فهد الأمنية في مقرها في الرياض خلال الفترة من ٢١ إلى ٢٤ شعبان سنة ١٤٢٦هـ، الموافق ٢٥ إلى ٢٨ سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠٥م، كذلك تضمن العدد عرضًا لكتاب «تقنيات صنع القرار: تطبيقات حاسوبية» من تأليف الدكتور خالد بن سعد الجضعي، أعدّه فاير بن عبدالله الشهري.

العنوان:
ص.ب :٦٦٤٦١ - الرياض ١١٥٣٢
المملكة العربية السعودية
ناسوخ:٢٤٦١٣٧٦
هاتف: ٢٤٦٢٦٨٨ - ٢٤٦٣٦٨٤

حولية كلية المعلمين في أبها (ع٨، ١٤٢٦هـ)

مجلة علمية محكّمة تصدر عن مركز البحوث التربوية بكلية المعلمين في أبها.

حوى هذا العدد من الحولية عددًا من البحوث العلمية المحكّمة وغير المحكّمة، وموضوعات ومقالات متنوعة، إضافة إلى عشرة ملخصات لرسائل تقدم بها أصحابها لنيل درجات علمية عليا في تخصصات

علمية وأدبية مختلفة.

وجاءت الأبحاث المحكّمة كالآتي: «أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن: دراسة تطبيقية على سورة البقرة» للدكتور الحسن بن خلوي بن حسن الموكلي، و«سهل بن سعد الساعدي: ترجمة حديثية من خلال مروياته» للدكتور أحمد بن محمد بن عبدالله بن حميّد، و«واقع تخطيط الدروس اليومية لدى معلمي الدراسات الاجتماعية بالمرحلة المتوسطة في منطقة أبها: دراسة تحليلية» للدكتور مبارك بن سعيد بن ناصر حمدان.

وجاء في الأبحاث غير المحكّمة: «الصلاة والصحة النفسية» للدكتور محمد بن سعد القزاز، و«الفرقة الناجية والفرق الهالكة: دراسة حديثية فقهية» للدكتور عبدالقادر بن محمد عطا صوفي، و«مراجعة بعض المصطلحات التاريخية والحضارية» للدكتور عبدالناصر بن إسماعيل عسّاف، وأخيرًا «مفهوم الإشراف التربوي الحديث وكفاياته واتجاهاته» للدكتور محمود شاكر سعيد.

وجاء في المقالات والموضوعات: «ضوابط في التكفير» للدكتور سعيد ابن محمد معلوي، و«مبررات منع المرأة من قيادة المركبات من المنظور التربوي» للدكتور عدنان حسن باحارث، و«قل... ولا تقل» للأستاذ رزق أبو أصفر.

وختم العدد بعشرة ملخصات لرسائل علمية وأدبية تقدم بها أصحابها لنيل درجات علمية عليا منها: «أثر جماعة الديوان في شعراء الحجاز، في الفترة من سنة ١٣٥١ - ١٤٠٠هـ: دراسة نقدية تطبيقية» لعبد الرحمن بن حسن بن يحيى المحسني، و(برنامج مقترح لتنمية مهارات القراءة الصامتة وأثره في تحسين مستوى التحصيل الدراسي» لخالد بن عبدالله الراشد، و«التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع» لخالد بن حامد الحازمي.



العنوان:

ص . ب: ٢٤٩ - كلية المعلمين - أبها - المملكة العربية السعودية.

هاتف: ٢٢٧٠٤١٩

ناسوخ: ٢٢٧١١٠٣ - ٢٢٨٥٥٦٥

البريد الإلكتروني: www.tcabha.info





الديمقراطية بين أنصارها وخصومها

محمد بن علي الهرفي
الدمام – السعودية

الديمقراطية - كما هو معروف - مذهب يسود قطاعًا كبيرًا من العالم، وتدّعي تطبيقه حتى الدول التي لا تعرف للديمقراطية معنى، بل وقد تنحرها صباحًا ومساءً، وابتدارًا فإن الإسلام بمفهومه الشامل لم يرفض الديمقراطية بمفهومها الذي تنادي به، وهو تحقيق الحرية والمساواة والعدالة بين سائر الناس؛ لأن هذه المفاهيم من الأسس المهمة التي قام عليها الإسلام، ورسّخ رسولنا الكريم دعوته لتحقيق هذه المفاهيم، فنادى بأنه لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا فضل لأبيض على أسود، فالجميع في ميزان الله سواء، وإنما يتفاضل البشر بأعمالهم التي تخدم مجتمعاتهم في أي مكان وزمان.

كما أن الإسلام وضع قواعد واضحة للعلاقة بين المسلم والمسلم، وبين المسلم وغير المسلم، وبيّن - بصراحة - أن البشر كلهم، وعلى مختلف أديانهم، مكرمون من حيث الأصل. يقول تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ الإسراء:٧٠.

من هذه المبادئ العامة التي نادى بها الإسلام، وطبقها الرسول الكريم في المجتمع المسلم، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده، نرى أن معظم مفاهيم الديمقراطية التي نادى بها الغرب كانت من أسس الإسلام التي يعاقب تاركها، ويؤجر فاعلها. والأمثلة على تطبيق هذه المبادئ في المجتمع المسلم آنذاك كثيرة جدًا ومعروفة.

لكنّ الديمقراطية الغربية شابها كثير من سوء التطبيق، وبدا واضحًا أن ما ينادون به أمام الملأ لا يطبقونه في واقع حياتهم، وتعاملهم مع الشعوب الأخرى. ويكفي أن نعرف كيفية معاملة الفرنسيين والبريطانيين للشعوب التي استعمروها. وكيف مارس هؤلاء الإبادة الجماعية لهذه الشعوب، بدعاوى زائفة، وكأنهم يحققون الحرية لهذه الشعوب بتلك المعاملة الوحشية. والأمريكان فعلوا الشيء نفسه - قديمًا وحديثًا - حيث أبادوا ملايين الهنود الحمر، وعدّوهم مثل الوحوش - بل أقل منها أحيانًا - وفعلوا الشيء نفسه مع ملايين السود الذين اقتادوهم كالأغنام من بلادهم ليعملوا عبيدًا في مزارعهم دون أدنى حقوق، بل كان قتل واحد من هؤلاء العبيد يعدّ حقًا مشروعًا لسيده.

وفي الوقت الحاضر مارس الأمريكان الدور نفسه في العراق وأفغانستان فذبحوا كل الحريات، ونحروا كل حقوق الإنسان، ولم ير العالم كله أي تطبيق للمساواة لا مع البشر ولا مع من دونهم.

التطبيق السيئ للديمقراطية جعل النظرة إليها تختلف بين فريق وآخر من علماء المسلمين ومفكريهم، فبعضهم رفض الديمقراطية بكل أشكالها، بينما رأى بعضهم الآخر أن الديمقراطية مجرد آليات لتسيير حياة الناس، وأنه يمكن الاستفادة من هذه الآليات بحسب حاجة المجتمع المسلم، فيصبح آنذاك لدينا ديمقراطية متفقة مع عقيدتنا، ومحققة

في الوقت نفسه طريقة تنظيم حياتنا ومجتمعاتنا.

ويعد الشيخ محمد صفي الرحمن المباركفوري أحد المنادين بتطبيق المبادئ الديمقراطية في العالم الإسلامي، فقد أكد في كتابه «الأحزاب السياسية في الإسلام» أن القرآن عندما أمر بالشورى، فهذا يعني أنه أمر كل مسلم أن يشارك بحسب المتاح له في اختيار رئيس الدولة، ويقول المباركفوري: «إن القرآن عندما قال: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾. الشورى:٣٨. لم يحدد فئة معينة تتولى هذا الأمر، فلفظ «بينهم» في الآية يشير إلى المجتمع كله».

ويقف الدكتور عدنان النحوي، معارضًا للديمقراطية بكل أشكالها، ويتحدث بإسهاب في كتابه «الشورى لا الديمقراطية» عن أسباب معارضته، ويرى أن أهمها وجود فروق أساسية وعقيدية بين الديمقراطية والشورى، فهو يقول: «إن الديمقراطية مبنى ومعنى نشأت في تربة الكفر والإلحاد، وترعرعت في منابت الشرك والفساد، فمن اليونان القديم حيث كان الإلحاد والشرك أعتى بكثير مما كان في الجزيرة العربية قبل البعثة، إلى روما وهي مصنع تلك الأجواء تحمل كل سمومها وفسادها واجتثاث جذورها عن فكرة الإيمان».

ويسرد الدكتور النحوي عددًا من الفروق الجوهرية العقيدية - حسب رأيه - بين الشورى والديمقراطية، ويخلص في النهاية إلى أن الشورى وحدها هي التي تصلح للمجتمعات الإسلامية، أمّا الديمقراطية فقد ثبت فشلها عمليًا في المجتمعات الغربية، كما أنها في الوقت نفسه تخالف منهج الإسلام.

وقد حاول عدد من الكتّاب إيجاد توافق بين النظريتين وتأكيد أن الإسلام لا يعارض الديمقراطية الحديثة مع بعض التعديلات الطفيفة عليها. ومن أشهر هؤلاء الأستاذ عباس محمود العقاد. فقد أكد في كتابه «الديمقراطية في الإسلام» أن القرآن الكريم أوجب المساواة في النسب والجنس والعمل، وذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات:١٣. كما أكد القرآن مبدأ الشورى، وجعلها ملزمة لكل حاكم. يقول تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) الشورى:٣٨.

ويرى العقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لرأي الصحابة أكثر من مرة وكانت آراؤهم مخالفة لرأيه، واستدل بهذا الفعل على وجوب التزام الحاكم رأي الأغلبية، وهذه هي الديمقراطية، كما يراها.

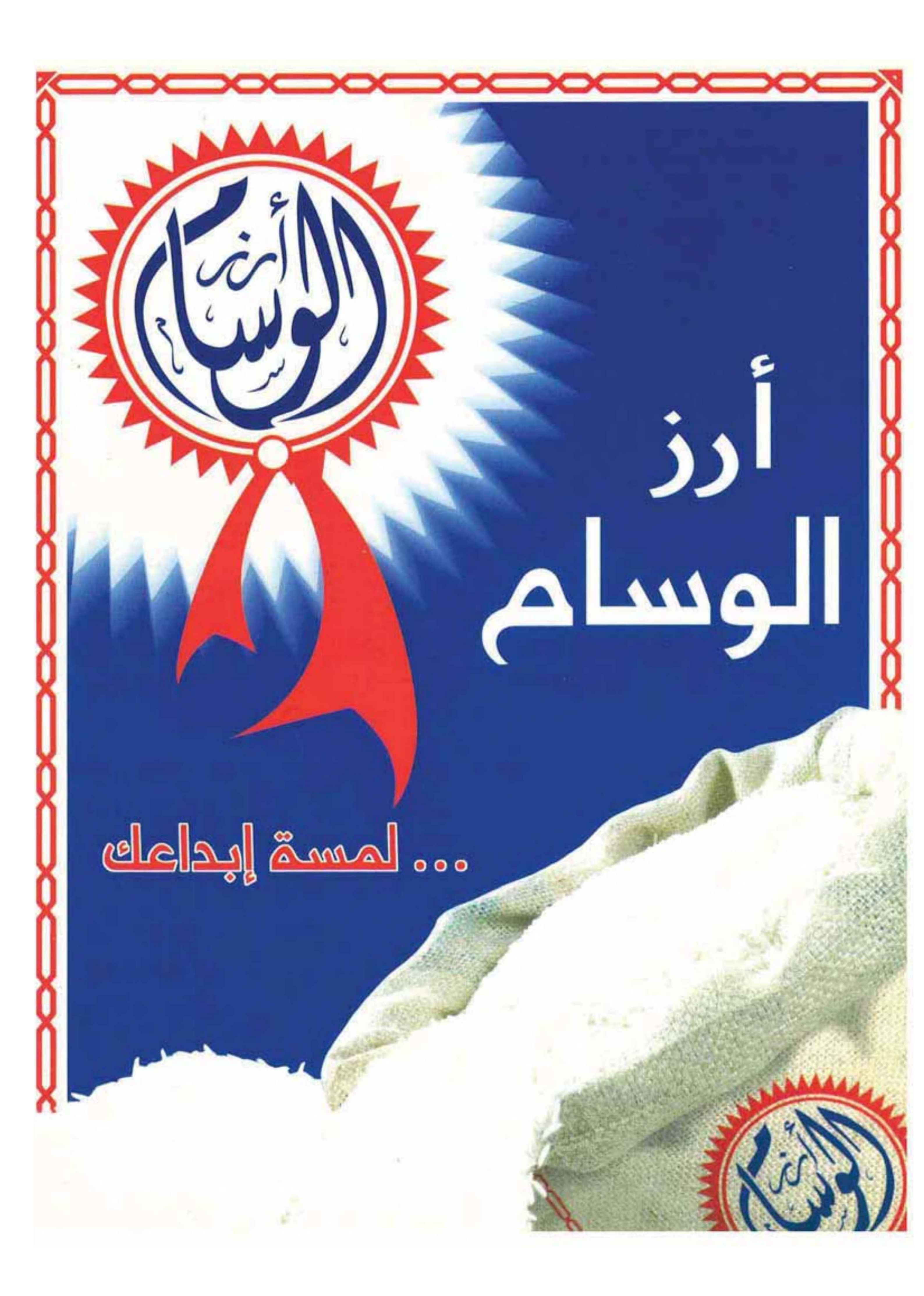
ويؤكد العقاد أن «الديمقراطية الإسلامية» إنسانية بالدرجة الأولى؛ فهي لن تشرع استجابة لطلب أو خوفًا من غضب، بل شرعت، وهي تغضب الأقوياء، ولم يطلبها الضعفاء.

وهناك مفكرون آخرون ذهبوا إلى وجود كل آليات الديمقراطية في الإسلام مع بعض التعديلات، من هؤلاء الأستاذ محمد الغزالي في كتابه «الإسلام والاستبداد السياسي» والأستاذ محمد عبدالجبار الذي تحدث عن هذه المسألة بإسهاب في كتابه «الإسلام والديمقراطية في معركة البناء الحضاري».

ومن هؤلاء كذلك السيد محمد خاتمي - رئيس جمهورية إيران السابق، الذي حاول إيجاد كثير من المسوّغات لتلاقي الديمقراطية والشورى، وقد أكد أن الديمقراطية لا تتعارض مع الإسلام، فنراه يقول في كتابه «مطالعات في الدين والإسلام والعصر»: «الديمقراطية عندي لا تتنافى طريقًا أو سبيلاً مع الإسلام» وهي «لا تتنافى مع الإسلام ولا تتعارض معه».

هذه المحاولات التي أشرت إليها - وسواها - كلها محاولات جادة ومخلصة لإقامة جسور للتلاقي بين الديمقراطية والشورى بغية الارتقاء بكل القيم التي تحقق الرقي والعدالة للبشر عمومًا.


رسالتنا
ليست الحصول على رضاكم فقط !!
بل و على إمتنانكم أيضاً.
صرح جديد في عالم
الطباعة و النشر
تليفون: ٤٨٧٣٧٣٧ فاكس ٤٨٧٣٣٧٨
ص.ب : ٦٢٤٥١ الرياض ١١٥٨٥
المملكة العربية السعودية
E-mail apph@apph.com.sa
الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE



أرز الوسام
أرز
الوسام
... لمسة إبداعك